الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبـــية

وزارة التعليـــم العـــالي و البـــحث العـــلمي

جامعة الجيلالي اليابس – سيدي بلعباس–

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللّغة العربية وآدابها

أطروحة التخرج لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث والمعاصر

الموسومة بـ:

التلوينات الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي

–مقاربة لغوية تداولية–

إعـداد الطالـب
زوبير بوزاغو

إشـــراف:
أ.د عمـارة بوجمعة

أعضـاء لجنـة المناقشـة:

أ.د. بلوحـي محمـد	جامعـة سيدي بلعباس	رئيسـا
أ.د. عمارة بوجمعـة	جامعـة سيدي بلعباس	مشرفـا ومقررا
أ.د. كـواري مبـروك	جامعـة بشـار	منـاقشا
أ.د.حسين بوحسـون	جامعـة بشـار	منـاقشا
د. ولهاصـي نجيـدة	جامعـة سيدي بلعباس	منـاقشا
د.قوتـال فضيلـة	جامعـة تيارت	منـاقشا

السنة الجامعية 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى

والدي الكريمين وإلى زوجتي و ابنتي و إخواني ، عذرا فقد شغلني البحث عنكم .

إلى أصدقائي الأعزاء الذين كانوا خير معين لي في إنهاء هذا العمل.

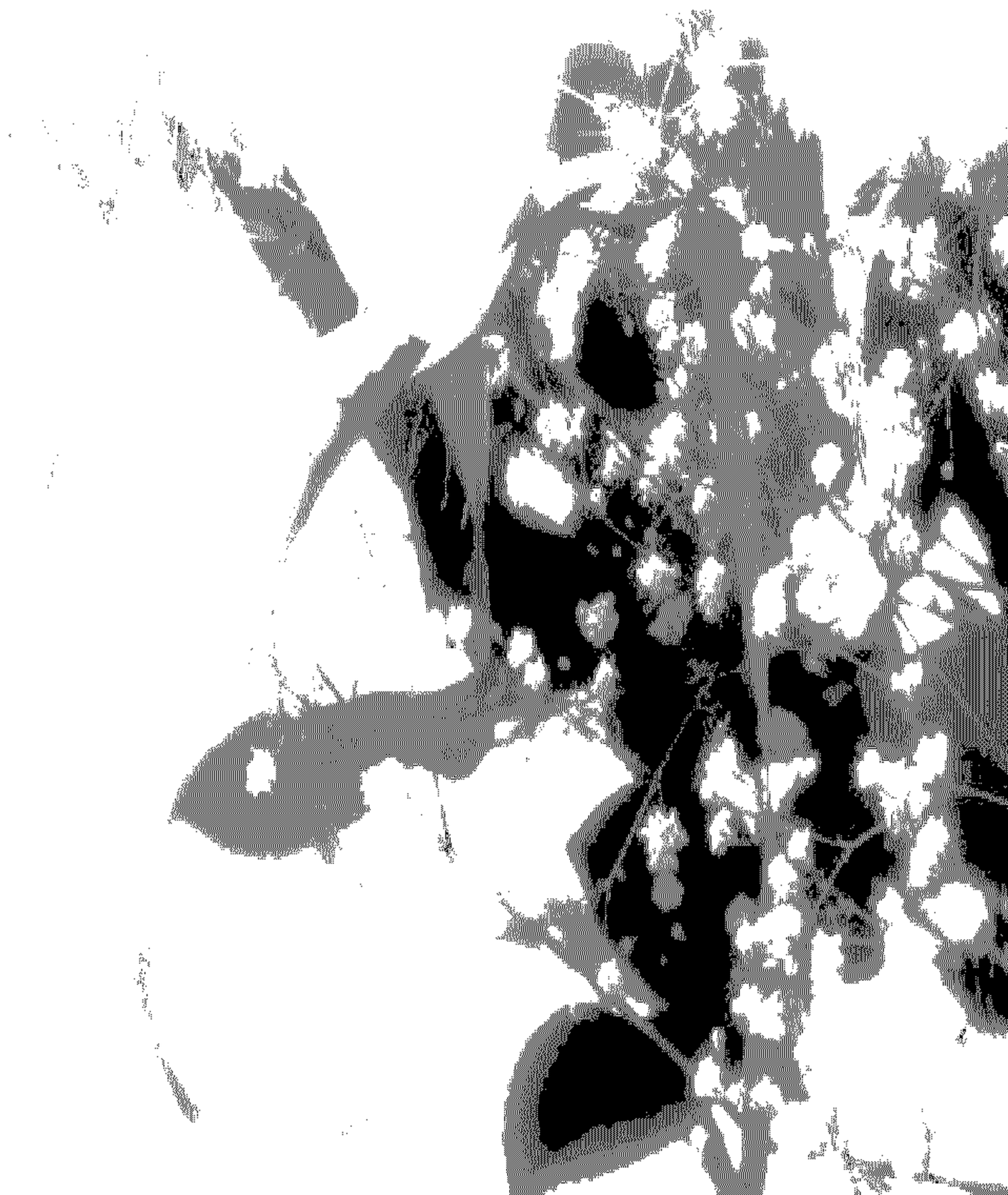

بوزاغو الزبير

شكر وعرفان

إني من هذا المنبر أتقدم شاكرا معترفا مقرا بفضائل أستاذي الوقور الأستاذ الدكتور " عمارة بوجمعة " – متعه الله بالصحة و العافية – الذي كان له الفضل كله في استكمال هذا البحث فما بخل عليّ لحظة واحدة بالنصائح والتوجيهات التي أنارت ليَ الدرب بعدما كان مظلما ، لذا فإني أحمد الله أن جعلني عنده طالبا متعلما ، فقد تعلمت من أخلاقه و سمته و تواضعه الشيء الكثير أثناء مرافقتي له .

و الشكر موصول للمشرفين على كلية الآداب و الفنون بجامعة الجيلالي اليابس .

وفي الأخير

نشكر كل من كان له سبب في استكمال هذا البحث من قريب أو بعيد

المقدمة

تعد اللّغةُ أهم سمة تدل على تميزِ الإنسان وتفرده؛ إذ تُحققُ له الفعلَ التواصليَّ اليومي الذي يمكنهُ من الاستمرار في هذا الوجود ، وهي ظاهرة أرقت جهابذة اللغة على مرّ العصور، في محاولة منهم لدراستها ومقاربتها وسبر أنماطها وأشكالها اللّغوية ، فالخطاب اليومي العادي ليس مثل الخطاب السياسي وليس مثله الديني وكذا الاصلاحي ، وغيره من الخطابات.

فكل واحد من هاته يحدد الاستراتيجية و الأنماط التعبيرية اللّغوية التي ينبغي على المرسل توظيفها في نصوصه ، فنحن اليوم في عصر تتصارع فيه الأيديولوجيات ، و الآراء المتباينة ولكل طائفة مهما اختلفت توجهاتها لها إعلام يسعى إلى تجميع أكثر عدد ممكن من النّاسِ حولها.

فعندئذٍ يَبرزُ سلطانُ الكلمة وتظهر اللّغة في لباس غير اللّباس التواصلي العادي ، وتظهر أبرز خاصية تتمتع بها اللّغة وهي الخاصية الحجاجية التي تعد بؤرة الوظائف اللّغوية ، وملتقى الأشكال التعبيرية ، كل هذا رغبةً في تحقيق غاية واحدة؛ هي الإقناع .

ومن هنا كان لزاما على المحاجِج أن يتسلح بكل ما يمتُّ إلى تحقيق مقاصده الإقناعية مثل تمكنه من اللّغة ، وطرق الاستدلال ، و البرهنة ، و إضافةً إلى هذا يجب عليه أن يُكيِّفَ أدواته الحجاجية حسب أحوال متلقيه و المقام التخاطبي ، ليكون خطابه فعالا .

و إنّ المطّلعَ على الساحة اللّسانية المعاصرة و الغربية منها خاصة ، يجد أنّها لم تكن بمعزل عن الصراعات التي يضجُ بها العالم اليوم؛ إذ قامت بدورها في دراسة الخطاب الحجاجي ، و طرق الإقناع بشتى أنواعها ، وقد بدأ هذا الاهتمام في النصف الثاني من القرن العشرين على يد مجموعة من اللّغويين فأسسوا في ذلك نظريات حجاجية رائدة مثل نظرية البلاغة الجديدة ، ونظرية الحجاج في اللغة .

وقد استقطبت دراسة الحجاج وفقَ هذه النظريات كثيرًا من النظريات الأخرى مثل نظرية القراءة ، و التأويل ، لأنّ النّص الحجاجي يكون موجها لشخص أو مجموعة من الأشخاص عندئذٍ تبدأ مرحلة التفاعل بين المرسل و القارئ بواسطة الرسالة اللغوية ، وعليه تتأسس العملية الإقناعية

في مدى استيعاب المتلقي للنّصِ وفهمه ، إلاّ إنّ عملية الفهم و القراءة لا تتوقف عند النصوص المباشرة ، بل تتعداها لتصل إلى النصوص الإيحائية البلاغية الفنية التي تُكسبُ الخطاب جمالية ومتعة.

إنّ النص الحجاجي الذي اتجهت صوبه الدراسات المعاصرة هو ذلك الذي يحقق النفعية في الخطاب بطريقة فتانة تصيِّرُه تحفة فنية ، لتجعل من القارئ يتلذذُ عندما تقرع أسماعه الحجج حتى يُذعنَ لها ويقعَ في شَركِهَا ، وهذه حيلة ذكية لا يتمتع بها إلاّ المتمكن من اللّغة ، فيجعل من تلك اللّذة النّصية جسرا يعبر به إلى المتلقي ليقبل دعواه ، وباعتماد الباثّ على هذا الأسلوب التعبيري ، يجعلنا أمام نص مكتمل مترابط الأجزاء تحققت فيه وظيفتان هما " الإمتاع و الإقناع ".

وهاتان الوظيفتان تختزنان في داخلهما وظائف أخرى كشفت عنها المناهج التي تُعنى بتحليل الخطاب في الدرس اللساني – خاصة المنهج التداولي أو ما يسمى باللسانيات التداولية ، التي انتقلت في دراسة اللّغة من حيّز الوصف إلى الجانب الاستعمالي والتفاعلي بين المتخاطبين ، غير مغفلةٍ أمورا مهمة أثناء مقارباتها للنصوص ، والتي منها مناسبة القول والظروف المنتجة للغته (أحوال المرسل والمرسل إليه ، والمقام والسياق ، ومقصدية المتكلم).

و للحجاج بين قضايا التداولية حصة الأسد ، من الاهتمام و المراعاة ، كونه تلك الأساليب والتقنيات اللّغوية التي يرتكز عليها المتكلم في طريقه نحو التأثير على الآخر؛ ولأنّ التداولية منهج يدرس الخطاب فهو يعنى بالإجابة عن كثير من الأسئلة المتغافل عنها من طرف المناهج القديمة (البنيوية ،التفكيكية...) ، وهذه الأسئلة قد فرضت نفسها على الساحة العلمية وهي من قبيل :ماذا نصنع حين نتكلم؟ ، ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم ؟ ، من يتكلم ؟ ومع من ؟ ، وما هي الغاية من هذا الكلام ؟ ، ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة ما ؟ ، فكل هذه الأسئلة وغيرها استطاعت التداولية أن تجيب عنها ، لتعدد منابعها ومجالاتها ، بفتحها آفاق للمتلقي بالقراءة والتأويل وصيّرته قطباً في عملية التواصل و العملية الابداعية.

ومن أصناف الخطابات التي اهتمت بها التداولية الخطاب الأدبي الفني ، شعراً كان أم نثراً والذي يعتمد فيه الباثُّ على وسائل لغويّة تمتح للنص عناصر تخييلية وتحسينية ، تحقق المتعة للقارئ

فتكون هذه المتعة معبرا يعتمده ليصل إلى أسر المتلقي من خلال هذه الفنية النصيّة والتي تعتبر بدورها استراتيجية فعالة تصل بالمبدع إلى أهدافه الحجاجية.

من خلال قراءتنا فيما سبق نجد أنفسنا أمام قضية معقدة طرحتها البلاغة الجديدة من قبل بيرلمان(perlman) وماييرmayer) ، وهي قضية ترجع للبلاغة سطوتها وجبروتها في كل الخطابات ، بحيث لا يمكن الفصل مطلقا بين فنية النص وجمالياته ، وبين التأثير الذي يحدثه في المتلقي ، فمن هنا تصبح للبلاغة وظيفتان رئيستان؛ هما "الإمتاع و الإقناع" ، ومتى وجدت وتحققت الوظيفتان في خطاب معين وجدنا أنفسنا أمام نص مكتمل ، يصل به صاحبه إلى درجة الإبداع .

وليست الخطابات الأدبية العربية الجزائرية الحديثة بمنأى عن هذا كله ، فالبشير الإبراهيمي على سبيل المثال لا الحصر واحد من جهابذة الخطابة في الجزائر و أحد أبرز أدبائها ،الخطيب المِحجاج المعروف عنه الحسُّ البلاغي المرهف و القريحة الوقّادة و اللّسان المفوّه والقلم السيّالُ ويكفيك أن تنتقيَ من مؤلفاته و مقالاته نصّا واحدا لتعلم وزن الرّجل في الساحة الأدبية .

وقد اخترنا مدونته "عيون البصائر" محلا للدراسة و التطبيق ، ليس لقيمتها الأدبية وحسب بل ولقيمتها التاريخية؛ إذ لا يخفى على أحد أنّ الرجل قد عاش إبّان حقبة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، أراد فيها هذا الأخير طمس الهوية العربية الإسلامية والوطنية بنشر الجهل و الأمية ، لولا ظهور فئة هي النخبة في ذلك الوقت ، عُرفت بجمعية العلماء المسلمين ، وكان البشير الإبراهيمي عضوا فعّالا فيها ، بحمله لواء الحرب على سياسة المستعمر وسلاحه في ذلك العلم و سيف الخطابة.

فأحيا العربية من جديد وبعث روح الإسلام فأنار القلوب كل هذا بفضل الجرائد والصحف التي كانت متوفرة في ذلك الوقت ، فغاية الإبراهيمي في جميع خطاباته الرفع من معنويات الشعب الجزائري ، وبعث مقوماته التي تحدد هويّته في وسط هذا العالم ، فمن هنا تتحدد

الإشكالية الرئيسية التي ينبني عليها هذا البحث وهي كالتالي : ماهي الألوان الحجاجية التي ارتكز عليها الإبراهيمي في خطاباته للنهوض بالشعب الجزائري نحو الأفضل ؟

أو بعبارة أخرى : ما هي وسائل الإقناع التي اعتمدها الإبراهيمي في مقالاته"عيون البصائر" ؟ وهل دمج الإبراهيمي في حجاجه بين الإمتاع و الإقناع ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية ، جملة من الإشكاليات الفرعية: ما هو الحجاج ؟، وما هي ألوانه؟ ، وما مدى حضورها في مقالات الإبراهيمي ؟ ، وماهو المنهج المعتمد في تحليل الخطاب للوصول إلى المقاصد الحجاجية ؟.

ومن خلال هذه الإشكاليات يتحدد عنوان البحث بـــ: **التَلْوِينَاتُ الحِجَاجِيَّةُ في مَقَالَاتِ البَشِير الإبْرَاهِيمِي –مُقَارَبَةٌ لُغَوِيَّةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ–.**

وعليه تتحدد خطة البحث كالآتي:

مدخل وأربعة فصول وملحق وخاتمة ، فالمدخل جعلته يلقي الضوء على المسار الحجاجي في التراثين اليوناني والعربي .

أمّا **الفصل الأول:** فعنوانه " **الحجاج و التداولية مقاربة نظرية** " ويتضمن ثلاث مباحث الأوّل منها جعلته للتحديدات والمفاهيم الأولية حول الحجاج ، أمّا الثاني فجعلته للنظريات الحجاجية المعاصرة عند الغربيين ، والمبحث الثالث جعلته للجانب التداولي ودوره في تحليل الخطاب ، والرابع ضمنته آراء العرب و تنظيراتهم الحجاجية في الفكر المعاصر.

والفصل الثاني :عنوانه" **وسائل الإقناع شبه المنطقية في مقالات الإبراهيمي**" ويتمحور حول ثلاث مباحث ، الأول منها كان حول الأشكال و البنى الحجاجية في عيون البصائر؛ أي كيفية بناء الحجج من خلال المقدمات ، والتبريرات ، و وسائل التدعيم وصولا إلى الدعاوى والنتائج والثاني سميته : القياس ودوره في الإقناع ، وتضمن ثلاث عناصر هي : القياس المنطقي والقياس المضمر و القياس المتدرج ، و المبحث الرابع تمحور حول نظرية السلالم الحجاجية في "عيون البصائر".

والفصل الثالث: وسمته بـــ " **آليات الحجاج البلاغية في عيون البصائر**" وتفرع عنه مبحثين ، فالأوّل تحدثت فيه عن حجاجية الصور البيانية ، وبينت فيه كيف يمكن للوسائل البلاغية أن تؤدي أدوارًا حجاجية ناحجة من خلال المتعة و المساءلة ، و الاستدلال ، وفي المبحث الثاني : بينتُ كيف ترتقي الأساليب البديعية من الجانب الشكلي إلى الجانب الإقناعي.

والفصل الرابع: عنونته بـــ: " **البعد الحجاجي لآليات اللّسانيات التداولية** " وقسمته إلى ثلاث مباحث ، الأول بينت كيف يمكن للروابط الحجاجية أن تساعد في ترتيب الحجج ، والثاني تعرضت فيه للاستلزام الحواري في "عيون البصائر" والانتقال من الدلالة الوضعية للّغة إلى الدلالة المستلزمة ، والثالث كان حول نظرية الأفعال الأفعال الكلامية بتصنيف سيرل (searle) .

وأنهيت بحثي **بخاتمة** ذكرت فيها نتائج البحث التي توصلت إليها في هذه الدراسة ، ثمّ ذيلته بملحق لحياة البشير الإبراهيمي و كفاحه .

وترتكز أهمية هذا البحث في كونه يدرس مدونة تراثية لها علاقة بالتراث الجزائري مستعينين على ذلك بوسائل قرائية حداثية ، فهذه الدراسة ترتكز في مجملها على كثير من النظريات الحديثة (نظرية الحجاج لبيرلمان و تتيتكاه ، نظرية المساءلة لميشال مايير ، ونظرية الحجاج في اللّغة لديكرو ...)

وتكمن أهمية هذا البحث أيضا في جانبه التطبيقي الذي اعتمدنا فيه على المنهج التداولي؛ إذ هو أداة تفسح المجال للقراءة و التأويل المنضبط ، الذي يوقف القارئ على مدلول النص ومقصدية المتكلم.

ولهذا الغرض اخترنا مدونة الدراسة المتمثلة في مقالات البشير الإبراهيمي الموسومة بـــ "**عيون البصائر**" واختيارنا لهذا الموضوع ولهذه المدونة تحديدا كان لأسباب موضوعية تمثلت في الوقوف على نوعية الخطاب الذي كان متداولا في تلك الحقبة الاستعمارية في تاريخ الجزائر ، وما هي أغراضه ومواضيعه و لأنّ الإبراهيمي يعد أيقونة الخطابة ولسان كل جزائري في عصره ،على الصعيدين (الوطني و الدولي).

والأسباب التي كانت وراء اختيار "عيون البصائر" كعينة للبحث هي أسباب قصدية كانت بناءً على معايير دقيقة وخطة مدروسة – كان للمشرف يد في التنبيه عليها- ، نذكر منها:

- إنَّ "عيون البصائر" هي مقالاتٌ اعتنى الإبراهيمي بها وقام على جمعها بنفسه.

- كون هذه المقالات كانت تتصدر جريدة "البصائر" مظهرة إيديولوجية وعقيدة أصحاب الجريدة ، إذْ طالما عبرت طلائع الجرائد على ذلك ، وهذا متقرر في علم الصحافة.

- تنوع موضوعات العيون (أدبية ، سياسية ، اجتماعية ، دينية ....).

وقد حاولنا التنويع أثناء اختياراتنا لمقالات الدراسة؛ حتى لا يحدث الملل ، ولتكون الدراسة شاملة تعمُّ جميع موضوعات الإبراهيمي .

و في دراستنا للخطاب الحجاج عند الإبراهيمي ، حاولنا الوقوف على أهم مقاصده وغاياته الإقناعية ، وأثناء ذلك وجب علينا أن نتبع لزَامًا منهجا يُسَهِلُ علينا الوصول إلى تلك الأغراض ويسعفنا في الكشف عن مكنونها -ولاسيما أنَّا نتعامل مع نص مقروء و مكتوب- فكان منهجنا هو المنهج التَّداولي لأنّه من المناهج الحديثة؛ التي تُعنى بدراسة اللّغة في حالة الاستعمال معتمدةً على السياق ، الذي هو أسُّ العملية التخاطبية؛ كونه يفرض على المتكلمين استراتيجية خطابية يقتضيها المقام.

وتكمن قيمة المنهج التداولي في مقاربته للنصوص ، بسبب آلياته المستمدة من جملة المناهج الأخرى ، حتى يكون تحليله للخطاب ناجحا ، و قد اعتمدنا على هذا المنهج في الجانب التطبيقي بغية الوقوف على أغراض الإبراهيمي و معرفة طرق حجاجه ، وأمّا فيما يخص الجانب النظري فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي الذي تقتضيه الدراسة.

وقد رافقتنا في مسيرتنا نحو لملمة وسبك هذا الموضوع جملة من المصادر والمراجع ، لعلّ أهمها: "أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم لمجموعة مؤلفين" ، و"كتاب النص و الخطاب و الاتصال" لمحمد العبد فقد أفادني كثيرا في الفصل الثاني وكتاب "اللّغة والحجاج" لأبي بكر العزاوي وخاصة ما جاء فيه عن السلالم و الروابط الحجاجية وكتاب "استراتيجيات الخطاب" فقد نحى فيه

صاحبه منحا تطبيقيا تداوليا ، وكتاب التحليل الحجاجي للخطاب بإشراف أحمد قادم وهو لمجموعة مؤلفين وقد تضمن هذا الكتاب مجموعة من المقالات و الدراسات التطبيقية التي استفدت منها كثيرا.

والدراسات السابقة التي تعرضت للخطاب الحجاجي عند البشير الإبراهيمي والتي وقفت عليها هما رسالتا ماجستير الأولى " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي دراسة لنماذج نصية مختارة" جامعة بسكرة ، ورسالة " الخطاب الحجاجي في المقالات لمحمد البشير الإبراهيمي مقاربة لغوية دلالية" لجامعة باتنة. إلاّ أنّ كلا الباحثين لم يتعرضا للحجاج البلاغي و لم يربطا البلاغة بالحجة في علاقة الإمتاع بالإقناع كما أنّهما أغفلا المنهج التداولي في مقاربة النص الحجاجي للإبراهيمي .

ومن أبرز الصعوبات التي يمكن للباحث أن يتعرض لها في الدرس الحجاجي ذلك التراكم المعرفي ، وصعوبة التعامل مع المادة العلمية التي تمحورت حول الدراسة الحداثية للخطاب الحجاجي لأنّ هذا النوع من الدراسات التداولية يقتضي منا سعة الاطلاع على المنتج الفكري الغربي وسياقاته الثقافية للظّفر بآلياته و تقنياته ، وهذا أمر عسير بسبب التضارب في المصطلحات وكثرتها التي يرجع الاختلاف فيها إلى تعدد المدارس الحجاجية في الوطن العربي وعدم توحيد الجهود .

ولأنّ الحجاج لم يستقر مفهومه في الوطن العربي إلاّ في بعض المحاولات التي استفادت من المنجز الغربي وتبيئته ليناسب الوطن العربي كما في دراسة الشهري و مشروع محمد العمري و طه عبد الرحمن في دراسته التداولية للخطاب و الحوار والحجاج.

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا للإلمام بجوانب الدراسة وتشعباتها ، ونرجو أن يساهم هذا البحث –ولو باليسير- في حقل الدراسات الحجاجية والتداولية في شقها التطبيقي ، في خطاب البشير الإبراهيمي حتى نحذوَ حذوه في جميع خطاباتنا اليومية والتعليمية ، لأنّه كان صاحب مشروع نهضوي ناجح .

وأتقدم من هذا المقام بتقديم أجزل عبارات الشكر والتقدير والاحترام للأستاذ المشرف "**عمارة بوجمعة** " على حلمه وصبره وتوجيهاته وتواضعه وسعة صدره ، وعلى توجيهاته التي أنارت لنا طريق البحث حتى اكتمل فله مني كل الشكر والعرفان.

وإنّ ما تقتضيه الطبيعة البشرية الوقوع في الخطأ والنسيان ، ولا يكون التوفيق إلاّ بالله وحده الذي أمدنا بالهمة والعزم والصبر لإنهاء البحث ، وأيّ خطأ في هذا البحث يعود على الطالب وحده ، ونسأل الله التوفيق والسداد فهو نعم المولى ونعم النصير ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين.

الطالب: بوزاغو زوبير تيارت-الجزائر-

أكتوبر 2017 .

المدخل.

الحجاج فى التراثين اليونانى والعربى.

-الحجاج في التراثين اليوناني والعربي:

- تجليات الحجاج في التراث اليوناني :

تناول القدماء الحجاج من زوايا كثيرة مثل الفلسفة و فن الخطابة و الجدل ، كل ذلك رغبة في التأثير على الجماهير لتبني أفكار واعتقادات تخدم السلطة الحاكمة ، وهذا ما اشتهرت به جماعة أُطلق عليها اسم "السفسطائيين".

1-1-الحجاج عند السفسطائيين:

السفسطائية أو السفسطائيون حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث اشتهر أصحابها بالكفاءة اللغوية و البلاغية وبالخبرة الجدلية ، واعتمدوا على الخطابة بشكل كلي لأنّها أداة ووسيلة تنقل الأفكار وتساعد في التأثير على المجتمعات وهم أول الواضعين لعلم الخطابة حيث جعلها "جورجياس" (gorgias) بأنّها «هي الفن الحقيقي و الأسلوب الصحيح في التفكير»[1] .

وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة التواصلية القولية خاصة ، والحياة الفكرية عامة فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات مترع لغوي توليدي للأفكار[2]،هذه الطريقة التوليدية للمعاني اللغوية أدت إلى ظهور طرائق حجاجية وإقناعية وإلى تراكم وزخم معرفي شكل النّواة الأولى لمعظم الدراسات القديمة وخاصة منها ما جاء في المناظرات التي كانت بين أفلاطون والسفسطائيين وبين أرسطو وبينهم.

افتتن السفسطائيون بالقول لأنّه فتان ومخادع فهو ليس أداة ناقلة للحقيقة فقط بل أداة ووسيلة إقناع وإقتناع، حيث قال "جورجياس" في هذا السياق:«إنّ القول جبار»[3]حيث اهتم السفسطائيون بالشكل وأعطوه عناية بالغة وكبيرة في الحجاج.

---

[1] الزاوي بغروة، الفلسفة و اللغة نقد المنعطف اللغوي في اللفلسفة المعاصرة،دار الطليعة،بيروت،ط1 2005،ص12.

[2] ينظر: مجدي الكيلاني ،تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور المعاصر،دار التنوير،ط1،2008 ص05.

[3] هشام الريفي،الحجاج عند أرسطو،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (فريق البحث في البلاغة والحجاج)،إشراف حمادي صمود،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،تونس،كلية الآداب منوبة،ص55.

مدخل ـــ

[1] حافظ إسماعيل علوي،الحجاج مفهومه ومجالاته،دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة،ص 47.

[2] ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ، 60.

[3] ينظر: المرجع نفسه ، ص 60 .

[4] ينظر: عادل عبد اللطيف،بلاغة الإقناع في المناظرة،دار الأمان ، بيروت ، لبنان ط 1 ،2013 ،ص 30.

سواء بالحق أم بالباطل ، حتى قيل عن أحدهم أنّه قال:«ليس من الضروري أن تعلم شيئا عن الموضوع لتجيب وقال:إنّ في استطاعته أن يجيب كل سائل عن كل ما يسأل ، فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتّى الوسائل كاللعب باالألفاظ، الاستعارات و الكنايات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة ، ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج سفسطة »[1] ويمكن أن نلخص نظرة السفسطائيين للحجاج في:

-كونه تلاعب بالألفاظ،و الهروب من الحقيقة،و أنّه إقناع يعتمد على الظن و المحتمل .

-وأنه يعتمد على الجانب الشكلي المتأنق ليوهم المحاجَجَ ويبعده عن الحقيقة المخفية وراء استعمال الاستعارات و الكنايات.

- طريقتهم في توليد المعاني و الأفكار والاحتجاج لراي أو الاحتجاج ضده.

إلا أنّ آراء السفسطائيين وطريقة خداعهم للجماهير قد قوبلت ونوقشت من قبل أفلاطون الفيلسوف المثالي الذي ترتكز فلسفته على القيم والأخلاق واليقين و الإيمان.

2-1 الحجاج عند أفلاطون:

اشتهر أفلاطون بفلسفته المعادية لفلسفة الحجاج عند السفسطائيين ، التي تجلت في تلك المناظرات التي أقامها مع بعضهم ، وفي المحاورة التي أقامها مع "جورجياس" بحث في موضوع الخطابة ووظيفتها ، و بحث في شرعية قيام هذا القول ، فقد فحص موضوع الخطابة في مقابلته بين العلم والظن ، وذكر أنّ الإقناع نوعان؛ إقناع يعتمد على العلم وإقناع يعتمد على الظن وهذا النوع الثاني في رأيه هو موضوع الخطابة السفسطائية ، أمّا العلم فهو يقوم على مبادئ صادقة وثابتة فالإقناع من هذه الوجهة يكون مفيدا يكتسب الإنسان منه معرفة ، في حين نجد أنّ الظنّ يقوم على الممكن والمحتمل فهو لا يُكسب معرفة بل يُنشئ اعتقادا[2] .

---

[1] أحمد أمين وزكي نجيب محفوظ، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة الجنة للتأليف و الترجمة والنشر ط5، 1964 ،ص99.

[2] ينظر: هشام الريفي،الحجاج عند أرسطو،مرجع سابق ، ص63.

إنّ الصراع القائم بين الحجاج الأفلاطوني والحجاج السفسطائي هو صراع قائم على اختلاف التصورات والقيم ، فأفلاطون يوجه الحجاج وجهة لها علاقة بالقيم الأخلاقية والمعرفية وقيم الحق والخير .

وفي المقطع الثاني من المحاورة – محاورته لجورجياس – قيم أفلاطون وظيفة الخطابة في ضوء مقابلة كلمتي خير ولذة ونزل تقييمه لهذه الممارسة القولية ، وقد جعل أربعة صنائع تحقق الخير للإنسان في جسمه ، والعدل والتشريع ، وأنّ اللّذة هي تلك الممارسات التي تخائل الإنسان وتخدعه نظرا للأقنعة المزيفة التي ترتديها وقد جعل أفلاطون هذه الممارسة الخداعية تحت اسم جامع هو "التملق" فهذه الكلمة تفيد عنده اللذّة والخداع[1].

إنّ هذا الطرح الذي يعتمده أفلاطون يُبنى على معيارين هما "العلم والخير" ،وهما معياران قيميان يعتبرهما أساسا لكل حجاج يعودان بالنّفع على الفرد والمجتمع ، وقد رأى أفلاطون أنّ الحجاج السفسطائي « لا يحرر فكر الإنسان ، ولا يحقق له ما به يكون "الخير" ، وجملة القول إنّ أفلاطون في نقده لخطابة السفسطائيين لم يعالج الحجاج بما هو "صناعة قول" ،وإن كان هذا البعد حاضرا في مشروعه بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان و المجتمع »[2] .

ومما انتقده أفلاطون أيضا على السفسطائيين اهتمامهم بالشكل ، ورأى أنّ المبالغة في تحسين العبارة تخلخل علاقة الفكر باللغة في الخطاب ، وبالتالي الجمال عنده مداره في طلب الحقيقة والفضيلة وتلازم اللّغة و الفكر[3].

وصناعة القول عند أفلاطون تستدعي شرطين أساسيين هما: الشرط الأول معرفة منتج القول للحقيقة ، و الشرط الثاني فهو قدرة منتج القول على جعل قوله نظاما مكتملا ،وهذا

---

[1] ينظر: هشام الريفي الحجاج عند أرسطو،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 64 .

[2] المرجع نفسه ، ص 72 .

[3] ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 2008 ، ص 28 .

الشرط الثاني يرجع إلى نظام الفكر في الحقيقة ،وعمدة القول عنده سواء كان حجاجا أوغير حجاج هي الحقيقة[1]

إنّ خطابة أفلاطون هي خطابة ذات منهج ديني مثالي مضاد ومناف للظنّ والمغالطات المزيفة التي يحقق السفسطائيون بها أغراضهم بواسطة القول .

والأركان التي حددها أفلاطون في صناعته للخطابة ترتكز على ثلاثة أركان هي « اعتماد المنهج الجدلي ، معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من اقاويل ،ومعرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب »[2].

الركن الأول: يتحدد الجدل بكونه صناعة تُبلَغُ بها الحقيقة ، واعتمد أفلاطون على الجدل لأنّه الوسيلة التي تخرج الحجاج من مجال الظنّ والاحتمال إلى مجال الحقيقة ، فالجدل عنده يقوم على عمليتين : عملية "تأليف" وعملية "تقسيم أو تفريع" ، وبهاتين العمليتين يعوض الحجاج الجدلي كلا من أقسام الخطابة الأخرى ، وخاصة اكتشاف الحجج وتنظيم القول[3] .

الركن الثاني : يتعلق بمعرفة أنواع النفوس ومايناسبها من أقاويل ، فإنّه يتعلق بمبدإ التناسق بين القول والسامع؛ أي إنزال الكلام على أقدار السامعين ، وقد تم بسط هذه الفكرة في البلاغة العربية القديمة تحت مسمى"مقتضى الحال و المقام".

الركن الثالث: يهتم بالأسلوب(style) وانسجام مكوناته ووحداته[4] .

وبهذا العرض لخطابة أفلاطون يتضح لنا أنّها خطابة ترتكز على المبادئ الأخلاقية وهي خطابة مثالية ؛لأنّ أفلاطون خشي على المجتمع اليوناني من الحجاج السفسطائي الذي يُزَيّفُ الحقائق و الأقوال –والقول هو أخص ما يؤسس إنسانية الإنسان–[5] .

---

[1] ينظر:هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ص 74 .

[2] المرجع نفسه ،ص 80-81 .

[3] ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 30 .

[4] ينظر: هشام الريفي ،المرجع السابق ، ص 83 .

[5] المرجع نفسه ، ص 83 .

1–3– الحجاج عند أرسطو:

استفاد أرسطو من الخطابتين؛ الخطابة السفسطائية والخطابة الأفلاطونية ، ثمّ انصب اهتمامه على فنون الكلام ومنها الخطابة والشعر فنظر في الإسهامات السابقة وجعل منها قواعد مؤسسة ومبادئ منظمة.

وركز على مفهوم الحجاج في كتابه "الخطابة" بوصفه آلية خطابية تهدف إلى إقناع المستمعين ضمن الأطر البلاغية الكلاسيكية ، محددا ذلك من زاويتين؛ زاوية بلاغية وزاوية جدلية.

فالزاوية البلاغية هي الجوانب المتعلقة بالإقناع و الزاوية الجدلية هي عملية تفكيرٍ تتمُّ في بنيةِ حواريةٍ وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة ، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد مع الذي يقدمه "أرسطو" لمفهوم الخطاب؛ إذ يبنيه انطلاقا من أنواع الحضور ومن الرغبة في الإقناع ويحدده في ثلاثة أنواع[1] .

1- **الخطاب الاستشاري** : ويتعلق بالخطاب السياسي ومقامات النصح وهي حسب أرسطو« إمّا حضي أو نهي ؛ لأنّ الذين يستشيرون في الخواص أولئك الذين يخطبون في المجامع إمّا أن يحضُوا أو ينهَوا»[2].

2- **الخطاب القضائي او المشاجري**: ويتعلق بجانب المرافعات القضائية ومقامات العدل والظلم والدفاع... لذلك يقول أرسطو: « أمّا المشاجري فمنه اتهام ومنه دفاع ، لأنّ الذين يتشاجرون إمّا أنّهم يتهمون أو يدافعون »[3].

3- **الخطاب القيمي** : مجاله المحافل الجماهيرية والمناسبات ، ويرتبط بالمدح والذم وقيم الجميل والقبيح ، كما أنّ انتاج الاعتقاد في الخطابة يرتهن على ثلاثة أبعاد (الخطيب المستمع ، الخطاب) وتتميز في علاقتها ببعضها على ثلاث مستويات حجاجية :

---

[1] ينظر: محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط1 الدار البيضاء –المغرب- 1426ه-2005م ، ص 15 .

[2] المرجع نفسه ، ص 37 .

[3] المرجع نفسه ، ص 37 .

أ) **الإيثوس(ethos)** : وهي الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه ويعبر عنها أرسطو بقوله: « إنّ العوامل التي تدعوا إلى بعث الثقة في الخطيب ثلاثة : السداد والفضيلة و البرّ »[1].

ب) **الباثوس (pathos)**: وهي مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى مستمعيه وهي وفق أرسطو الغضب والسكينة ، الحبّ و الكراهيّة ،التّخوف و الثّقة[2] .

ج) **اللوغوس (logos)** : يمثل الحجاج المنطقي الذي يشمل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي ،ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال و البناء الحجاجي[3].

بهذه التفريعات الثلاثة يتضح لنا الوعي المبكر من الفكر الأرسطي لأقطاب العملية التواصلية فقد انكبّت الدراسات الحديثة و- خاصة منها التداولية – الكشفَ عن جانب مهم في تأويل النصوص و الوصول إلى مقصدية المتكلم ،فقد أقام أرسطو اختلافا دقيقا بين الحجاج الجدلي و الحجاج الخُطبي فرأى أنّ « الأول أوسع من الثاني فهو يمارس في فحص قضايا الفكر وفحص جوانب من الأحكام المتعلقة بالسلوك ، كما يمارس في توجيه الفعل وإن كانت ممارسته أدخل في البحث الفكري ، أما الثاني فمجاله هو توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه »[4].

إلاّ أنّ منبع الحجاجين و بالأخصّ الحجاج الجدلي هو التساؤل والخلاف والحيرة حول قضية أو جملة قضايا ، ويعد السؤال والسائل في هذا المجال أهم من المجيب لأنّه انطلق منها فتتحدد معالم الإشكالية المطروحة ، وهذه الأسئلة مقننة ومحددة في البلاغة الأرسطية ،كما اعتبر أرسطو الحجاج الجدلي مؤسسا على خطة حجاجية يتم من خلالها استدراج المرسل إليه إلى التّسليم بمضمون المقدمات والنتائج ، فإنّ هذا التسليم قد يكون مؤقتا لأنّ المتلقي قد تمت محاصرته بلاغيا،لكنّه قد يقتنع بعكس ذلك لاحقا ، أمّا الحجاج الخطابي فهو حجاج يصاغ من جمهور معين

---

[1] محمد الولي ، مدخل إلى الحجاج (أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان) ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 40 - 2011 ، ص 28 .

[2] محمد الولي ، المرجع نفسه ، ص 29 .

[3] ينظر: محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ص 18 .

[4] أرسطو طاليس ، الخطابة ، تر عبد الرحمن بدوي ،وكالة المطبوعات ،الكويت ، دار القلم ، بيروت ، 1979 ، ص 08 .

يعرف الخطيب مسبقا الخصائص الكبرى "لآفاق انتظار أفراده " وبالتالي يتوجه إليهم باستدلالات إقناعية محددة يسعى من ورائها لدفعهم إلى الفعل[1].

يُنبه أرسطو إلى قضية مهمة متعلقة بالحجاج وهي مراعاة آفاق انتظار المتلقين وكأنّه بذلك يغوص في اعتقاداتهم ومعارفهم ، فيتوقع ردود أفعالهم ويتبين مواطن الضعف عندهم لَيَلجَ إلى عوالمهم الخاصة من خلال معارفهم السابقة ، فيحدث بذلك التغيير في المعتقدات أو السلوكات.

ويعد اهتمام أرسطو بأركان العملية التواصلية إلهاما لكثير من النظريات المعاصرة والتي من أبرزها "التلقي ،والتأويلية "، فقد ركزت نظرية التلقي على السامع والعوامل الاجتماعية والنفسية وأحوال المتكلم .

أمّا مراحل انتاج القول عند أرسطو فهي ثلاثة وقد رتبها بحسب تتاليها في زمن الإنشاء كما يلي[2]:

1. **المرحلة الأولى** وسماها أرسطو(eurésis) وهي مرحلة البحث عن مواد الحجاج أو تسمى بعبارة "مصادر الأدلة" .
2. **المرحلة الثانية** سماها أرسطو(taxis) وهي مرحلة "تريب أجزاء القول"
3. **المرحلة الثالثة** من مراحل انتاج القول سماها أرسطو(lescis) وهي تتعلق "بالأسلوب" من حيث اختيار الألفظ والتعبيرات ، وقد أضاف أرسطو إلى هذه المراحل مرحلة أخرى سماها(hypocrisis) ،واستعمل ابن رشد في مقابلها " الأخذ بالوجوه".

وأهم مرحلة من هذه المراحل هي مرحلة البحث عن المصادر والأدلة ومواد الحجاج ،فقد اعتبرها أرسطو "متخفية " مستورة وعلى المتكلم العثور على ما يناسب موضوعه منها ،وهي عملية البحث والبناء للحجج وإنّ عملية اختيار الحجج تختلف بحسب الجنس الحجاجي؛ فالحجاج

---

[1] ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 53 .

[2] ينظر: هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ص 173- 174 .

الجدلي يقوم على تصديقات صناعية تكون مقدماته في قياس جدلي ، أمّا الحجاج الخطبي فهو عملية قائمة على الحجج المتوفرة قبل الدخول في عملية المحاجة[1].

وفي هذه الرحلة المقتضبة للحجاج في الثقافة الأرسطية نجد أنّ أرسطو وقف وقفة وسط بين الحجاج السفسطائي المعتمد على المغالطة ، والخطابة الأفلاطونية المُغرقة في المثالية ، فدعا إلى بلاغة حجاجية تهتم بأقطاب العملية التواصلية.

2- تجليات الحجاج في الفكر العربي القديم:

إذا تتبعنا الدراسات العربية القديمة نجدها مهتمة بالحجاج اهتماما بالغا ،وقد ظهر هذا الاهتمام في العصر الإسلامي وخاصة في القرآن والسنة ، ثمّ ظهرت معالجته في علوم شتى وخاصة ما كان منها متعلقا بعلوم البلاغة ،كما مهدت له تلك المناظرات التي كانت تعقد بين الفرق الإسلامية.

1- الحجاج في القرآن الكريم :

بعث الله نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة إلى النّاس كافة وأيّده بالمعجزة القرآنية الخالدة ، التي عجز أرباب البلاغة والفصاحة من العرب على معارضته بالرغم من المحاولات الكثيرة ،فالقرآن الكريم راعى جانبا مهما في حياة الإنسان وهو الجانب الفكري العقلي وجعل له منزلة مهمة في المقاصد التشريعية الإسلامية الكبرى، وكان القرآن دائما يخاطب النّاس في كثير من الآيات على استعمال هذه الهبة الربانية وتفعيلها وتوجيهها لقضايا علمية وإعجازية كشف عنها العلم الحديث،وذلك في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة 219]، وقوله تعالى : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة 269] .

[1] ينظر: هشام الريفي ، الحجاج عند أرسطو ، ص 180 .

ولأنّ الإسلام رفع من منزلة العقل فجعله مناط التكليف فألزمه بالعبادة وإقرار التوحيد له وحده فخاطب المشركين بمقتضاه فقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: 170]

وقد وردت لفظة الحجاج في القرآن بمعان مختلفة (الجدل والبرهان) ،قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام:« ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ .... ﴾ [البقرة 258] .

فقد سأل الملكُ إبراهيم : من ربّك؟ ، فأجابه إبراهيم -عليه السلام- : «ربي الذي يحيي ويميت» ، وقد جاء إبراهيم -عليه السلام- بهذه الحجّة لأنّ أحدا لم يجرؤ أن يدّعي القدرة على الإحياء و الإماتة ، بل ولن يدّعي أحد أنّه شريك فيهما ، إلّا أنّ الخصم الذي حاجّ إبراهيم يريد ألاّ ينتهي الجدل ، فقال ناقلا المحاججة إلى لون من السفسطة : أنا أحيي وأميت ! فسأله إبراهيم -عليه السّلام - كيف تحيي وتميت ؟ ، فقال الرجل: إنّ عندي من المساجين عددا ، أستطيع أن أقتل من أشاء منهم ، وأمتنع عن قتل من أشاء ، فمن لم أقتله فكأنّني أحييته ، ومن قتلت فأنا من أمته ، لم يقل له إبراهيم - عليه السلام- لنَتَّفِق أوّلا على تعريف الحياة والموت ، لأنّه لم يرد أن يُطيلَ هذه المجادلة ، إنّما أراد أن يأتي بالحجّة التي تسقط للرّجل كلّ ما يحاجج به ، فجاءه بما يلجمه»[1] ، فقال: " ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ [البقرة 258].

وهكذا في عملية حوارية انتقل إبراهيم إلى أعلى درجة في السلم الحجاجي ، بإفحام مناظره.

وقد استعملت أيضا كلمة الجدل بمعنى الحجاج في القرآن الكريم و ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴾ [النساء107] وفسّرها ابن عاشور بقوله: «و المجادلة مفاعلةٌ من الجدل و هو القدرة على الخصام

[1] الشعراوي ، قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول ، دار القدس ط 01 – 2006 م ، ص 90 - 93 .

والحجة فيه وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك »[1] ، ومن خلال هذا الكلام نخلص إلى أنّ الحجاج في هذه الآية مرادف للجدل ، والجدل هو « فعل المدافعة ليظهر الحق ؛ أي دفع السائل قول المعلِّلِ ودفع المعلِلِ قول السائل، وعلم الجدل هو العلم الذي يعرف فيه صحيح الدفع و فاسده وبعبارة أخرى الجدل كفعل رد للخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة ، والجدل كعلم آلة يتوصل بها إلى حمل الخصم على العدول عن رأيه إلى غيره ، بدليل أو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر و المناظر(المعلل و السائل) الشكّ و الارتياب»[2] .

ونجد أيضا في القرآن الكريم استعمالات الحجاج بمعنى البرهان ، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة 111] وقد فسّرها الزّمخشري بقوله :

«(قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ) متصل بقولهم: لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً أو نصارى. وتلك أمانيهم: اعتراض، أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

يريد أنّ أمانيهم جميعا في البطلان مثل أمنيتهم هذه. والأمنية أفعولة من التمني، مثل الأضحوكة والأعجوبة هاتُوا بُرْهانَكُمْ هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في دعواكم ، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين. وأنّ كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت »[3].

---

[1] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر الدار الجماهرية للنشر و التوزيع و الإعلان دت ، ج3 ، ص194.

[2] حمو النقاري ، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط1 2005م ، ص 366.

[3] أبو القاسم جار الله الزّمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل ، تح: الشريف علي بن محمد بن علي السيد ، وأحمد بن محمد الإسكندري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج1 ، دط ، 2006 ، ص 305.

فالبرهان هو الإتيان بالدليل المثبت للدعوى المعروضة والمزعومة ، وأنّ الدعاوى إذا لم يُقِم أصحابها الأدلة على صحتها فهي باطلة.

وما من شك أنّ القرآن الكريم في دعوته النّاسَ لاستعمال عقولهم و أذهانهم في التفكير وطريقته في الحجاج والاستدلال ، وقهر المشركين بالحجج ، هو العامل الرئيس الذي فتّق الدرس البلاغي و الحجاجي في العصور الإسلامية.

2- الحجاج في البلاغة العربية القديمة:

ظهرت الدراسة الحجاجية لأنواع الخطاب عند العرب مساوقة للدراسات التي تتعلق بأساليب القول وطرق أدائه ومقارنة كلام البشر بكلام الله تعالى في معرفة كوامن الإعجاز الرباني في القرآن الكريم ، على يد كثير من العلماء ، حيث اتجهوا بدراساتهم نحو علم البلاغة لأنّها الوسيلة التي تمكنهم من تحقيق مآربهم للوصول إلى أسراره ، فتعاملوا مع البلاغة تنظيرا وتبويبا وتصنيفا وشرحا لأهم أبوابها ومن أي جهة يأتي الحسن و الجمال في الكلام ، وكيف يمكن للخصم الظفر بالحجة إلى غيره من المسائل الأخرى .

ومما أذكى جَذوةَ الدّرس الحجاجي المناظرات بين أهل الملل و النحل ، حول القضايا العقائدية الكبرى التي ظهر فيها الخلاف في تاريخ الإسلام المبكر كل هذه عوامل ساعدت في إثراء التراث العربي ، فوصلوا إلى قضايا لغوية ، تحدث عنها الغربيون وأفردوا لها نظريات محددة .

2-1- الحجاج عند الجاحظ(ت.255هـ):

اهتم الجاحظ بعلوم البلاغة اهتماما بالغا في كتابه البيان و التبيين ، فقد كان لتكوين الجاحظ العلمي دور فعال في إثراء الدرس البلاغي و خاصة حول نظرية "البيان" و هذا التكوين صقل منهجه العقلي فاعتمد على الأدوات المنطقية و الآليات البرهانية ، والحجج العقلية التي عرف بها في مؤلفاته ، وليس الحجاج إلاّ إيصال المتلقي إلى قناعات يجهلها أو ينكرها من خلال الحجة البالغة و البرهان المصدّق و الدليل المؤكد .

بيد أنّ هذا الهدف لا يمكن تحقُّقه بسهولة ولذلك يقول الجاحظ « أولُّ البلاغة اجتماعُ آلة البلاغة ؛ وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأشِ ، ساكن الجوارحِ ، قليل اللّحظِ ، متخير اللّفظِ ،لا يُكلم سيدَ الأمّة بكلام الأمّة ولا الملوك بكلام السوقة. ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة». [1]

ففي هذا النص يتضح لنا أن غاية الجاحظ الخطاب الإقناعي الشفوي ، وهو إقناع تُقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللّغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال[2].

ويقول الجاحظ : « و لربّما كان اللّسانُ أنفذ من السنان ، وأقطع من السّيفِ اليمان »[3] ، ويعلق على هذا الدكتور العمري فيقول : « إنّ مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي؛ أي إنّه عملية موصلة للفهم و الإفهام في حال اشتغالها ... فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هو الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة : الوسائل اللغوية و الإشارية الخاصة »[4].

فالبيان من أهم آليات البلاغة التي تعمل على الإفهام و قد عرفه الجاحظ في "البيان والتبيين" ووضعه في مترلة الكشف و الإيضاح فهو « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأنّ مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هي الفهم و الإفهام فبأيّ شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[5].

---

1 أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، دط ، دت، ج1 ، ص 92.

2 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ط1، 2004 ، ص 448.

3 أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ، 1964م ، ج1 ، ص 308.

4 ينظر: محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2 ، 2010م ، ص 191.

5 الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص76.

أمّا الإفهام فإيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر ، و الإقناع ناتج عن مجموع مؤهلات وصفات انتقاها(محمد العمري من كتاب الجاحظ ..البيان و التبيين).

2-2- الحجاج عند ابن وهب (ت.335هـ):

تعلقت القضايا الحجاجية عند ابن وهب في مناقشاته لقضية الجدل و المجادلة ، في كتابه "البرهان في وجوه البيان " فقدّم تعريفا دقيقا للجدل وضع فيه يده على مقصد الجدل ووقوعه في مسائل خلافية :« أمّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجّة فيما اختلف فيه اعتقاد المجادلين ، ويستعمل في المذاهب و الديانات وفي الحقوق و الخصومات والتنصل و الاعتذارات»[1].

والجدل فيما يفهم من كلام ابن وهب خطاب تقلّبي إقناعي ، فالجدل إنّما يقع في العلة بين سائر الأشياء المسؤول عنها ، وينبغي للمجيب -إن سئل- أن يُقنع و أن يكون إقناعه الإقناعَ الذي وجب على السائل القبول به .

وإن كانت مقامات الجدل و الخصومات و نحوها كما تقدم في التعريف ، فإن الاعتبار الأخلاقي من أوجب ما توجبه تلك المقامات ، بل هو أوجبها وليس التمييز بين جدل محمود وجدل مذموم (عند ابن وهب) إلا تمييزا ينظر فيه حضور هذا الاعتبار أو غيابه ، فالجدل المحمود ما قصد به الحق واستعمل فيه الصدق ، والجدل المذموم ما أُريدَ به المماراة والغلبة وطلب الرياء والسمعة [2].

-شروط وآداب الجدل عند ابن وهب:

-يَحْلُم المجادل عمّا يسمع من الأذى و النّبز.

-ألّا يُعجَبَ برأيه وما تُسوِّلُه له نفسه.

-أن يكون منصفا غير مكابر ، لأنّه لا يطلب إلاّ الانصاف من خصمه و يقصده بقوله و حجّته كأن لا يقبل قولا إلا بحجة ولا بردّه إلا بعلّة و ألّا يجيب إلاّ بعد فراغ السائل من سؤاله.

---

[1] أبو اسحاق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تح جفني محمد شرف ، مطبعة رسالة عابدين ، مصر ، دت ،. دط ،ص 222.

[2] ينظر: أبو اسحاق بن وهب ، المرجع نفسه ، ص 222.

-ألا يستصغر خصمه و لا يستهين به.[1]

إنّ ابن وهب من خلال هذا الكلام يجعل الحجاج آلة ووسيلة من وسائل الجدل ، وجزءً منه..

2-3- الحجاج عند أبي هلال العسكري (ت.395 هـ):

ومن العلماء الذين اهتموا بالبلاغة و علومها وبالشعر و النثر أبو هلال العسكري ، حيث تحدّث عن الشعر و محاسنه ووظيفته التي يحتلها في الجانب الحجاجي ، فيقول « .. واللّطيف من الكلام : ما تعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة ، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة ، ويبلغ به الحاجة ، وتقام به الحجّة ..»[2] ، فالشعر عنده قد ينهض بوظيفة الحجاج وليس الجدل ، ومن القضايا المشهورة التي تكلم عنها قضية المقام و دورها في العملية التواصلية الحجاجية.

2-4- الحجاج عند أبي الوليد الباجي (ت.474هـ):

يورد أبو الوليد الباجي في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" : تعريفا يظهر فيه مترلة الحجاج من العلوم الأخرى فيقول « إنّ الحجاج يعدُّ علما من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنا لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ، و لو لا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت الحجة ولا اتضحت محجّة ، ولا عُلِم الصحيح من السقيم ولا المعوجُّ من المستقيم »[3].

يؤكد الباجي على ضرورة علم الحجاج في معرفة الأشياء و التمييز بين صحتها وخطئها وقد جعله مرادفا لكلمة الجدل.

---

[1] ينظر: المرجع نفسه ، ص 361.

[2] أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص49.

[3] أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح عبد المجيد تركي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط3 2000 ، ص 08.

وقد جاء بكثير من الآيات والأحاديث المتعلقة بالحجاج و الجدل وكذلك أقوال الصحابة ويرى بأنّه على المُنَاظر أو الــمُحاجج أن يسلك الطريقة الصحيحة في الجدل وهي الطريقة المحمودة فكأن يمنع صاحب الجدل المتضلع في هذا الفن أصحاب الجدل المذموم من الذين يجادلون بغير علم.[1]

2-5- الحجاج عند حازم القرطاجني (ت.684هــ) :

يرى حازم القرطاجني أنّ الــمُخاطِبَ يهدف إلى التأثير في المتلقي بالفعل الذي يطلبه وليتحقق ذلك يجب مراعاة المرسل لحال المتلقي؛ فيسمح حازم للشاعر أن يلجأ إلى الإقناع أحيانا و الخطيب إلى التخييل أحيانا أخرى فيقول : « .. وإنّما ساغ لكليهما أن يستعملا يسيرا فيما تتقوم به الأخرى ، لأنّ الغرض في الصناعتين واحد ، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه ..»[2].

ومن هنا تتحدد ملامح البلاغة العربية التي يقرر فيها حازم قضية معقدة قامت عليها الدراسات الحديثة و هي البلاغة الإمتاعية و الإقناعية ويقول في موضع آخر « ولّما كانت النفوس تحب الافتنان في مذاهب الكلام ، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ، ليتجدد نشاطها بتجدد الكلام عليها ، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك جدواه أدعى إلى تحصيلها من ترك المعاونة ، كانت المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية أعود براحة النفس ، و أعون على تحصيل الغرض المقصود ، فوجب أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه ، وأن تكون الخطبة التي وقعت المراوحة بين معانيها أفضل من التي لا مراوحة فيها»[3]؛ إذ يؤكد حازم في هذا الكلام على قضية مهمة هي مراعاة أحوال المتلقين (النفسية) بحيث يراوح المتكلم في كلامه بين ذا و ذاك ، مراعاة لنفوسهم ولتجنب الوقوع

---

[1] ينظر : أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، ص 19.

[2] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، ص 361.

[3] المرجع نفسه ، ص 361.

في الملل ، الذي يجعلهم ينصرفون عن تلقي الخطاب فتضيع بذلك الفائدة من الخطاب خاصة إذا كان في سياق الإقناع.

كما ميّز بين نوعين من الكلام ، بين الأخبار و الاقتصاص و بين الاحتجاج و الاستدلال و ميّز بين طريقتين لإقناع الخصم وهما التمويهات و الاستدراج ، وهما من الاستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع؛ فيقول :« وتلك التمويهات و الاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرب في احتذائها »[1].

ولتمييزه بين هاتين الاستراتيجيتين ، يقول :« و التمويهات تكون في ما يرجع على الأقوال، و الاستدرجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله ، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريظه ، أو باطبائه إياه لنفسه وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم ، وكلام خصمه غير مقبول »[2].

ومن طرق تحقيق التمويهات عند "حازم" مايلي:[3]

-طي محل الكذب من القياس عن السامع.

- اغتراره إيّاه ببناء القياس على مقدمات توهم أنها صادقة لاشتباهها بما يكون صدقا.

- ترتيب القياس على وضع يوهم أنّه صحيح لاشتباهه بالصحيح.

- إلهاءُ السامع عن تفقد موضع الكذب بضروب من الإبداعات و التعجيبات التي تشغل النفس عن ملاحظة محل الكذب والخلل الواقع في القياس.

وفي عرضنا الموجز لنظرة البلاغيين القدماء إلى الحجاج نجده يُذكرُ بتسميات مختلفة باعتبار الاختلاف في التوجه الإيديولوجي لكل واحد منهم فَوَردَ بمعنى البيان و الإفهام عند الجاحظ وبمعنى الجدل عند ابن وهب ، ويعلقه بعضهم بالجدل والمناظرات.

---

[1] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 63.

[2] المرجع نفسه ، ص 64.

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص 64 ، 65.

مدخل ـــ

[1] ينظر: جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع و مصر ، دط ، 2000 ، ص126.

الفصل الأول:

الحجاج و التداولية مقاربة

نظرية .

- المبحث الأول: تحديدات و مفاهيم أولية .

- المبحث الثاني: الحجاج في البلاغة الجديدة .

- المبحث الثالث: المقاربة التداولية أداة فاعلة في تحليل الخطاب .

- المبحث الرابع: الحجاج في الفكر العربي المعاصر.

نريد في هذا الفصل النظري من البحث التوطئة والتمهيد للفصول التطبيقية ، لأنّنا سنعالج فيه الحجاج وأهم نظرياته الحديثة ، ليسهل علينا فيما بعد تطبيق نظريات الحجاج على نصوص المدونة وقبل عرض تلك النظريات ينبغي علينا تحديد الجذر اللّغوي للفظة الحجاج مع بعض المفاهيم الاصطلاحية

– المبحث الأول: تحديدات ومفاهيم أولية .

– مفهوم الحجاج لغة :

يعرّف ابن منظور (ت.711هـــ) الحجاج فيقول : « والحُجَّة : البُرْهان؛ وَ قِيلَ : الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري : الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. و التَّحاجُّ : التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ : حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً : نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً : غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه. وَفِي الْحَدِيثِ:فَحَجَّ آدمُ مُوسَى أَي؛ غَلَبَه بالحُجَّة [...] والحُجَّةُ : الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ ، فَعِيل بِمَعْنَى فَاعِلٍ. وَمِنْهُ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ : فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي »[1].

وأما ابن فارس (ت.395هـــ) فيعرف الحجاج على النحو الآتي: «يقالُ حَاجَجْتُ فلانا فحجَجْتُهُ أي غلبته بالحجّةِ ، وذلك الظّفرُ يكون عند الخصومةِ ، والجمع حُجَجٌ ، والمصدرُ الحجاجُ »[2].

ويقول الزمخشري (ت.538هـــ) في أساس البلاغة حجج أي :« احتجَّ على خصمه بحجّةٍ شهباءَ وبحجَجٍ شُهْبٍ وحاجَّ خصمه فحجّه ، و فلان خصْمُه محجُوجٌ وكانت بينهما محاجة و ملاجة »[3].

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مادة حجج ، ج 2 ط 3، 1414هـــ ، ص 228.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا ، مقاييس اللغة ، دار الجبل ، بيروت ، مج 2، ط1 ، ص 30.

[3] أبو القاسم بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تح محمد باسل عيون السود ، ط1-1998م ج1، ص 169.

من خلال هذه التّعاريف اللّغوية نجد أنّ الثلاثة قد اتفقوا على أنّ الحجاج يكون بمقارعة الحجة وغلبة أحد المتخاصمين على صاحبه أثناء الحوار والمناظرة أو المناقشة ، فالحجاج عند العرب من خلال هذه التعريفات هو مقارعة الخصم ودفعه إلى الإذعان لما يحمله من طابع الخصومة.

– اصطلاحا:

تذهب التّعاريف الاصطلاحية إلى أنّ الحجاج هو علاقة تخاطبية بين المتكلم والمستمع حول قضية ما ، وللمتكلم أن يدعم قوله بالحجج والبراهين قصد إقناع المتلقي.

يقول أبو الوليد الباجي : « وهذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأنا ، لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم »[1]. والمستمع في هذه الحالة يحق له الاعتراض على الحجة إن لم يقتنع لأنّ الحجاج هو : كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها[2].

والحجاج من خلال هذا التعريف تداولي لأنّ المتكلم في معرض دعواه يوجه خطابه إلى غيره قصد إقناعه بمراعاة مقتضى الحال ، ونفسية المخاطب ، حتى تستقر حجته وتثبت عند من يتوجه إليه بخطابه ، وهو ما أكده طه عبد الرحمن بأنّ الحجاج :« تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجها بقدر الحاجة»[3]، فالصفة التداولية للحجاج تتيح الفرصة للجميع بأن يتشاركوا فيه دون استثناء لأنّه لا يتصف بقواعد البرهان الذي يخضع لقوانين صارمة و أقيسة منطقية مضبوطة وبالتالي تكون نتائجه صحيحة لا تقبل الرد.

---

[1] أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، ص 8.

[2] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1997، ص 226.

[3] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص65.

إنّ الحجاج أوسع من البرهان لأنّه يتصف ببنيات واسعة ويتيح مقدمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة ، و لأنّ هدفه إقناعي قائم في بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة ، كأن تبنى الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان بل على هذه الصور مجتمعة على مضامينها أيما اجتماع وأن يطوي في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج[1].

ويربط عبد الهادي بن ظافر الشهري الحجاج بالإقناع فيقول : « الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللّغة فيها وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع »[2].

فالمرسل في خطابه يهدف إلى استمالة واستثارة المتلقي عن طريق الحجج التي تمكنه منها اللغة لما تمتلكه من خصائص ووسائل إقناعية قادرة على التأثير في آراء الغير.

وخلاصة هذه التعريفات : أنّ الحجاج جنس خاص من الخطاب ، يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات ، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا ، بغية إقناع الآخر بصدق دعواه ، والتّأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية[3].

ومن خلال هذه التعريفات نلحظ ما يلي :

- إنّ الحجاج يعتمد على مرسل ومرسل إليه.
- وإنّ وسيلته هي اللّغة.
- وإنّه يهدف إلى الإقناع.
- وإنّ عملية الإقناع تعتمد على دور المرسل ومهارته اللغوية في انتقاء الحجج والتبريرات والمقدمات بما يتناسب مع مقتضى الحال والمقام.

[1] طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 65 .

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الحديدة ، بيروت ، ط1- 2004، ص456.

[3] محمد العبد ، النص والخطاب و الاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة، 2014م ، ص 189.

- خصائص النص الحجاجي وضوابطه:

يتميز النص الحجاجي عن غيره من النصوص الأخرى بخصائص وسمات منها:

- أن تكون دلالة الألفاظ محددة والمرجع الذي يحيل إليه محددا بيد أن تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى ولكن لا يكسبه دقة ونهاية.

- ألاّ يقع المرسل في التناقض في قوله أو فعله ويجب أن يكون الحجاج موافق لما يقبله العقل، ولا يظهر زيف الخطاب ووهن الحجة.

- أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت مثل الثوابت الدينية والمعرفية، فليس كل شيء قابلا للحجاج أو النقاش، كالمسلمات التي يجب احترامها.

- تشارك طرفي الخطاب في المعارف، مما يسوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل أو إمكانية مناقشتها أو تفنيدها.

- أن تتكون للمرسل صورة عن المرسل إليه أقرب ما تكون إلى الواقع قدر الإمكان لأن اختيار الحجج وترتيب أولوياتها تتوقف على تلك المعرفة.

- مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام ، لأنه هو الكفيل بتسويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها.

- ضرورة خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنهما ، لأن من سمات اللغة أنّها تتيح لصاحبها الكثير من فرص التلاعب والمناورة.

- امتلاك المرسل لثقافة واسعة ، خصوصا ما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجاج ، مثل المجال الديني أو السياسي ، لأنه بدون ذلك الرصيد المعرفي لن يستطيع إثبات دعوى أو الاعتراض على قضية.

- هذه هي أهم ضوابط النص الحجاجي ، والتي بدونها يصبح النص الحجاجي كغيره من النصوص الأخرى خارجا عن مقاييسه وأصوله.

وقد جمع بنوا رونو سمات النص الحجاجي في النقاط التالية[1]:

- القصد المعلن: تغيير رأي المتلقي والتأثير عليه؛ لإقناعه بفكرة معينة وهي ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية (conative) للكلام.
- التناغم: فالنص الحجاجي نص يوظف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه في الكلام في جميع مراحله ما يبعث من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة (l'onvoutement) أو الانفعال (l'emotion) في نفسية المتلقي، فالمرسل هو الذي يتحكم في الخطاب ودرجة التنغيم فيه، فتراه يحذف ويطنب وبالمعنى الواحد على عبارات مختلفة فيظهر في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.
- الاستدلال: سياقه العقلي المنطقي ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه في ترتيب عقلي للعناصر اللغوية.
- البرهنة: إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال.

– أنواع الحجاج:

يصنف الحجاج إلى ثلاثة أنواع تعرض لها طه عبد الرحمن في كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) الحجاج التجريدي و الحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي ويختلف كل نوع عن الآخر بحسب اهتمامات كل واحد من هذه الأنواع سواء في الشكل أو في المضمون أو في ردة فعل المرسل إليه.

1– الحجاج التجريدي:

هذا النوع من الحجاج يهتم فقط بالشكل دون المضمون حيث يعتني بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها ، وعليه فالمقصود بالحجاج التجريدي هو الإتيان بالدليل على

---

[1] ينظر : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، الأردن ، ط2 – 2011م ، ص 26.

الدعوى على طريقة أهل البرهان ، علما أنّ البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها[1] فالحجاج التجريدي حسب هذا القول مجرد من الصفة التداولية ويتصف بصفات أهل البرهان.

2- الحجاج التوجيهي:

يهتم هذا النوع من الحجاج بالمخاطِب وانشغالاته بإيصاله رسالته إلى المخاطَب بصرف النظر عن ردة فعله و رأيه « فالمقصود بالحجاج التوجيهي هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل علما؛ أنّ التوجيه هو فعل إيصال المستدل إلى غيره ، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤُه ، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطَب لها وردة فعله عليها ، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة ، غير أنذ قصْرَ اهتمامه على هذا القصود والأفعال الذاتية يفضيه إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض »[2].

إنّ المرسل في هذا الصنف من الحجاج لايلقي بالا للمرسل إليه بل يكتفي بذاته وطريقته في إلقاء الخطاب وعلى عكس هذا النوع من الحجاج هناك نوع آخر يهتم بالمرسل إليه وآرائه وهو الحجاج التقويمي.

3- الحجاج التقويمي:

هذا النوع من الحجاج لا يقف عند حدود المتكلم وطريقته في إلقاء الخطب بل يراعي فيه ردة فعل المتلقي ، فالمرسل في هذا النوع من الحجاج عندما يوجه خطابه يستند على معرفته بالمرسل إليه وبعناصر السياق وما يقتضيه الحال. متأهبا لكل اعتراض قد يصدر من المرسل إليه فالمقصود بالحجاج التقويمي هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتًا ثانيةً يترلها مترلة المعترض على دعواه؛ فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226 .

[2] المرجع نفسه ، ص 227 .

المخاطب ، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط ، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقى ، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به ، مستبقا استفساراته ، واعتراضاته ، ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها »[1].

إن هذا الصنف من الحجاج يراعي فيه المرسل جميع عناصر العملية التخاطبية والحجاجية بما فيها المتلقي ودوره الفعال في هذه العملية ودوره الاعتراضي على الحجج والقضايا التي يرسلها الباثُّ ، و ليقضي هذا الأخير على هذه الاعتراضات لا بد له أن يكون عالما بالمتلقي وما يدور في ذهنه من أفكار ليسهل عليه بناء حجج يفند بها اعتراضات المرسل إليه ، وعلى هذا يعد الحجاج التقويمي من أفضل أنواع الحجاج لما يوفره من شروط في العملية الحجاجية.

المبحث الثاني: الحجاج في البلاغة الجديدة

1 – النموذج الحجاجي لبيرلمان وتيتيكاه:

إذا كان أرسطو قد ألف مصنفا كاملا لتخليص الممارسة الحجاجية من المغالطات السفسطائية وإظهار خطورتها على صحة العملية الحجاجية ومصداقية المحاجج ، فكذلك ألف بيرلمان (perelman) وتيتيكاه (tyteca) كتابا يعد من أشهر الكتب في العصر الحديث وهو كتاب " مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة أو Traite de l'argumentation - la nouvelle rhéthorique وعملا فيه على إخراج « الحجاج من دائرتي الخطابة والجدل معا، وتخليصه من التهمة المنسوبة إليه بأصل نسبه وهو الخطابة ، المرتبطة بالمغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور، وبعقله أيضا ودفعه دفعا للقبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها وعمل

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 228.

الباحثان من ناحية ثانية على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع و استلاب ، فالحجاج عندهما معقولية وحرية »[1].

والحجاج الذي كان في زمن أرسطو وأفلاطون استحوذ على العقول من خلال التملق بالكلام والمغالطة والإيهام ، في حين نجد الحجاج عند بيرلمان يمنح الحرية للمستمع ويخلصه من القيود الذي تجعله خاضعا منقادا ، ليجد بنفسه الحقيقة معتمدا على عقله في هذا الاختيار.

ويحدد بيرلمان و تيتيكا مفهوم الحجاج في كتابهما هذا بقولهما إنّ « موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم »[2].

وفي موضع آخرمن الكتاب يذكر الباحثان الغاية من الحجاج بقولهما : « غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة الإذعان ، فأنجحه ما وقف في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو ما وقف على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة »[3].

ومن خلال التعريفين يظهر لنا أنّ الهدف من الحجاج ليس هو إحداث تغيير في الآراء وتقبل العقل لما يطرح عليه ، بل يهدف أيضا إلى الحثّ على الفعل أو على الأقل التهيؤ للقيام بالفعل، وبيرلمان في كتابه (إمبراطورية البلاغة) قد ذكر هذه الوظائف للحجاج التي هي: الإقناع الفكري الخالص، الاستعداد لتقبل أطروحة ما، الدفع أو الحث على العمل[4] ، ومن هنا يدل الحجاج على

---

[1] عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس1 كلية الآداب منوبة ، ص 298.

[2] perelman et tyteca,1992 traite de l'argumentation, la nouvelle rhétorique , préface de michel meyer , 5éme édition, édition de l'université de bruxelles , p5.

[3] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 298.

[4] Chaim perelman 2002, l'empire rhéthorique: rhéthorique et argumentation,2 eme edition, augumenter d'un index, p26.

التأثير ثم العمل ، فالتّأثير هنا ناتج من إرادة المتلقي وتقبل عقله للحجج ، فهو في غايته « إحداث التأثير العملي الذي يمهد له التأثير الذهني »[1].

ومن أهم أبرز أفكار بيرلمان أنّه يعتبر الإقناع الوظيفة الأساسية للبلاغة وليس التأثير فالإقناع يوحي إلى أن يسلم به كائن عاقل فهو عام يعتمد بالأساس على العقل[2].

والبلاغة عند **بيرلمان** ليست صورا فنية وجمالية و تزيينية وظيفتها الإمتاع فقط بل هي تتميز بخصائص حجاجية وإقناعية بامتياز ، فالصورة البلاغية إذا استعملت في موضع مناسب بهدف الإقناع فهي صورة حجاجية وإمتاعية في نفس الوقت ، أما إذا لم تهدف إلى استجلاب موافقة المستمع فإنّ الصورة لا تعدو أن تكون محل إعجاب أو مصدر استحسان[3].

فالبلاغة الجديدة هنا هي البلاغة التي تتعارض مع بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديعية.

– مقومات الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه:

الحجاج عند **بيرلمان وتيتيكاه** ينبني على مجموعة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج بها الخطيب حججه لإقناع الجمهور ، وهي تتكون من الوقائع ، الحقائق ، الافتراضات ، القيم التراتبيات، المعاني أو المواضع.

1 – الوقائع: les faits

تعتبر الوقائع قارة ثابتة لا تتغير يلجأ إليها المتكلم للاستدلال بها إثناء إثبات قضية معينة وهي تصلح لتأسيس نقطة بداية « فهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس»[4] ويعتمد عليها المتكلم لأنها اليقين الذي لا خلاف فيه ولا مجال لدخول أي شك في نفسية المتلقي.

---

[1] عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته ، ص 298.

[2] Chaim perelman et lewie olbrechts tyteca: op. cit, p36

[3] ينظر:جميل حمداوي ، نظريات الحجاج ، شبكة الألوكة ، ص 29.

[4] Perleman et tyteca, traite de largumentation,op.cit, p 682

2- الحقائق: realités

هي أنظمة تقوم على الربط بين الوقائع في سبيل تكوين بداية حجاجية قوية والحقائق تعتمد على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية و تختلف الوقائع عن الحقائق بكونها ذات طابع عام يتشارك فيه جميع أصناف المجتمع ، بينما الحقائق ذات طابع خاص فالكثير من النّاس يجهلون المفاهيم العلمية والفلسفية.

3- الافتراضات : les présomptions

تستند الافتراضات في تقوية مسارها الحجاجي إلى مقومات أخرى والسبب أنّها تدخل في باب الممكن والمحتمل ، فيمكن أن تكون كاذبة ويمكن أن تكون صادقة ، فهي غير قارّةٍ على عكس الوقائع .

4- القيم : les valeures

وهي عنصر أساسي ولها ردود أفعال في العلوم الإنسانية لأنّها تغير مواقع السامعين وتدفعهم لفعل المطلوب وهي نوعان: مجردة كالشجاعة والعدل ، ومحسوسة مثل الوطن وأماكن العبادة ولها دور في بناء الثقة بين المتخاطبين[1] .

5- تراتبيات القيم : hiérarchies des valeurs

القيم ليست مطلقة وإنّما هي خاضعة لتراتبية ، فكل شيء درجات ، فالجمال درجات والقبح كذلك والعدل أفضل من النافع وبين المحسوسات تراتبية فالإنسان أعلى درجة من الحيوان وإنّ تراتبية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها ، وما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما يميزه ترتيبه إياها وهي نوعان:

رتب مجردة: مثل اعتبار العدل أفضل من النافع ، **ورتب مادية:** محسوسة كاعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان[2].

---

[1] ينظر: محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص111

[2] ينظر : عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص 310.

6- المعاني والمواضع: les lieux

هي مقدمات أعمُّ من القيم والتراتبيات وتسمى المعاني وهي عبارة عن مستودعات للحجج وتعد من الطرائق التي يستخدمها الخطيب طلبا للتصديق ، وهي تلعب دورا كبيرا في الحجاج والدفع إلى الفعل وخلخلة العقبات التصورية التي تكون راسخة أحيانا لدى المحاججين والتي تنسجم مع البناء الحجاجي المقدم[1].

وتنقسم هذه المواضع إلى مواضع مشتركة ومواضع خاصة ؛ حيث إنّ « المواضع المشتركة يمكن تفعيلها على حد سواء على أيِّ علمٍ من العلوم وهي لا تأخذ من أي علم ، والمواضيع الخاصة؛ هي خاصة إمّا بعلم معين و إمّا بنوع خطابي معرف »[2].

وتقسم المواضع أيضا باعتبار الكثرة والنوعية إلى نوعين منها : **مواضع الكم ومواضع الكيف** ، فمواضع الكم هي « المواضع المشتركة التي تدل على أنّ شيئا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية »[3]، مثل القوة في كثرة العدد والضعف في قلته ، أمّا مواضع الكيف «فتكمن خاصيتها الحجاجية في وحدتها الشكلية في مواجهة الجمع مثل موضع "الحق" في ذاته الذي يباين كل ما عداه من باطل »[4].

- طريقة عرض المقدمات (شكل الخطاب) :

إنّ اختيار المقدمات يخضع لطريقة عرض ، علما بأنّ اختيار العناصر وعرضها عمليتان متداخلتان إلى حد أنّهما تشكلان عملية واحدة ، إنّ نجاح العرض شرط ضروري لكل محاجة غايتها التأثير في السامعين بتهيئتهم للعمل المباشر سلوكا وبتوجيه أذهانهم لوجهة معينة فكرا.

ومن طرائق العرض الحجاجي للخطاب الإيجاز في مواضع الإيجاز، فلا يعرض من المقدمات ما هو معلوم لدى السامعين ، فيورث الثقل في النفوس ، ومنها أيضا كثرة الإشارات إلى الدقائق

---

[1] ينظر : محمد سالم الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 113.

[2] Perleman et tyteca, traite de largumentation ,op.cit, p 111.

[3] Ibid,p115.

[4] محمد سالم الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 113.

المتعلقة بالموضوع تكثيفا لتحضير حالة الحضور التي يريد المحاج أن يطبع بها الموضوع في أذهان السامعين، ومهما يكن فإنّ عرض المعطيات ينبغي أن يكون فيه المقال مطابقا للمقام من أجل حجاج ناجح معا[1].

وتمثل المقدمات الستّةُ التي حددها كل من بيرمان و لوسي أولبرايخت الشروط الأساسية لإقامة الحجاج وبناء مساره ، وهذه المقدمات أطر و موافقات cadresacords ينطلق منها الحجاج ، وقد توسع المؤلفان في المسالك الخاصة التي يتم من خلالها اختيار هذه المعطيات أو المقدمات وتكييفها حجاجيا[2].

و إذا كانت المقدمات التي تقدم في التصور البرهاني واضحة وأحادية الدلالة ، لذا هي تؤول من طرف الكل على نفس الشاكلة وصولا إلى نفس النتيجة ، فإنّ المعطيات في الحجاج تبقى ملتبسة حاملة لدلالات متعددة ، ولذلك فالمتكلم مجبر ، فضلا عن اختيار المقدمات ، بتوجيه الحجاج نحو تأويل معين ينسجم و مقصديته ، فيكون بذلك قد قرن معطياته باختيار دلالي معين لا يعني هذا إقبارا لاختيارات أخرى فلا شيء يمنع تأويلات جديدة ومختلفة لأنّ إمكانيات التأويل تبدو غير مستنفدة[3].

إن اختيار المعطيات وتكييفها حجاجيا لا ينفصل عن طريقة عرضها ، فالحجاج لا يكون فعالا بمعطياته فقط ولكن بصيغته وطريقة عرضه.

أمّا من ناحية المقدمات فلا يلجأ المحاج إلى استعمال المبتذلة منها ، المعلومة لدى الناس لأنّ ذلك يبدو ثقيلا غير محفز لانتباه المستمعين[4].

---

[1] ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلاته وتقنياته ، ص 318-319

[2] ينظر: عادل عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط10، 2013، ص89.

[3] ينظر : نفسه ، ص 89-90

[4] ينظر : عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته ، ص 324.

- مجال الحجاج عند بيرلمان وتتيكاه:

يتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية:

1. أن يتوجه إلى مستمع.
2. يعبر عنه بلغة طبيعية.
3. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
4. لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
5. ليست نتائجه ملزمة.[1]

وبالتالي فالحجاج « عبارة ن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب »[2].

ومما سبق يمكن القول إنّ أهداف البلاغة الحجاجية ترتكز في مجملها للوصول إلى التّأثير على القواعد والنماذج التي يستطيع المتكلم أو الخطيب أن يُوجهَ جمهوره ويحركه بحججه المقنعة ، لأنّ البلاغة المطابقة لنظرية الحجاج تهدف إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة الأشخاص للحجج التي تقدم لهم.

- تقنيات الحجاج عند بيرلمان و تتيكاه :

تقنيات الحجاج لبيرلمان و تيتكاه تنقسم إلى فئتين يخص تقنيات الحجاج اللّغوية ، المتمثلة في طرق الوصل وطرق الفصل ، ويقصد بالأولى« ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها ، وكذلك تقويم كل منها بواسطة أخرى سلبا أو إيجابا [...]وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا ، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها »[3].

---

[1] أوليفي روبول ، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟ترجمة محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، أفريقيا الشرق،المغرب، 2005، ص220.

[2] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006 ، ص 203.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 477.

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى[1]:

- الأدوات اللّغوية الصرفة : مثل ألفاظ التعليل بما فيها الوصل النسبي ، والتركيب الشرطي وكذلك الأفعال اللغوية ، والحجاج بالتبادل ، والوصف وتحصيل الحاصل.
- الآليات البلاغية : مثل تقسيم الكل إلى أجزائه ، والاستعارة ، البديع ، التمثيل.
- الآليات شبه المنطقية : ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته اللّغوية والروابط الحجاجية :(لكن ، حتى ، فضلا عن ، ليس ، كذا فحسب ، أدوات التوكيد) والصيغ الصرفية مثل أفعل التفضيل ، وصيغ المبالغة.

2– الحجاج في تصور أوزوالد ديكرو(o.ducrot) وجان أنسكومبر(j. anscombre):

وتنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها " أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" وهي تحاول أن تبين أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية ؛ أي إنّ هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها ، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية[2].

والحجاج من هذه النظرية ظاهرة لغوية نجدها في كل خطاب ، باعتبار الحجاج آليات لغوية محضة ، وذلك أنّ نظرية ديكرو اللسانية تنطلق من ثلاثة مبادئ أساسية هي:

- إنّ الوظيفة الأساسية للّغة هي الحجاج.
- إنّ المكون الحجاجي في المعنى أساس والمكون الإخباري ثانوي.
- عدم الفصل بين الدلالات والتداوليات[3] .

ومن ثم لا يكون الهدف إخبار المتلقي وإنما التأثير فيه قصد اتخاذ موقف ، ومن هذا المنظور تعتبر اللّغة فعلا وحجاجا وليست نقلا للمعلومات والإخبار عنها.

---

[1] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 477.

[2] ينظر : أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ط 1 – 2006 ، ص 14 .

[3] ينظر: شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس ، كلية الآداب منوبة ، ص 351.

– التداولية المدمجة:

وبحال البحث في هذه النظرية هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة لأنّ نظرية ديكرو وأنسكومبر قائمة على الرأي القائل بأنّ هناك فصلا بين الدلالة والتداولية ، وعليه يكون « مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبينة اللغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن »[1]، ومعنى ذلك أنّ المفترض من هذا الموقف أنّ التخاطب العادي لا يتم بتبادل أخبار عن حالات الأشياء في الكون بقدر ما يتم بتبادل الأعمال اللغوية « فالموقف المبدئي من التداولية المدمجة ؛ هو أنّ اللّغة تحقق أعمالا لغوية وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون ، وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لاعن الكون »[2] وبهذا يظهر لنا أنّ الباحثَيْنِ قد اعتبرا اللّغةَ في حد ذاتها هي الأصل في البحث عن الدلالة التداولية.

أمّا من ناحية الحجاج في هذه النظرية هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه ، وقد عرف ديكرو الحجاج في كتابه " الحجاج في اللغة" على النحو الآتي « يقوم متكلم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولا (ق1) أو (مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى »[3] فالقول(ق1) هو الحجة التي يصرح بها المتكلم ، أمّا (ق2) فهي التي يستنتجها المستمع ، وهذه النتيجة تكون إمّا مصرحا بها أو ضمنية ، لذلك فإنّ الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر هو « إنجاز لعملين هما : عمل صريح بالحجة من ناحية ، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء أكانت النتيجة مصرحا بها أم ضمنية »[4].

وشكري المبخوت الذي اجتهد في توضيح نظرية ديكرو في الحجاج ، قال إنّ الحجاج في التداولية المدمجة هو : « علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب ، تنتج عن عمل المحاجة ، ولكن

---

[1] شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ص 351.

[2] المرجع نفسه ، ص 354 .

[3] oswald ducrot et Jean-claud anscombre, l'argumentation dans la langue , éditeur Pierre mardaga , bruxelles ,1983, p ,08 .

[4] Ibid, p11

هذا العمل محكوم بقيود لغوية فلا بد من أن تتوفر في الحجة (ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق2)، لذلك فإنّ الحجاج مسجل في بنية اللّغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية »[1] ، وعلى هذا فإنّ التداولية المدمجة قد حصرت دراسة الجوانب التداولية في اللغة ذاتها ، وحصرت الحجاج داخل أبنية اللغة ، نظرا لما تتصف به هذه الأخيرة من وظائف حجاجية متنوعة تسمح بتوصيل رسالة معينة إلى المتلقي.

فموضوع الحجاج في هذه النظرية هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه ، يجعل المتكلم في اللّحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما ، وهذا التوجه مصوغاته موجودة في البنية اللّغوية للأقوال وليس رهينة المحتوى الخبري للقول وليس رهينة أي بنية من خارج نظام اللغة ، فالقول الحجاجي مجاله الخطاب نفسه الذي تسيره قوانين داخلية تفرض استئناف القول فيه على هذا الوجه أو ذاك[2]، وفي جل الأقوال هناك بعض السمات التي تحدد قيمتها التداولية بالاستقلال عن محتواها الخبري.

يميز ديكرو وأنسكومبر بين نوعين من الأفعال ، فعل المحاجة وفعل الاستدلال ، حيث إنّ الاستدلال يكون من خلال وجود علاقة بين الحجة (ق1) والنتيجة (ق2) وهذه النتيجة تستند إلى حدث معين في الكون ، أمّا فعل المحاجة فلا علاقة بين الحجة (ق1) والنتيجة (ق2) ومثال ذلك:

أ: اتصل بي عليٌّ ودعاني لزيارته.

ب: إذن أنت هو زيدٌ ؟

يعتبرما قاله (ب) فعلا استدلاليا ارتبط بما قاله (أ).

أما في الحوار الآتي:

أ: إنّه صغير.

ب: رغم ذلك فهو قوي.

---

[1] شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ص 360-361.

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص: 352.

لا يوجد في القول (أ) ما يشير إلى النتيجة التي توصل إليها (ب)، وعليه نقول إنّ الحجاج والاستدلال ظاهرتان مختلفتان فعمدة الاستدلال هو علاقة رجعيات المتكلم بحالة الأشياء ، أي ترابط الأحداث والوقائع في الكون ، أمّا الحجاج فهو موجود في اللغة ذاتها وحسب[1]، فالحجاج علاقة الحجة بالنتيجة التي تتحقق من خلال العلاقة بين الأقوال داخل الخطاب والتي تمثل أبنية اللغة بصفة عامة.

وممّا تقدم يتضح لنا أنّ بلاغة القرن العشرين أو ما يسمى بالبلاغة الجديدة ، قد ركزت على الخطاب بوصفه مسرحا للحجاج،وعلى الرغم من اهتمام الفريقين(بيرلمان وتيتكاه) وكذا (ديكرو وأنسكومبر) بالهيكلة الحجاجية إلا أنّ اختلافا في سياق البحث قد ظهر بينهما ، وذلك أنّ بيرلمان ألحّ على تقنيات الخطاب ، فحجاج بيرلمان يعد من الحجاج الذي يتحدد بقدرة الملفوظ في توجيه الأذهان إلى الإذعان ، وأنّ الكلام عنده ليس كله حجاج ، بينما ديكرو و أنسكومبر فكل كلام حجاجي بطبعه.

- نظرية السلالم الحجاجية عند ديكرو:

تنطلق نظرية السلالم الحجاجية عند شكري المبخوت « من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة (ق) والنتيجة (ن)، ومعنى التلازم هنا هو؛ أنّ الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية »[2].

وسميت بالسلالم الحجاجية لأنّ الحجج قد تكون متفاوتة في درجة قوتها فتشكل بذلك سلما يتدرج من أضعف حجة حتى يصل إلى أقواها. والنتيجة قد تكون صريحة وقد تكون ضمنية ، وقد أعطى شكري المبخوت مثالا حول النتيجة الضمنية في قوله:

(أ): ماذا تريد أن تفعل اليوم؟

(ب): ألا ترى أن الطقس جميل؟.

[1] ينظر : شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ص 362.

[2] المرجع نفسه ، ص 362.

فالاستفهام في (ب) يمثل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج في نزهة مثلا ، وإن لم يقع التصريح بهذه النتيجة[1] ولكن على الرغم من أنّ هذه النتيجة ضمنية إلاّ أنّ القول (ب) أبقى على القرينة والمفتاح الذي يمكن لنا أن نفهم منه النتيجة ، والتي هي من سبيل ، النزهة تكون في الجو الجميل.

وقد تكون الحجة التي تدعم النتيجة مجموعة من الحجج لنتيجة واحدة إلاّ أنّ هذه الحجج متفاوتة في درجة القوة ، ونضرب مثالا لتوضيح هذه الفكرة أكثر:

1. الجو سيء .
2. الجو بارد .
3. الجو قارس .

و إذا افترضنا أنّ أحد هذه الأقوال قدم حجة لنتيجة هي (لزوم البيت) فإنّ الحجة رقم (3)هي أقوى الحجج ولهذا « الحجج لا تتساوى ولكنّها تترتب في درجات قوة وضعفا ، و مأتى هذا الترتيب هو أنّ الظواهر الحجاجية تتطلب دوما وجود طرف آخر ، تقيم معه علاقة استلزام»[2] فالقول (3) موجود ضمن قائمة لوصف الجو ، فإذا كان قارسا يستلزم منه أن يكون باردا.

ويذكر شكري المبخوت المثال الآتي لنتمكن من استيعاب السلم الحجاجي:

زيد ذكي (=ن) فقد نجح في البكالوريا بامتياز (=ق) وتحصل على جائزة رئيس الجمهورية (=قَ). نلاحظ من خلال هذا المثال أن النتيجة (ن) دعمتها حجتان (ق) و(قَ) فهذان القولان (ق) و(قَ) يدعمان نتيجة واحدة وهي ذكاء زيد ، وبالتالي فإنّ القولان (ق) و(قَ)- ينتميان إلى قسم حجاجي واحد يحدد القول (ن)، فالقسم الحجاجي إذن هو أن يقدم المتكلم قولين (ق) و(قَ)، معتبرا إياهما حجتان لفائدة النتيجة ، مع اعتبار إحدى هاتين الحجتين أقوى من الأخرى بالنسبة إلى (ن) كأن نقول:

---

[1] ينظر : شكري المبخوت ، المرجع نفسه ، ص 364.

[2] المرجع نفسه ، ص 364.

زيد ذكي فقد نجح في البكالوريا بامتياز، بل تحصل على جائزة رئيس الجمهورية . هناك فرق بين 1 و2 ففي المثال الأول قدمت الحجتان (ق) و(قَ) لفائدة (ن)، لكن في المثال الثاني هناك تفاوت من حيث قوة هذه الحجج حيث إن (قَ) أقوى من (ق) فالقبول بـــ (قَ) يستلزم القبول بـــ (ق) لكن العكس غير صحيح ، ومن خلال هذا يكون الترتيب في الحجج سلما حجاجيا يمثله ديكرو بالرسم الآتي:

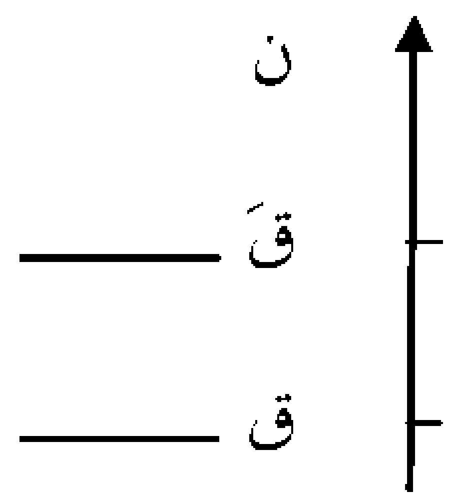

نستنتج من خلال هذا المثال كله أنّ السلم الحجاجي يتكون من حجتين(ق) و(قَ) تدعمان الحجة (ن)، وأنّ هاتين الحجتين يجب أن تنتميا إلى قسم حجاجي واحد؛ أي يجب أن تدعما نتيجة واحدة ، وأن تكون هذه الحجج متفاوتة حيث أن (قَ) أقوى من (ق)، وهذا الذي توصل إليه ديكرو كنتيجة للسلالم الحجاجية حيث يقول: « تكون الجملة (قَ) أقوى من (ق) إذا كان كل قسم حجاجي يتضمن (ق) متضمنا أيضا لـــ (قَ)، وإذا كان (قَ) يفوق في كل مرة (ق)»[1].

فالسلم الحجاجي هو عبارة عن مجموعة من الأقوال ، ذات علاقة تراتبية و استلزامية بالشرطين التاليين:

أ) كل قول يقع في مرتبة من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب) كل قول كان في السّلم دليل على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه[2].

ويمكن تبيين ذلك من خلال المثال الآتي:

---

[1] Oswald ducrot,1980, les échèlle argumentatives de minuit, paris, p20 .

[2] ينظر : طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 277.

- أكرم علي أخاه.
- أكرم علي صديقه.
- أكرم علي عدوه.
- النتيجة هي علي من أجود الناس وأفضلهم خلقا.

- ونبين ذلك بالرسم الآتي:

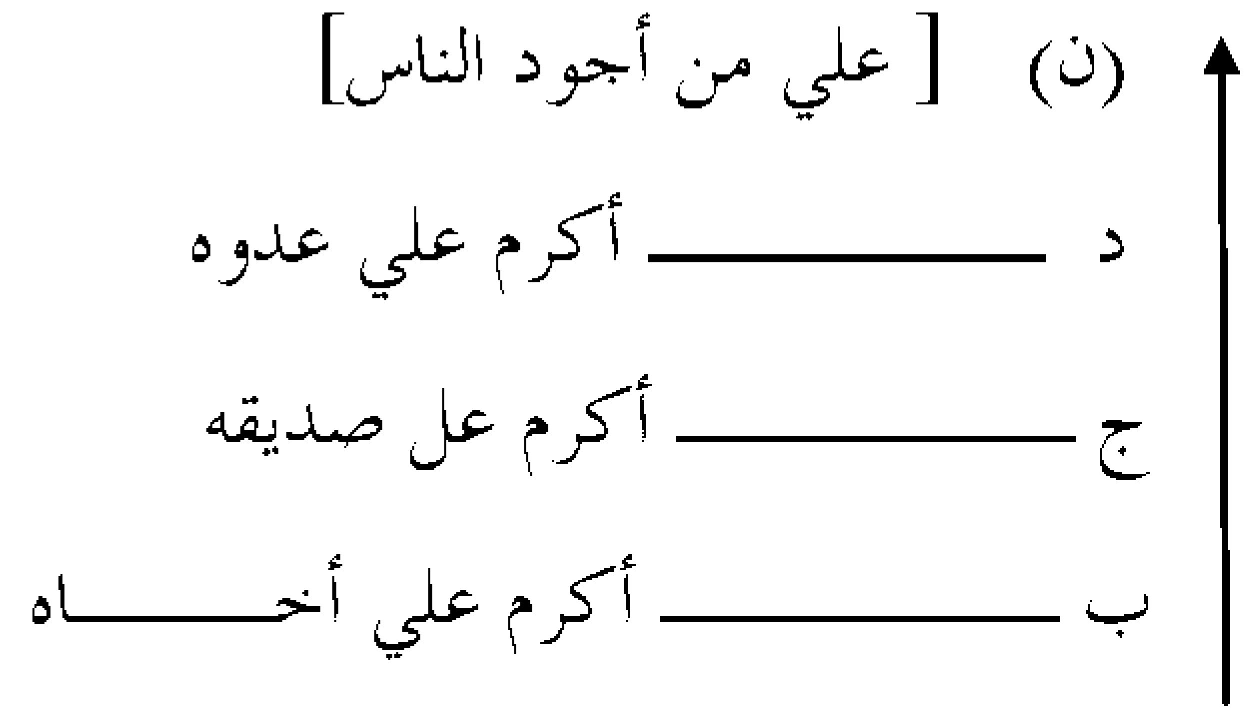

حيث (ب) و(د) و(ج) ترمز إلى النتيجة (ن) والقول (د) يلزم عنه القول (ج) الذي يلزم بدوره القول (ب)، كما أن (د) أقوى إثباتا للمدلول (ن) من (ج)، والذي هو بدوره أقوى إثباتا لهذا المدلول من (ب).

– الروابط والعوامل الحجاجية عند ديكرو:

اهتم ديكرو بظاهرة العوامل الحجاجية ، نظرا لما تحدثه هذه الأخيرة من انسجام في الخطاب وقيادة المستمع إلى الاتجاه الذي يريده المتكلم ، « وهي وحدات تربط بين الأقضية ، وفي ذلك قوة الخطاب وروحه وحياته ، واستعمال حروف الربط هذه استعمالا جيدا أو فاسدا هو الذي يعطي الخطاب هيأةٍ من عدم الانسجام والتفكك »[1].

والربط يمثل الجامع بين الجمل ، ولكل رابط معنى ووظيفة يؤديها داخل الخطاب أو السياق الذي يرد فيه وهذا ما بينه الجرجاني(ت.471هـــ) في سياق حديثه عن الفصل والوصل قائلا :

[1] محمد لشهب ، الروابط الحجاجية في المقامة– مقامة النحو الزمخشري نموذجا ، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب ، إشراف وتقديم د. أحمد قادم، د.سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م، ص446.

«فليس الفصل للعلم بأنّ الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ ، وثمّ بشرط التراخي ، وإنّ لكذا و إذ لكذا ولكن لأن يتأتى لك ذلك إذا نظمت شعرا وألفت رسالةً ، أن تُحسنَ التخيُّرَ وأن تعرف لكل من ذلك موضعه »[1]، فالربط بهذا المعنى علاقة منطقية تسهم في تكوين قضية مركبة انطلاقا من قضيتين بسيطتين بواسطة رابط مثل الواو.

إن لهذه المكونات اللّغوية دور فعال في تحقيق الوظيفة الحجاجية وهي على ضربين:

النوع الأول : « فهو ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الاستثناء(الواو، الفاء، لكن، إذن) ونسميه روابط حجاجية ، وأمّا **النوع الثاني** فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي ، أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل "منذ" الظرفية و "تقريبا" و على" الأقل " ونسميه عوامل حجاجية»[2]. فالروابط الحجاجية les inonnecteures إذن هي ما تعنى بربط عناصر الكلام كقولنا: أتى محمد وخالد ، لكنّ عمر لم يأت ، أمّا العوامل الحجاجية les operateures فهي تُعنَى بالجملة كلها مثل إدخال أسلوب الحصر والنفي عليهما مثل : ما أتى من الضيوف إلا محمد.

ويذكر لنا شكري المبخوت المثال الآتي[3] لفهم ما قلناه سابقا:

1- لن نفتقر فثمن التذكرة ثلاثون دينارا.

2- سنفتقر فثمن التذكرة ثلاثون دينارا.

و إذا أدخلنا وسائل الربط الحجاجية إلى هذين المثالين فإننا سنجد:

3- لن نفتقر فما ثمن التذكرة إلا ثلاثون دينارا.

4- سنفتقر فما ثمن التذكرة إلا ثلاثون دينارا.

---

[1] الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تعليق محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص 250.

[2] شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ص 376-377.

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص 376.

فيلاحظ أنّ الربط في المثال رقم 4 غير سائغ ، في حين إنّ الربط في المثال رقم 3 حسن جميل، وذلك راجع لدخول الحصر على الجملة ، وتوجيهها وجهة إيجابية ، أي وجهة تدعم نتيجة "لن نفتقر" وهذه الوجهة الإيجابية موجودة في بنية "ما ... إلا..." ومن خلال هذه الأمثلة نلاحظ أن العوامل والروابط الحجاجية تمثل دورا هاما في بناء الحجج وانسجامها وحسن ربط الحجج بالنتيجة ، ولكنّ العمدة في حسن تخير هذه العوامل الحجاجية بما يتناسب مع المقام كما أورد ذلك الجرجاني في دلائل الإعجاز.

3- الحجاج عند ماير mayer (نظرية المساءلة) :

يعتقد الفيلسوف البلجيكي أنّ طبيعة الكلام المبنية على السؤال والجواب هي المنتجة للحجاج ، لأنّ عملية التساؤل والجواب يثيران النقاش والتفاوض بين المتحاورين والذي بدوره يمثل الحجاج ، ولأجل هذا يعطي ماير أهمية بالغة لنظريته التساؤلية لما لها من آثار حجاجية ، لأنّ كل كلام بالنسبة إليه قائم على التساؤل ، الذي يتوج في الأخير بعملية الاستنتاج « فالحجاج متعلق لدى ماير بنظرية المساءلة وهو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي إلى نتيجة أو موقف نحمل الغير على اتخاذه إزاء مشكل مطروح ، في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال وجواب »[1].

- الحجاج والمجاز:

يتفق ماير مع أستاذه بيرلمان حول أهمية الصور البلاغية في الحجاج؛ إذ إنّ ماير يعترف بالدور الذي تؤديه البلاغة في الحجاج وخاصة المجاز إلى درجة : «أنّه يعتبر كل بلاغة حجاجا وبالعكس ، أي إنّه – بعبارة أخرى- يطابق بين المفهومين إذ هما – الحجاج والبلاغة – يهدفان في نظره إلى تضييق شقة الخلاف بين المحاورين والمتخاطبين أو إلغائها »[2] ، فهو -أقصد ماير-

---

[1] محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير، ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس1، كلية الآداب منوبة، ص 394.

[2] سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص136.

يعتبر الصور المجازية مكونا وعنصرا رئيسا في إقناع المتلقي وبالتالي تقريب المسافة بينه وبين المتكلم والاتفاق حول وجهة نظر هذا الأخير، وقال مايير عن المجاز أنه : « ينشئ المعنى ويصدم كل من لا يشارك المتكلم وجهة نظره ، وهو وسيلة التّعبير عن الأهواء والانفعالات والأحاسيس التي تمثل صورا من الإنسان مثلما يمثل المجاز صورة عن الأسلوب »[1].

وهناك من يتفق مع مايير حول هذه النظرة مثل طه عبد الرحمن في كتابه "اللسان والميزان" بقوله : « فلا حجاج بغير مجاز »[2] و عبد السلام عشير الذي يقول : « وأمّا المجاز فيؤدي إلى الافتراض ، والافتراض يؤول إلى الجدل والنقاش ، وإلى التعارض الخصب الذي يترجمه الحجاج»[3]. وعلى هذا فالمجاز يحمل في طياته الكثير من السّمات والخصائص ، المتعلقة بإقناع المتلقي ، أو بتعبير المتكلم عن مشاعره وأحاسيسه ، وله سمة أخرى تتعلق بتزيين الخطاب من الناحية الشكلية.

والصور البلاغية في الحجاج عند مايير تستجيب لنظريته المساءلة ، لأنّ « الصور البلاغية إذا ما طرحت في الخطاب فذاك يعني أنّ سؤالا طرح فيه ، والسؤال يستدعي بالضرورة جوابا.. يستفهم السّامع ويدعوه إلى الإجابة عن السؤال المطروح وتتأتي الإجابة بتجاوز ظاهر اللّفظ الحامل، فالجواب سؤال في حدّ ذاته لأنّه يحدد وجها واحدا من الجواب وتبقى بقية الوجوه متعلقة بأسئلة جديدة تطرح »[4].

إنّ ظاهرة التساؤل التي تطرح في كل مرة في الصور البلاغية سببها يرجع إلى العلائق التي تربط بين حدود هذه الصور ، فالصورة البلاغية المجازية في أول أمرها تكون غامضة في ذهن المستمع ، فيستدعي ذلك تساؤل من قبله ، عن المعنى والمدلول المراد لهذه الصورة ، وعند تحليلها فإنه يقع على الجواب الذي يقوده إلى تقبل الفكرة.

---

[1] Michel meyer, Questions de rhétorique, paris, 1993, p 98.

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 232.

[3] عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، ص 209

[4] محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، ص 396.

وقد أورد محمد علي القارصي[1] مثالا على هذا: محمد أسد ، فمن خلال هذا المثال ، يظهر لنا أنّ ظاهر اللفظ في هذه الجملة لا يعني الحقيقة ، وعندها يتساءل المخاطب عن العلاقة بين محمد والأسد ، فالاختلاف بين محمد و الأسد؛ أي بين المسند والمسند إليه هو أصل التساؤل ومصدره، ولا يكون الحلّ إلاّ في الجواب المفسِّرِ للعلاقة بين الطرفين ، يرى مايير في هذه الحالة أنّ هناك ثلاثة مستويات: مستوى الإنسان الذي يراد وصفه (محمد) ومستوى الحيوان (الأسد) والمستوى المشترك (الشجاعة) إلا أنّ هذا المستوى المشترك الذي هو الشجاعة لم يذكر في هذا المثال ، لذلك ينهض السؤال للبحث عن عوامل التشابه والاختلاف بين الطرفين (محمد) و(الأسد).

المبحث الثالث: المقاربة التداولية أداة فاعلة في تحليل الخطاب :

– تعريف التداولية:

يعد تقديم تعريف للتداولية يجمع جميع عناصرها وجوانبها أمرا من الصعوبة بمكان، ذلك أنها مبحث لساني ونظرية لمـّـا يكتمل نماؤها بعد، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجدها تتقاذفها مصادر معرفية عديدة[2]، وتتداخل مع كثير من العلوم الأخرى، الأمر الذي يجعل كل باحث يعرفها من مجال تخصصه.

أ) **لغة**: لفظ التداولية في أصله العربي يعود إلى جذر (دول)، ولهذا الجذر معان متعددة ومختلفة، لكنها لا تخرج عن معنى التبدل والتحول ، فقد ورد في معجم لسان العرب لابن منظور: « تداولنا الأمر ، أخذناه بالدول وقالوا دواليك؛ أي مداولة على الأمر.. ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم ، جعل الكثرة لهم عليه، .. والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم.. وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما »[3] من خلال هذه المعاجم يلاحظ أنها لا تكاد تخرج في شرحها للكلمة دول عن معان التحول والانتقال والتبدل والتغير.

---

[1] ينظر : محمد علي القارصي ، البلاغة والحجاج، مرجع سابق، ص396، 397.

2 ينظر خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص63.

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 11 ، ص 252-253 .

وأيضا تلك هي الحالة بالنسبة لاستعمال اللّغة فهي تتحول من المتكلم إلى السامع، و«متنقلة بين الناس يتداولونها بينهم ولذلك كان مصطلح " تداولية" أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية ، النفعية ، السياقية »[1]، وأمّا مصطلح التداولية في أصله الأجنبي "Pragmatique" فإنه يعود إلى الكلمة اللاتينية "Pragmaticus" المبنية على الجذر "pragma"، ويعني العمل أو الفعل[2] "Action" .

اصطلاحا:

محاولة الوقوف على تعريف موحد شامل للتداولية يعد أمرا صعبا ، بسبب تنوع خلفياتها ومرجعياتها ، و نحاول أن نختار منها ما له علاقة بالجانب اللّغوي التواصلي ومن أبرزها ما جاء به "فرانسيس جاك" (Françis jaques): «تتطرق التداوليةُ إلى اللّغةِ كظاهرةٍ خطابية وتواصلية واجتماعية معًا »[3]. فتتجاوز التداولية في دراسة اللّغة حالتها الشكلية إلى دراستها في حالة الاستعمال لتقف على مقاصد المتكلمين وما يقتضيه المقام التخاطبي.

ويعرفها المغربي طه عبد الرحمن بكونها تختص بوصف كل « ما كان مظهرا من مظهر التواصل والتفاعل بين صانع التراث من عامة الناس وخاصتهم...؛ فالمقصود بمجال التداول في التجربة التراثية ، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث »[4]، ومن خلال النظر في هذه التّعاريف تعد التداولية في أوجز تعريفاتها وحدودها "دراسة للّغة أثناء استعمالها في مقام التخاطب بحيث تقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب للوصول إلى المقاصد والأغراض" ، فالتداولية إذن تبحث في الشروط المناسبة لضمان نجاح الخطاب و ملاءمته للموقف التواصلي الذي يتلاقى فيه المتكلم والمستمع.

---

1 خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 148.

2 ينظر : نواري مسعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1، 2009 ، ص 18

3 فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، تر سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط المغرب ، 1986 ، ص 12.

4 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ص 244.

وتبرز أهمية التداولية في كونها تهتم « بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ، وتصير التداولية من ثمّ جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي »[1]، وزيادة على هذا تبحث في « كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم »[2]. وهي دراسة « تهتم باللّغة في الخطاب ، وتنظر في الوسيمات الخاصة به ، قصد تأكيد طابعه التخاطبي »[3]

اعتمادا على ما سبق يتضح لنا أنّ التداولية دراسة لسانية تحاول تفسير المقاصد الكلامية من قبل المتلقين مع تحديد المقام والسياق وأحوال المتخاطبين للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر الفعال كما أنّ التداولية تعد ملتقى لمجموعة من العلوم .

- نشأة التداولية:

في محاولتنا للوقوف على الإرهاصات الأولى للتداولية يجب أن نقف على ما قدمه الفلاسفة التحليليون؛ لأنّهم اتجهوا اتجاها فلسفيا ركز على موضوع اللّغة ومحاولة كشف أسرارها وتوضيحها من مهامها الفلسفية[4]، ويعد فريجة (G.Frege) مؤسس هذا الاتجاه الفلسفي وقد تأثر به عدد من الفلاسفة مثل : هوسرل (E. Husserl) وكارناب (Karnap) و فيتغانشتاين (Wittganstein) و أوستين (AUSTIN) و سيرل (Searle) بحيث تجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة مفادها « أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة فهي التي تعبر له عن هذا الفهم ، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها »[5].

---

[1] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال اكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص 15 .

[2] أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص12.

[3] فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى كوفمان ، تر صابر الحباشة ، دار الحوار ، سوريا ط 1 ، 2007 ص 18 .

[4] ينظر : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ص 20.

[5] مسعود صحراوي ، المرجع السابق ، ص 21.

ويدعوا الاتجاه التحليلي إلى[1]:

1- التركيز على اللّغة باعتبارها هدفا من أهداف التحليل الفلسفي ، وليست مجرد أداة .

2- تفتيت القضايا؛ إذ يفضلون أن يكونوا على معرفة تامة بالمسائل الصغيرة ، تلك التي تؤدي في نظرهم إلى الدقة والإتقان ، وهذه النظرة هي التي تحقق الشمولية .

3- تجديد بعض المباحث اللغوية و تعميقها ، خاصة مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنه.

وتنقسم الفلسفة إلى ثلاثة أقسام رئيسة[2]:

- الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب
- الظاهراتية اللّغوية بزعامة إدموند هوسرل.
- فلسفة اللغة العادية بزعامة فيتغانشتاين.

الوضعانية المنطقية : يتزعمها "رودولف كارناب" الذي تتلمذ على يد "فريجة" ويرى أصحاب هذا الاتجاه في طوره الأول أنّ اللغة الجديرة بالتحليل هي اللّغة المثالية ، لكن سرعان ما غير كارناب مواقفه ليهتم باللّغات اليومية فقام بتطوير فلسفته لتكون تداولية ، لإحساسه بأنّ اللّغة هي تعبير عن الواقع ودلالة عليه بالدرجة الأولى[3]، فتعد هذه الأعمال بداية الإرهاصات الأولى للتداولية.

الظاهراتية اللغوية : من أبرز رواد هذا الاتجاه إدموند هوسرل حيث يعود الفضل لهذه المدرسة في الوقوف على القصدية التي هي أس أساس الدراسة التداولية؛ لأنّ مبدأ القصدية مبدأ إجرائي من صميم اللسانيات التداولية[4].

---

[1] ينظر : محمد مهران رشوان ، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط 2 – 1984، ص 154 - 155 .

[2] ينظر : كادة ليلى ، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا ، رسالة دكتوراه (مخطوط)، ص 22.

[3] ينظر : فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د–ط) 1985 ص 128.

[4] ينظر : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 23 .

فلسفة اللّغة العادية : رائد هذا الاتجاه هو الفيلسوف لودفيغ فيتغانشتاين وقد اهتمت هذه الفلسفة بالحديث عن طبيعة اللّغة و طبيعة المعنى في اللغات العادية ، وترى أنّ المعنى ليس ثابتا ولا محددا[1] وتهتم هذه الفلسفة باللّغة العادية بوصفها المعبرة بشكل صادق عن التصورات والمفاهيم لذلك لم يكتفِ فيتغانشتاين بالدعوة إلى تحليلها فحسب؛ بل دعا إلى الحكم بها على صحة وبطلان ما يقال من عبارات[2] .

ويَعتبرُ فيتغانشتاين اللّغة أداة ولعبة؛ بحيث تتعدد معاني الكلمة بتعدد استخداماتها داخل اللّغة العادية ، وباختلاف السياقات التي ترد فيها ، فاللّغة عنده « ليست كالرجل الصّارمِ يعرف دائما ما يريد طبقا لعادة محددة ، وإنّما كرجل فضفاض متفائل ، له مناشط متعددة يتلاعب بما لديه من أدوات دون صرامة أو خطة محكمة يسير وفقها »[3] لأنّ اللّغة نظام مرن من المفردات لها قدرات غير محدودة في توليد معان متعددة ، إذا تغيرت المقامات والسياقات التي تقال فيها وبحسب الأغراض التي يرمي إليها المتكلم .

يعد هذا التيار الفلسفي الأخير في صميم التداولية ومنه انبثقت إجراءاتها ومفاهيمها خاصة بعدما تأثر بعض الفلاسفة بأعمال فيتغانشتاين ومن أبرزهم صاحب نظرية أفعال الكلام أوستين الذي بدا عليه التأثر جليا بكتاب فيتغانشتاين (عندما يكون القول هو الفعل) وجاء بعده تلميذه سيرل بحيث انطلق من أفكار هذا الفيلسوف واعتمادها في دراسته للقوى المتضمنة في القول[4] .

ومحصلة القول إنّ الفلسفة التحليلية باهتمامها باللّغات الطبيعية من حيث استعمالاتها في مواقف متعددة ومقاصد المتكلم هو الذي مهد الطريق نحو ظهور الدرس التداولي كما هو معروف المعالم اليوم ، على يد أوستين وغيره من العلماء الذين كونت آراؤهم وأفكارهم جل النظريات التداولية التي تعنى بالدراسة والبحث في هذا العصر.

---

[1] ينظر : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 20.

[2] ينظر :صلاح إسماعيل التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993ص 34.

[3] محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، ص106، 107.

[4] ينظر : مسعود صحراوي ، المرجع السابق ، ص24.

إنّ التداولية اللّسانية اتّجاه جديد في دراسة اللّغة يبحث عن الحلول للعديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها النظريات اللسانية لذلك « يعترف كارناب أنّ التداولية درس غزير وجديد بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله : إنها قاعدة اللسانيات »[1]، والتداولية تعتبر محاولة جادة وفعالة للإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي فرضت نفسها على الساحة العلمية ، مستندة في ذلك على مجموعة من العلوم الإنسانية والاجتماعية وهي أسئلة من قبيل : ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء ونقصد به غير معناه العرفي؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللّغة؟ [2].

وأصبح للتداولية مكانتها المعترف بها في الدّرس اللساني في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن طورها فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أكسفورد (Oxford) "جون أوستين" و "جون سيرل" و " بول كرايس" grice ، فكانت أعمالها من صميم البحث التداولي.

– المصطلحات الإجرائية للتداولية:

يدخل تحت مفهوم التداولية مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي تمكنها من الولوج إلى عوالم النصوص اللّغوية في سياقاتها الاستعمالية بحيث تبرز هذه الأدوات في الكشف عن المعاني لمقاصد المتكلمين ، فهي علم تواصلي جديد بقوم على مجموعة من المفاهيم والإجراءات من أهمها : أفعال الكلام (Les actes de paroles) ومتضمنات القول (Les implicites) والاستلزام الحواري (L'implication conversationnelle) والإشاريات (Deicies) وهناك جوانب وآليات أخرى مثل: نظرية الملاءمة (Théorie pertinence) والقصدية (Intentionalistic) والسياق (Contexte) والحجاج (L'argumentation).

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 23.
[2] ينظر : فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ص 11.

- بين التداولية والحجاج:

اتجهت الأنظار في هذه السنوات الماضية نحو الحجاج بحثا وكتابة ومناقشة نظرا للمنزلة التي يحتلها في جميع المجالات فهو عنصر مهم في الحياة اليومية ، بالإضافة إلى مختلف تمظهراته في أنواع الخطابات بتعدد أشكالها المعرفية (السياسية والتجارية والدبلوماسية) وقد عرف الحجاج في هذا العصر مفهوما أدق وأوضح من المفاهيم السابقة « ذلك أنّ الحجاج أخذ شيئا في الاستواء مبحثا فلسفيا ولغويا قائم الذات .. مستقلا عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية ثانية »[1].

ويعد ظهور المصنف الحجاجي لبيرلمان وزميلته تيتيكا ، نموذجا أساسيا لنظرية حجاجية أساسها " فن الإقناع" حيث عرفاه بأنّه: « موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم »[2]. فيظهر من خلال هذا التعريف أنّ الحجاج غايته هو إثارة المستمع وجعل ذهنه يميل إلى الحجة فهو عملية حوارية تفاعلية بين مرسل ومرسل إليه بوسائل وتقنيات لغوية ، تحمل المتلقي إلى الاقتناع ليستهدف ذهن المتلقي وعقله فيصل به إلى درجة عليا وهي العمل الفعلي و الحقيقي للدعاوى والنتائج المرجوة من الخطاب.

وإذا ثبت أنّ الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي تقود الأذهان إلى التسليم، فكذلك التداولية في أبسط تعريفاتها "هي دراسة اللّغة في حال الاستعمال" بهذين التعريفين تظهر العلاقة الوطيدة بين التداولية والحجاج ، إذ كل منهما يسعى لدراسة اللّغة وطريقة استعمالها في خطاب تواصلي محدد وما ينتج عن هذا الاستعمال من أفعال وإنجازات قولية .

ولقد اهتمت التداولية بكل عناصر التواصل فهي تدرس اللّغة من حيث كونُها تؤدي وظيفة تواصلية تخاطبية مركّزةً على أطراف الخطاب (متكلم ، مستمع ، سياق، مقام) لأنّها تعد «تخصصا لسانيا يدرس كيفية استخدام الناس للدلالة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم تلك كما تُعنَى

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص2.

[2] Chaim perelman et lewies olbrechts tyteca: traite de l'argumentation, op. cit, p5.

من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث »[1] ، فهي وسيلة تحدد العلاقة القائمة بين كل أطراف الخطاب التواصلي ، فهي تدرس كيفية استخدام العلاقات اللّغوية ومدى نجاحها ونوع المقام والسياق المحدد الذي ينجز ضمن الخطاب ومعرفة أحوال المتلقي والتفاعل القائم بين المتحاورَيْنِ ، فيتحقق بدراسة العلاقة القائمة بين العلامات ومستعمليها جانبين هما: التواصل والتفاعل[2]، وما ينجز عنهما من تبادل لأطراف الحديث كالحوار والتساؤل والجواب وغيرها من آليات الحوار والتواصل.

والحجاج في بنيته العامة حوار يكون بين متكلم (محاج) و (مستمع) وهما قطبا التواصل بحيث يقوم الأول بالتوجه إلى الثاني عبر وسائل لسانية ، بغية الإفهام والإقناع ، فيحق للمتكلم الادعاء ويحق للمتلقي الاعتراض ، فيدخلان بذلك في مرحلة تفاعلية بواسطة اللغة ، ليتوقف نجاح الخطاب على مدى « مناسبته للسّامع ، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه فضلا على استثمار الناحية النفسية في المتقبّل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه »[3].

من هنا يظهر التداخل والتوافق الموجود بين التداولية والحجاج ، لأنّ المتكلم وهو يستهدف الإقناع ، يكون في نفس الوقت بصدد عملية تواصلية تكون قناتها ومعبرها هي الوسائل اللّغوية باعتبار أنّ التداولية تدرس اللّغة وهي تؤدي وظيفتها التواصلية ، وأنّ أطراف التواصل هي (المتكلم، المستمع، والسياق والمقام)، فإن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه للكشف عن العلاقة القائمة بين التداولية والحجاج ، ما هي العلاقة بين التواصل والحجاج ؟ وهل كل تواصل حجاج؟

اتجهت الدراسات اللسانية التداولية الحديثة أن التواصل الحجاجي يتبع آليات العملية التواصلية نفسها ، فبالحجاج « تحاول أن تنقل عناصر معينة ، غرضها خلق أو توكيد قناعات

---

[1] الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، 1992، ص1

[2] ينظر : طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ص224.

[3] صابر الحباشة ، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدراسات و النشر ، دمشق ، ط1-2008م ، ص21.

وترتيبات وذلك للتصرف في المواقف بقصد الإقناع وليس بسلاطة إثراء معارف المتلقي»[1]، فالتواصل الحجاجي ليس هو التواصل الذي يركز فيه المتكلم على نقل معلومات ومعارف للمخاطب فحسب ، بل لصنع حلقة تفاعلية بين المتكلم والمستمع حول هذه المعارف ، وهذا البعد التداولي للّغة ينبغي استحضاره لفهم كثير من القضايا المرتبطة بالنشاط اللغوي.

هذا ما جاء به "بيرلمان" في كتابه " مصنف في الحجاج؛ « حيث اهتم بظاهرة جديدة في التواصل ، يكون فيها الهدف تأسيس بناء فكري عميق تندمج فيه أبعاد المتكلم والمستمع والمقام»[2]. فالحجاج هو استراتيجية تواصلية فعالة تسعى إلى التأثير في الآخرين بارتكازها على عناصر اللّغة وعلى المقام ، فيكون الحجاج بناءً فريدا يتجاذبه طرفان ، الأول هو اللغة وما تحمله من أفكار ، والثاني هو المقام لصنع غاية واحدة هي الإقناع.

فالتداولية علم جديد اتسعت مساحاته من الدرس اللساني الحديث، ليصل إلى دراسات أخرى كالمنطق و السيمائية و اللسانيات ، وعلم اللّغة الاجتماعي فالتداولية منهج شمولي متكامل منفتح على عوالم التأويل لتحقيق الفهم والنفع.

واندماج الحجاج في مباحث التداولية أمر قد جرى في عرف الباحثين وقد أشار إلى ذلك أحدهم فقال : « يوجد تيار ناتج عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه ، تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة ، يمكن جمعها تحت عنوان "الفلسفة اللغوية" ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة ، وتيار ينبع من اهتمام اللسانين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب ويجتمع التياران في مجال عام مشترك بين اللّغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النّفس نضعه تحت عنوان عام جدا هو الأطروحات البراغماتية »[3].

---

[1] حافظ إسماعيل علوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، عالم الكتب الحديث ، ط1 الأردن ، 2010 ، ص 273.

[2] المرجع نفسه ص 273.

[3] صابر الحباشة ، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص) ص 07.

في هذا الكلام تأكيد على ما نروم تبريره في هذا العنصر ، وعليه تكون النظرية التداولية موجودة في مقاربة كل الخطابات والنصوص بجميع أنواعها وأصنافها ، وهذه النظرة هي مخالفة تماما لما كان من قبل مع المناهج القديمة لتحليل النصوص كالبنيوية وغيرها.

وبهذا تبرز المقاربة التداولية بأنها نظرية تكاملية في مقاربة النصوص ، بحيث تبحث عن المعنى أو القصدية الموجودة في كنه النص ، مرورا بالوسائل والمعطيات اللّغوية مع مراعاة المقام والسياق التخاطبي بين المتكلم والمستمع ، مستعينة بجميع المناهج الموجودة قبلها؛ لتصل إلى القول الذي يتحول إلى فعل كلامي إنجازي مثل ما جاء في نظرية أفعال الكلام ، وإلى القصدية وإلى دور المتلقي في تفسيره وتأويلاته.

إنّ هذه الأدوات هي التي تستعين بها التداولية في دراسة العلاقة والتفاعل بين المتكلم والمخاطب وما يحدث بينهما وينجر عن هذا الأخذ والرد من طاقات حجاجية تتصل بقبول الفعل أو عدم فعله ، ولأجل هذا الهدف يُفعِّلُ المتكلمُ كفاياته اللّغوية فيستعمل عدة طرق للإقناع والتأثير ولن تُفَعَّلَ هذه الغاية إلاّ بالحجاج[1].

من هذه الزاوية يكون الحجاج متمثلا في التداولية؛ لأنّ من مميزات المنهج التداولي هو تحليل النصوص ، للوقوف على الجوانب الحجاجية ، ليظهر قوتها في النص ، وما ينشأ عنها من أفعال منجزة.

إنّ تماهي الحجاج في التداولية وانصهاره فيها صيَّرهُ حقلا مستهدفا متى درست اللّغة في الاستعمال ، فلا يمكن دراستها بمنأى عن الحجاج وتقنياته ، « فترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي؛ وإنما هو ترابط حجاجي لأنّه مسجل في أبنية اللّغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر ، فموضوع الحجاج في اللّغة هو بيان ما يتضمنه

[1] ينظر : عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج" الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه، صمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (إنجاز فريق بحث في البلاغة والحجاج) إشراف حمادي صمود، ص319.

من قوة حجاجية تتمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها، يوجه قوله وجهة حجاجية »[1]

– تماهي الحجاج في التداولية ضمن نظرية التداولية المدمجة:

التداولية المدمجة هي تيار تداولي تفرد به "أزوالد ديكروجون كلود أنسكومير" وهو تيار يقوم في رفض التصور « القائم على الفصل بين الدلالة – وموضوعها معنى الجملة– ، والتداولية وموضوعها– استعمال الجملة في المقام من جهة ، والسّعي إلى سبر كل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى »[2] ليكون مجال البحث في هذه النظرية هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللّغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن ، وهذه النظرية هي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللّغة التي يتوفر عليها المتكلم،بقصد توجيه خطابه وجهة محددة تمكنه من بلوغ مقاصده الإقناعية، وهي تنطلق من مبدأ " نتكلم بقصد التأثير"، فيكون غرض هذه النظرية هو الوقوف على الدلالة الحجاجية بالدرجة الأولى ويكون هو المكوّن الأساسي فيها، بينما المكون الإخباري يكون هو المكون الثانوي.

وعلى هذا النحو تعرف التداولية المدمجة بكونها «بحث في القوانين التي تحكم الخطاب داخليا لاكتشاف منطق اللغة »[3].

والحجاج هو أن يقدم المتكلم قولا أو مجموعة من الأقوال موجهة للمخاطب ليقبل قولا آخر أو مجموعة من الأقوال سواء كانت هذه الأقوال مصرحة أم مضمنة وهذا العمل يسمى عمل المحاجة[4]، فالحجاج بهذه الطريقة هو علاقة دلالية تربط بين هذه الأقوال في الخطاب محكومة بقيود وضوابط لغوية بحيث تتوفر في الأقوال الأولى ما يؤدي إلى الحجج ، فنصير أمام فعلين منجزين،

---

[1] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 352.

[2] المرجع نفسه ، ص351.

[3] المرجع نفسه ، ص 352.

[4] المرجع نفسه ، ص360.

فعل المحاججة من قبل المتكلم ، وفعل الاستدلال الذي يقوم به المتلقي ، لأنّ صاحب الخطاب قد أبقى على قرائن لغوية ومقامية يصل بها المستمع إلى الاستنتاج ، ومن هنا يبرز دور التداولية المدمجة في إظهار كيفية اشتغال هذه المبادئ مع بعضها.

ومن خلال هذا الكلام نرى أنّ الحجاج قد اتسعت آفاقه في ظل التداولية المدمجة ، وأصبح ينظر إليه على أنّه فعل كلامي يترتب عليه الإنجاز الفعلي الذي يستوجب دراسته في نطاق اللّغة لا خارجها ، لتكون هذه اللغة مسرحا لتبادل الأقوال و التّحاجّ بين الذوات المتواصلة ، فلم تعد وظيفة اللغة هي الإخبار كما كانت سابقا ، وإنما انحصر بعدها الوظيفي في دلالة الأقوال على التوجيهات الحجاجية الناتجة عنها[1] ولذلك يلح منظرو الحجاجيات اللسانية على ضرورة مراقبة أحوال المتخاطبين وتتبع مقاصدهم الخطابية وما تصدر عنها من أوامر وأحكام وجب تنفيذها وصولا إلى الهدف المنشود.

ومن خلال هذا يكون الحجاج عنصرا مهما فاعلا في أنواع الخطاب وطريقة بنائها والتداولية المدمجة هي ما يكشف عن متانة هذا البناء الذي يقوي به المتكلم نصه ، وما يترتب عليه من أفعال .

– المبحث الرابع: الحجاج في الفكر العربي الحديث :

تجاذب درس الحجاج عند الدراسيين العرب عدة مجالات بحسب اختلاف اتجاهاتهم (الحجاج عند النقاد وعند اللسانيين وعند البلاغيين وعند الفلاسفة)، وقد تناولوه بالبحث والشرح في محاولة لربطه بالبلاغة العربية القديمة ، وإعادة قراءتها وفق منظور النظريات الحجاجية الحديثة ، لإكساب النصوص دقة في القراءة والتأويل ، فكان الحجاج هو الذي أرجع للبلاغة العربية هيبتها ومكانتها في وسط هذا التراكم المعرفي في محاولة للجمع بين بلاغة الإمتاع و بلاغة الإقناع.

---

[1] ينظر : رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، مجلة عالم الفكر، المجلد40 عدد02 ص70.

لكن هذه الدراسات العربية لم تأت بآراء مختلفة عن ما جاء به الغربيون ، فهي في الغالب لم تتعد التفسير والعرض ، إلا أنّها وبطابع اختلاف اللغة اختلفت في طريقة التطبيق خاصة منها،النصوص القرآنية أو التراثية.

إلا أنّنا نجد بعض الاتجاهات التي أضافت إلى هذا الدرس الحجاجي نوعا من الجدة خاصة ما جاء على يد المفكر "طه عبد الرحمن" وعند " محمد العمري"، وغيرهم، وينقسم هذا العنصر إلى مدرستين المدرسة المصرية والمدرسة المغاربية.

1- المدرسة المصرية:

تعتبر هذه المدرسة من المبكرين الأوائل الذين حاولوا إعادة قراءة التراث البلاغي في ضوء المقولات النقدية المعاصرة ، ويعتبر كتاب "بلاغة الخطاب وعلم النص" للناقد المصري "صلاح فضل" من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية العربية المعاصرة التي تهتم بالبلاغة الحجاجية، فقد اشتغل صلاح فضل على البلاغة العربية في محاولة لإعادة قراءتها بواسطة رؤية غربية جديدة أطلق عليها اسم " البلاغة البرهانية[1]" وهذا ما كان متعارفا عليه في الدرس الغربي وخصوصا عند بيرلمان ، بحيث يأخذ الحجاج فيها مساحة كبيرة لأنّها بلاغة تتعلق بالوسائل اللغوية الموجودة داخل النص الموجهة إلى المستمع بغية التأثير فيه.

والبلاغة البرهانية عند " صلاح فضل" هي اللغة في إطارها النفعي أو الذرائعي التي تقوم بإنجاح الخطاب ، وبهذا يكون الحجاج هو العمدة عند الدارس[2].

ويرى صلاح فضل أنّ البلاغة اليوم تحمل أعباء ومسؤوليات ، في وجودها على الساحة الفنية والسياسية والاجتماعية ، والذي جعلها تتميز بهذه المهمة هي كونها خطابا لغويا فكريا نفعيا تواصليا له بنية مرنة قابلة لاستيعاب معظم العلوم المجاورة[3]، فهو يرى أنّ عليها أن تنطلق في تحليلها

---

[1] ينظر: صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد 164، أغسطس، ص67، 69، 70.

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص76

[3] ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص236.

من الواقع ودرجات تفاعله مع السياقات الثقافية والإنسانية والفكرية ، و يجعل هذه المهمة منوطة بالخطاب البلاغي عموما وبالخطاب الاستعاري خصوصا[1]، لأنّ « بنية الاستعارة فوق خلفية المحاكاة من جانب وفنون البرهان من جانب آخر »[2].

ويحتل السياق في البلاغة المعاصرة دورا مهما في الفهم والتأويل ، فهو متعلق بالمقام والعلاقات المبثوثة بين الوحدات النصية وهي كلها مستويات تندرج في نظر صلاح فضل تحت مسمى "السياق الإدراكي" التي تعتمد عليه عملية الفهم ، وبعد ذلك في عملية التحليل ويضيف صلاح فضل قائلا بأنّ الأمر في الاستعارة « لم يعد يتعلق بنقل بسيط للكلمة وإنما بتبادل تجاري بين الأفكار، أي بتفاعل بين السياقات وإذا كانت الاستعارة دلالة على المهارة والموهبة فإنها موهبة الفكر ، والبلاغة عنده هي تأمل هذه الموهبة ، وترجمتها إلى معرفة متميزة »[3].

إنّ صلاح فضل قد قدم إلى القارئ العربي قراءة واعية وصورة جلية. من مختلف الزوايا للبلاغة المعاصرة واتجاهاتها عامة و الحجاجي منها خاصة ، والذي ما انفك يبثها في كتابه " بلاغة الخطاب وعلم النص"، بسبب تشعب المجالات التي تساهم فيها بلاغة الحجاج ، فكان أن عرض كل تصور في سياقه الخاص ، وفي ذلك فوائد متعددة لعل أهمها معرفة تطور هذا المفهوم خاصة،والمفاهيم والأشكال البلاغية المعاصرة عامة ، ثم طبيعة علاقتها بالحقول المجاورة لها وكذا البعيدة عنها[4].

---

[1] ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 237.

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 157.

[3] المرجع نفسه ، ص151.

[4] ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 242.

2- المدرسة المغاربية:

2-1 المدرسة المغربية:

2-1-1 محمد مفتاح

يعد محمد مفتاح من الجيل الأول من النقاد المعاصرين ، وقد توفرت لديه ثقافة واسعة ومتنوعة في مختلف ميادين الدراسة الإنسانية.

وقد بدأت مشاريع محمد مفتاح بكتابه " مجهول البيان 1986" وبكتاب التلقي والتأويل1994" ثم " التشابه والاختلاف1996"، ثم " المفاهيم معالم1998"، وقد بدأت أفكاره من إشكالية التأويل مع كتاب "مجهول البيان"، و حاول فيه صاحبه دراسة بعض الأوجه البلاغية وعلاقتها بالدلالة والتأويل ويعمق هذه الفكرة أكثر كتابه "التلقي و التأويل"، حيث يجعل من التأويل فعلا حضاريا وممارسة فكرية بالغة العمق والتعقيد يوظف فيها المؤول كل ما أمكنه وما لم يمكنه ، لأنّ التأويل هو صناعة واعية من قبل المتلقي ويعد التأويل بهذا المعنى فعلا حجاجيا[1].

فالتأويل بطابعه الاختياري الاحتمالي الخلافي ، يعد عامل بعث وتجديد وتقريب؛ إذ « مهما اختلفت التأويلات باختلاف الأديان والأجناس والأمم والجماعات والأفراد ، فإنّ أصل نشأته وسيرورته وإجرائه يرجع إلى مقولتين أولاهما غرابة المعنى عن القيم السائدة القيم الثقافية والسياسية والفكرية ، وثانيتهما بث قيم جديدة بتأويل جديد؛ أي إرجاع الغرابة إلى الألفة ، ودسّ الغرابة في الألفة »[2].

وقد هيمن على الكتاب مثلث التواصل والحجاج والنفعية الذي ظل يهيمن على العمل بكامله ، لأنّ البلاغة عند مفتاح أنشئت لتقوم بوظائف أهمها «التواصل والإقناع والإمتاع »[3]، ويرى محمد مفتاح أنه لا بد من توفر أركان ثلاثة هي : المخاطِب والمخاطب ومقتضيات الأحوال لأن المخاطب هو الهدف المتوخى من الفعل البلاغي ، ولذلك فإن المخاطب مطالب بتكييف

[1] ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص245.
[2] محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 1994 ص 218.
[3] المرجع نفسه ، ص 38

استراتيجياته حتى يتمكن الأول من تصديقه وفهمه والاقتناع به ، لأنّ حصول هذه الخطوة الأخيرة سيسفر عنه تحقيق أهداف كثيرة منها الديني والنفسي والدنيوي النفعي بأنواعه[1]

ويخلص محمد مفتاح في ضوء هذه التصورات كلها إلى القول بأن المشروع التأويلي ينظر إليه من زاويتين:

أولهما: إيديولوجية تهدف إلى التوفيق بين فئات المجتمع والأمة العربية، فهو « تقنين التأويل وخصوصا تأويل القرآن حتى لا يقال فيه بغير علم ، وحتى لا توجه أدلته لخدمة معتقدات ضالة»[2] فغاية هذه الطريقة هي الحفاظ على قداسة النص القرآني ، أو الحديث النبوي فأيّ قول فيه باطل يلوى فيه عنق النص غير مقبول وخاصة تلك المسائل الكلامية القديمة التي اختلفت فيها الفرق،مثل مسألة خلق القرآن وغيرها ..

ثانيهما: لها غاية متعلقة بالصيغ البلاغية التي تفيد المخاطب في إقناع خصمه وحمله على الإذعان ، ليكون همه موجها نحو المعنى المتخفي داخل الخطاب ونجد محمد مفتاح يسمي مجموعة من النصوص ويجعلها درجات بحسب درجة وضوحها فهي : النص الواضح الذي لا يحتاج إلى تأويل ، والنص البين الذي يدل عنوانه ومعجمه على تأويله، والنص الظاهر الذي يتردد المؤول في اختيار المعنى الملائم للإشارات الموجودة فيه ، والنص المحتمل الذي لا بد ، للوصول إلى دلالاته من التعمق والبحث والنص الممكن الذي تعد النصوص التناسبية المكونة له خفية عميقة ليس من السهل الاهتداء إليها، وهناك أيضا النص العلمي الذي تتداخل مؤشراته وتتشابك حتى يصير متاهة يصعب الخروج منها[3] .

ومما تقدم نقول إنّ مشروع محمد مفتاح وتصوراته في مقاربة النصوص والخطابات وعملية التأويل لها جانبها التداولي الحجاجي الذي يعنى فيه المتكلم ببث نصوص إلى متلق له المقبولية

[1] ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص246

[2] محمد مفتاح ، التلقي والتأويل، مقاربة نسقية، ص39.

[3] ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص252، 253

والفعالية التي تمكنه من إنتاج دلالات متنوعة ومتعددة للنص الواحد فتصير للكلمة سلطتها على المتلقي بسبب تأديتها لعدة وظائف .

2-1-2 – **محمد العمري :**

يعتبر البلاغي محمد العمري ممن أثروا المكتبة العربية والساحة البلاغية بمؤلفاته التي من خلالها أعاد فيها قراءة التراث البلاغي قراءة نسقية تستعين بنظريات غربية وهذا الذي يظهر في مؤلفاته ،:(في بلاغة الخطاب الإقناعي)،و(البلاغة العربية،أصولها وإمتدادها) و(البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول) وهو عصارة أبحاثه التي كتبها ،ليصل إلى نتيجة اساسها أن الحجاج عمود البلاغة[1] وجوهرها الذي تقوم عليه كل الخطابات من وجودها إلى اليوم .

وقد انطلق محمد العمري في نظرته للبلاغة من طابعها الإقناعي التداولي لجعلها علما جديدا أفضل يشمل التخيل والحجاج[2] ،وقد تأثر بالفلسفة اليونانية ، معتمدا على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب والذي ترتبط بالإقناع ،فيقول :« وبدأ الحنين من جديد إلى "ريطورية " أرسطو التي تتوسل إلي الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال »[3]، وقد ركز على كلمة بلاغة "ريطوريك" (rhetorique) وهي تتردد على ثلاثة مفاهيم كبرى وهي مذكورة كالأتي[4]

-1 **المفهوم الأرسطي** الذي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته ، حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثية المعروفة (المشاورة والمشاجرة والمفاضلة) ، وهي بهذا المفهوم تقابل بويتيك (poétique) التي تعنى بالخطاب المحاكي المخيل؛ أي الشعر حصرا، وهذا هو المفهوم الذي أعاد بيرلمان وآخرون صياغة في اتجاه بناء نموذج منطقي للإقناع.

---

[1] ينظر : محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2005 ، ص50.

[2] ينظر : المرجع نفسه،ص06

[3] محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية،ار الثقافة، الدار البيضاء،ط01،1986،ص09

[4] ينظر : محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، ص12.

2- **المفهوم الأدبي** الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب ، هذا المفهوم الذي استقر لها عبر التاريخ من الانكماش رسم "بارت" خطوطه العامة في محاضراته المشهورة عن تاريخ البلاغة القديمة وقد أعيدت صياغة هذا الاتجاه حديثا باعتباره بلاغة عامة أحيانا ،كما هو الحال في الدراسة المشهورة لجماعة "mu" تحت عنوان "البلاغة العامة ".

3- **المفهوم النسقي** الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى وأشمل يشمل التخيل والحجاج معا؛أي يستوعب المفهومين الأوليين ، من خلال المنطقة التي تتقاطعان فيها موسعا هذي المنطقة أقصى ما يمكنه التوسيع ، فقد حدث خلال التاريخ أن تقلص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة وتوسع البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الوحيد لها ، فكانت نهضة البلاغة حديثا منصبة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب المجال الادبي (حيث يهيمن التخيل) والمجال الفلسفي واللساني (حيث يهمن التداول).

من خلال هذه النظرة للبلاغة لمحمد العمري تصبح البلاغة علما كليا يشمل جميع مستويات الخطاب القائم على التخيل والتداول (أو الحجاج بشكل أدق) حيث يلتقيان في أنّهما خطابان قائمان على الاحتمال ؛ الاحتمال توهيما أو ترجيحا؛ التوهيم في التخيل والترجيح في التداول الحجاجي ، فخطاب الشاعر "كذب يحتمل الصدق"وكلام الخطيب صدق محتمل الكذب.

ومن الدارسين من رجح الخصوصيات النوعية لكل جنس ففصل ، ومنهم من رأى أنّ منطقة الاتصال واسعة بشكل يجعلها كافية لقيام علم عام للشعرية والخطابية هو علم البلاغة[1]وفي كتابة"البلاغة العربية ،أصولها وامتداداتها " يسعى إلى هدف طموح وهو استقصاء البلاغة العربية من حيث الأصول والامتدادات ، وتتبع لأصولها وروافدها ، ومحاولة قراءتها قراءة جديدة يتزايد الإلحاح عليها يوما بعد يوم لعدة اعتبارات أهمها[2]:

[1] ينظر: محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ،ص15

[2] ينظر :محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص259

أ-اعتبار واقعي وتاريخي في آن يتعلق بقلة الدراسات الجادة التي تتناول تراثنا البلاغي في علاقته بأدبه وبالأخر معا.

ب-اعتبار قرائي منهاجي نابع من تغير الواقع حولنا ، وكذلك من تطور آلياتنا التحليلية ووعينا باللّغة وبالعالم ، فقد أدى كل ذلك إلى بروز أسئلة جديدة متعلقة بمختلف مناحي حياتنا،وهي أسئلة تتطلب مناهج قرائية جديدة تنطلق من الماضي ، لا لتُكرِّسَهُ وإنّما لتجدد جلده وتجعله أساسا لكل نهضة مستقبلية (فالماضي نص مفتوح للقراءة على الدوام).

ويركز العمري في قراءته للبلاغة على أبعادها التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بالنحو والمنطق والنقد ، وقبل أن يصل إلى ذلك نجده يتتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة ، وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من جهة ثانية ، فمن جهة الحجاج يرى أنّ الحاجة إليه برزت بشكل جلي في فترة الاهتمامات الكلامية ، عندما صار التسلح بالوسائل الحجاجية اللغوية أمر ضروري[1] .

ويرى محمد العمري في قراءته هذه ، أنّه فضلا عن عوامل نشأة البلاغة العربية وتطورها وروافدها ، فإن ثمة ثلاثة مستويات أساسية لابد من الوقوف عندها لأنها تمثل النضج البلاغي النقدي والتداولي من جهة ، وتوضح السعي المبكر من بلاغيينا لوضع نظرية بلاغية تستجيب للمتطلبات السياسية والفنية والاجتماعية من جهة أخرى ، وهذه المستويات الثلاثة تتمثل في البدايات التداولية ،ثم البلاغة المدعومة بالنحو والمنطق ، وأخيرا البلاغة النقدية أو النقد البلاغي [2].

ويمكن القول في النهاية إنّ محمد العمري قد وظف العديد من الدراسات البلاغية المعاصرة،ليس بهدف صياغتها ، وإنّما ليتخذ منها آليات لقراءة البلاغة العربية والوقوف على مواطن الإبداع والوهن فيها ، وليصنف اتجاهاتها ويقف على روافدها .

---

[1] ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص261

[2] ينظر : المرجع نفسه ،ص264.

2-1-3 – طه عبد الرحمن:

تتميز نظرة طه عبد الرحمن للحجاج بطابعها الفلسفي النطقي ، وهو أول مفكر جعل له تعريفا واحدا بقوله :« وحد الحجاج أنّه فعالية تداولية وجدلية ، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي ...وهو جدلي ، لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استبدالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة »[1] وبهذا التعريف يكون الحجاج لصيقا بالفلسفة والتداول وهو ما تُعورفَ عليه بالحجاج الفلسفي التداولي الموجه إلى تحقيق الإقناع .

ويضع المفكر طه عبد الرحمن نظرية للحجاج بكونه صفة للخطابة لأنّ «الأصل في تكوثر الخطابة هو صفته الحجاجية ، بناء على أنّه لاخطاب بغير حجاج »[2]، ويركز في وجود الخطاب الحجاجي على عمليتين لابد من توفرهما في بناء إستراتيجية الخطابية وهما :(قصد الادعاء)،و(قصد الاعتراض) ، أمّا قصد الإدعاء فهو :« الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة؛ إذ فالمدعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله »[3]، وقصد الاعتراض من المخاطب أو المنطوق له«هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالعة بالدليل على قول المدعي »[4]وقد رتب طه عبد الرحمن أنواع الحجاج في الخطاب إلى ثلاثة أنواع : الحجاج التجريدي ، الحجاج التوجيهي ، الحجاج التقويمي .

---

1 طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص65

2 المرجع نفسه ص :66

3 طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص213.

4 المرجع نفسه ، ص225.

2- المدرسة التونسية:

تعتبر هذه المدرسة من المدارس التي اهتم أعضاؤها منذ وقت مبكر بالدراسات الأسلوبية عامة والبلاغية خاصة ، ومن أهم أعضائها "عبد السلام المسدي و"حمادي صمود"، حيث غلبت على أعمال المسدي المناحي اللسانية .

2-1- حمادي صمود:

يعتبر حمادي صمود من الباحثين العرب المعاصرين القلائل الذين تبنوا البلاغة بمفهومها الواسع (الشرقية والغربية و المعاصرة)، خيارا بحثيا منذ فترة السبعينيات،وعلى وجه التحديد عند ظهور أطروحته (التفكير البلاغي عند العرب : أسسه وتطوره إلى القرن السادس)، التي تعد مشروعا لقراءة ،وقد نوقشت في سنة 1980م[1] .

فهو يركز في هذه القراءة على ما يسميه "الحدث الجاحظي" الذي يرى أنّه كان وراء إرساء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج والجدل المنطقي بدلا من القتل والعراك وتعطي لأول مرة في تاريخ النقد العربي مكانة للحدث الكلامي من جهة وللمتكلم من جهة ثانية؛ بوصفه المبدع للخطاب؛على اعتبار أنّ عملية الإبداع والتأليف ليست سهلة ، فهي تتضمن إلى جانب المعايير المعرفية عوامل أخرى نفسية واجتماعية ومقامية متعددة.[2]

ويرى حمادي صمود أنّ أهم قضايا التفكير البلاغي حتى القرن السادس يمكن أن تتلخص تحت ثلاثة أقسام كبرى : المفاهيم و المنهج والإجراء ؛ ويقصد بالمفاهيم « جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم وماهيته وسعي القائمين عليه على إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها أدق أبعادها الأصولية »[3].

[1] ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص271،272 .

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص272.

[3] حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)،منشورات الجامعة التونسية ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981 ،ص 392.

ويقصد بالقسم الثاني وهو المنهج تلك « الأسس و الطرائق المتعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية والوقوف على أسباب تلك البلاغة وأسرارها »[1].

ويُقصد بالإجراء وهو الركن الثالث من قضايا التفكير البلاغي عند حمادي صمود « مختلف المقاييس التطبيقية التي حددوا بها بلاغة النص وجودته على صعيدي الشكل والمضمون ، ودور الصورة الفنية في هذه الأحكام ، و البحث في ملابسات إنجازه أم أنّ أسس الحكم التي طرحتها فترة التأسيس بقيت مستحكمة في ذوقهم الأدبي »[2] .

وقد دارت جميع دراسات حمادي صمود الأولى حول قضايا أدبية ولسانية وتراثية نقدية ،بيدَ أنّه في منتصف التسعينيات بدأت مرحلة جديدة تتجه نحو تفكير حجاجي ظهر مع فرقة البحث التونسية لتقصي بلاغة الحجاج في التقاليد الغربية ، حيث ينطلق حمادي صمود في هذه المرحلة من اعتبار بلاغة الحجاج أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة للدرس البلاغي العربي؛ لأنّها تعد أهم مظهر تتجلى فيه خاصية التداخل المعرفي interdisciplinarite ؛إذ إنّ بلاغة الحجاج تقوم على استغلال جميع العناصر المجاورة والمساعدة في فهم الخطاب وتوصيله[3].

ويرى حمادي صمود أنّ ظروف نشأة الخطابة اليونانية والحاجة إليها و التغيرات التي لحقت بها تختلف كليا عن ظروف نشأة البلاغة العربية ، فالخطابة اليونانية في نظرية أرسطو تتوسط بين القولين الجدلي والشعري ؛ أي أنّها قائمة على الاختلاف و الخلاف لأنّها مبنية على الحجاج ،في حين إنّ البلاغة العربية ظهرت ملامحها في أحضان الشعر والتفوق في الشعر مبني على الإجادة في القول و التصوير وحسن الإيقاع بما يجلب الأسماع إليه ويطرب السامعين له[4].

والسبب المنهجي والمعرفي الذي دعا "صمود" إلى هذا التمييز بين البلاغة العربية ومفهوم الخطابة الأرسطية ، هو الخوف من الوقوع في الأخطاء القرائية التي وقع فيها بعض الدارسين

---

1 حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص 393.

2 المرجع نفسه ، ص 393.

3 ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 276 .

4 ينظر : المرجع نفسه ، ص 277 .

المحدثين في كونهم جعلوا الأسلوبية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين علما يحل محل المباحث البلاغية القديمة ، وبالتالي تغدو الأسلوبية في نظر هذه الدراسات نقطة تقاطع الأدب واللسانيات والخطابة[1] .

إنّ حمادي صمود بهذه القراءة يتوسل بآليات هذا الحقل لقراءة البلاغة العربية القديمة من أجل إخراج أهم مقولاتها التي يمكن أن تساهم في الدراسات النقدية المعاصرة بكل مستوياتها النظرية والتطبيقية ،ومن جهة ثانية لدراسة راهن ومستقبل الخطاب الأدبي الذي يشهد في ظل ثورة التواصل وتقنيات الصورة تغيرات جمة لم يكن العقل البشري يتوقعها ، وبالتالي إنّ الحجاج بصفة خاصة و البلاغة المعاصرة بصفة عامة لا تقف في نظر صمود على دراسة آليات التأثير و التأثر ،بل تتجاوز ذلك لدراسة التغيرات التي جدّت والتي يمكن أن تجدَّ على ثنائية النّص والخطاب في علاقتهما بالواقع والمخاطَبين من جهة ، وعلاقتهما بالثورة التقنية التواصلية السريعة الخطى من جهة أخرى[2] .

---

[1] ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 279 .

[2] ينظر : المرجع نفسه ، ص 285 .

الفصل الثانى :

وسائل الإقناع شبه المنطقية فى مقالات الإبراهيمى .

- المبحث الأول: الأشكال والبنى الحجاجية فى عيون البصائر .
- المبحث الثانى : القياس ودوره فى الإقناع .
- المبحث الثالث: نظرية السّلالم الحجاجية فى عيون البصائر.

نود في هذا الفصل الثاني تَبيُّنَ تلك الوسائل الإقناعية التي اعتمدها الإبراهيمي في مقالاته المتمثلة في البناء والشكل العام لطريقة المحاججة عنده ، ومعرفة الأدلة والشواهد المستعملة المناسبة لموقف حجاجي معين ، ثمّ الوقوف على وسائل الإقناع شبه المنطقية المتمثلة في القياس ودوره في إنشاء قناة حوارية تفاعلية بين الباثّ والمتلقي عن طريق الاستدلال ، وبعد ذلك معرفة هرمية الحجج وترتيبها من قبل الإبراهيمي.

المبحث الأول : الأشكال والبنى الحجاجية في عيون البصائر .

قبل الولوج في عملية التطبيق على نصوص المدونة لابد أن نعرف أولا خصائص ومميزات أسلوب الإبراهيمي في مقالاته ، ومعرفة المواضيع التي عالجها الإبراهيمي في عيون البصائر.

1- سمات المقال عند البشير الإبراهيمي :

مهما اختلفت صور المقال وأنواعه ومواضيعه عند الإبراهيمي إلاّ أنّ جميعها تصب في سمات المقالات الأدبية المتعارف عليها مثل:

- الاهتمام بوضوح الفكرة ، ومعالجتها مع تقديم الحجج والبراهين التي تؤدي إلى التأثير والإقناع.
- ظهور أصالة الكاتب وشخصيته ورؤيته الخاصة وطابعه المتميز في التفكير والتعبير و «شخصية الإبراهيمي لا تظهر للدارس كاملة الوضوح بنزعاتها ومواقفها وبتحركاتها وسكناتها إلاّ في أدبه المقالي »[1].
- الصبغة الوجدانية وحماسة اللهجة والذاتية التي تراها تهيمن على المواضيع.
- استثمار مؤهلات الكاتب الفنية في التشويق والإمتاع؛ بحيث يمتع القراء ، وينقل تجربته في الحياة فهو يظهر نفسه بمنزلة العالم لقضايا وطنه بأسلوب بعيد عن التكلف والتعقيد والابتذال ، مجانب للتكلف والصنعة المستقبحة.
- موضوعية الكاتب في جميع أنواع المقالات وموسوعيته العلمية في جميع العلوم.

[1] - محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أديبا ، دار الفجر ، وهران ، د.ط ، د.ت ، ص 136.

-ومع هذا كله فالإبراهيمي كاتب قد اختص بسمات أسلوبية وفنية نقشت مقالاته وكتبه وميزته عن الكُتّاب الآخرين منها:

- روعة الصياغة وجمال العبارة مع الإيقاع الموسيقي الذي يحدثه السجع والفواصل.

- ميزة التراث والمعاصرة فهو ينحو منحى القدماء في الأسلوب واللّغة وينهج منهج المعاصرين في المحتوى والمضمون.

-التلاؤم بين المعاني والتوازي بين العبارات والانتقاء للمفردات .

-الاعتماد على التراث العربي والإسلامي في مقالاته خاصة في عيون البصائر.

-أسلوب الابراهيمي أسلوب يجمع بين اللّذة والقيمة النفعية فأدبه هو، « أدب مواقف ينشد غاية مستمرة ويهدف إلى التزام اجتماعي محدود الملامح »[1].

2-أنواع المقالات في " عيون البصائر ":

كتاب عيون البصائر هو عبارة عن مجموعة من المقالات جمعت في كتاب واحد باسم "البشير الابراهيمي "، وهذه المقالات كانت تنشر في وقت الاستعمار في جريدة البصائر ، وهي مقالات تظهر شخصية الإبراهيمي ، الإمام المصلح العلامة ، مدافعا عن قضية وطنه في الاستقلال،ومدافعا عن هوية شعبه ومقوماته التي ينهض بها كالإسلام ، العروبة ، التاريخ ، العلم واللّغة.

وقد تنوعت موضوعات المقالات في عيون البصائر فمن أبرزها:

1) **المقالات السياسية:** " فصل الدين عن الحكومة" من الصفحة (65-179) ومن المقالات السياسة الموجودة فيه أيضا التعليم العربي والحكومة وهي تابعة لمقالات فصل الدين عن الحكومة من الصفحة (231-269).

2) **المقالات الإصلاحية** : هذه المقالات تعالج قضايا محورية ومهمة في المجتمع الجزائري، كالتعليم وشؤون الأسرة ، والعادات والتقاليد ومن عناوينها: " حقوق الجيل الناشئ علينا" اختلاف ذهنين

[1] محمد عباس. البشير الإبراهيمي أديبا ، ص:352.

في معنى التعليم العربي"، " الكلمة الأخيرة للأمة"، " الشباب والزواج"، " الطلاق"، " أعراس الشيطان".

3) **المقالات التي يشيد بالجمعية فيها:** وهي مقالات يظهر فيها دور جمعية العلماء المسلمين ودورها الفعال في بناء مجتمع مثقف ومتحرر ، ويظهر فيها أيضا جمعية العلماء وعلاقاتها الدبلوماسية مع الدول الشقيقة ومن أبرز هذه العناوين "جمعية العلماء أعمالها ومواقفها" "جمعية العلماء والسياسة الفرنسية بالجزائر" ، " جمعية العلماء والمغرب العربي"، " جمعية العلماء وفلسطين".

4) **المقالات الدينية:** " أثر الصوم في النفوس"، " الإسلام".

5) **المقالات التي تتحدث عن الشخصيات:** وهذه المقالات التي جاءت في هذا الباب إمّا أن تكون في مقام الجرح والقدح مثل المقال الموسوم بـــ " عبد الحي الكتاني" ففي هذا المقال يظهر الإبراهيمي خطر هذا الرجل على الجزائر ويفرد في ذلك مجموعة من الأدلة والبراهين.

وإمّا أن تكون المقالات في باب الثناء والمدح مثل " مقامة في رثاء الامام عبد الحميد بن باديس". هذه أبرز مواضيع وأنواع المقالات في عيون البصائر ، وكل ما زاد على ذلك فهو فرع لأحد هذه الخمسة.

3- بنية الخطاب الحجاجي من حيث الشكل:

تبنى النصوص الحجاجية في شكلها الرئيس على مكونات ستة هي:

الدعوى(النتيجة) و المقدمات ، و التبريرات ، و الدعامة ، ومؤشر الحال ، والتحفظات أو (الاحتياطات).

-**والدعوى** هي نتيجة الحجاج وهي تستهدف استمالة الآخرين ، وقد يصرح بها المتكلم أو يضمنها.

-**المقدمات** وهي ما يصنعه المجادل عن أشخاص أو أحوال أو أحداث ، ينبغي للمقدمات أن ترتبط بالنتيجة ارتباطا منطقيا ، حتى تصلح لتدعيمها.

-**التبريرات** بيان للمبدأ العام الذي يبرهن على صلاحية الدعوى وفقا لعلاقتها بالمقدمات.

-**والدعامة** كل ما يقدمه المجادل من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيم ، حتى يجعل المقدمات والتبريرات أقوى مصداقية في المستقبل.

-**ومؤشر الحال** كل ما يقدم من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدعاوى للتطبيق نحو: من الممكن، من المحتمل، وعلى الأرجح...إلخ

-**والتحفظات** هي الأساس الذي ينهض عليه الحكم بعدم مقبولية الدعوى[1].

وفي هذا العنصر سنحاول مقاربة هذه البنية الشكلية للنصوص الحجاجية في مقالات الإبراهيمي محاولين الوقوف على هذه المحطات لمعرفة كيفية بناء الحجج في خطاب الإبراهيمي وهل هي موافقة لهذه النصوص العربية القديمة والحديثة في بنائها ؟

3-1- رصد الأشكال والبِنَى الحجاجية في المقالات:

قبل التطرق إلى رصد الأشكال الحجاجية في مقالات الإبراهيمي ، ينبغي معرفة أن للمُحاجِجِ غاياتٍ ومقاصدَ يروم الوصول إليها ، والتي من أبرزها إقناع المتلقي؛ فبالتالي تحدد له الاستراتيجية المناسبة التي يقتضيها المقام والسياق وحالة المخاطَب ، فتجعله يفضل استراتيجية محددة ومن بين هذه الاستراتيجيات هي بناء نصه وفق مكونات معينة تتيح له الهيمنة على الخطاب والسيطرة على المتلقي ، فيتحكم في هذه المكونات مقدما أو مؤخرا أو مقصيا لأحدها لعدم توفر الداعي لها.

وفي نصوص الإبراهيمي مادة دسمة نستعرض لها بالدراسة والتحليل بغية الوقوف على تلك الأشكال التي بنيت عليها نصوصه ، من خلال نصوص مختارة من مقالاته.

[1] ينظر: محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص:148-149.

النص الأوّل :" جمعية العلماء أعمالها ومواقفها ".

يتحدث الإبراهيمي في هذا النص عن قضية مهمة وهي دور الجمعية في تثقيف الأمّة وتوحيدها والحفاظ على مقوماتها ، والأحزاب السياسية وتفريقها لكلمة الأمّة الجزائرية ، حيث يقول : « ثم نقول لبعض إخواننا وساستنا الذين يناوئون جمعية العلماء وهي مادة قوتهم ، وعماد أعمالهم .. نقول لهم على اختلاف نزعاتهم من أفراد وجماعات إنّ السياسة لباب و قشور ، وإنّ حظ الكثير منكم – مع الأسف والمعذرة – القشور دون اللباب »[1].

في هذه المرحلة يذكر الإبراهيمي أنّ هؤلاء الأحزاب والسياسيون لا يحسنون السياسة.

وفي الجزء الثاني يقول : «فاسمحوا لنا حين نفتخر بأنّ هذا اللّباب من حظ جمعية العلماء »[2].

ويقول مبينا الفرق بين الجمعية والأحزاب في توجيه الأمة للوجهة الصحيحة : « إنّ جمعية العلماء تعمل لسياسة التربية لأنّها الأمل ، وبعض ساستنا–مع الأسف–يعملون لتربية السياسة، ولا يعلمون أنّها فرع لا يقوم إلاّ على أصله »[3] .

ثم بعد ذلك يتبن ضعف نتائج الأحزاب السياسية الناجمة عن غفلتهم وتفرقهم فيقول:«إنّنا نعدُّ ضعف النتائج من أعمال الأحزاب في هذا المشرق العربي كله آتيا من غفلتهم ... وإهمالهم لتربية الجماهير .. إننا لا نتصور كيف يخدم السياسي أمته بتقطيع أوصالها »[4].

وفي الأخير يظهر تفرد الجمعية بالإصلاح في جميع ميادينه فيقول: «هذه هي الميادين التي تفردت فيها جمعية العلماء..» [5] ،وهي النتيجة النهائية من وراء هذا البسط والمقارنة والتحليل.

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، دار الامة ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص 44.

[2] المرجع نفسه ، ص 44.

[3] نفسه ، ص 45.

[4] نفسه ، ص 48.

[5] نفسه ، ص 51 .

وعليه ينبني الشكل الحجاجي لهذا النص وفق هذا الشكل؛ لأنّ المتكلم عمد إلى هذا التركيب المنطقي ليدافع عن قضية مطروحة في الساحة وصراع قائم بين علماء الجمعية والأحزاب فيكون الشكل:

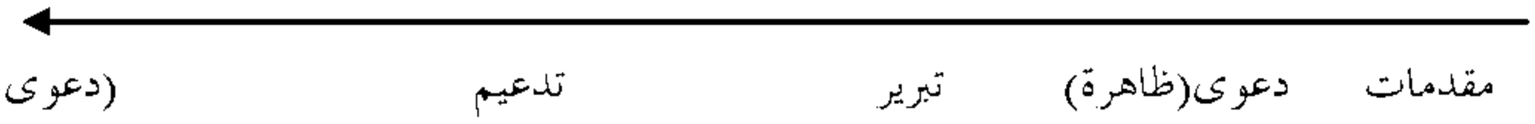

يبدأ الإبراهيمي مقاله بمقدمات تكون بمثابة تمهيد للنتيجة المرجوة من الخطاب وهي:الدعوى الظاهرة في قوله : «اسمحوا لنا أن نفتخر بأنّ هذا اللباب من حظ جمعية العلماء ».

و التبرير هو الفرق الظاهر والجلي بين عمل الأحزاب وعمل الجمعية في النص الثالث.

و التدعيم هي ضعف النتائج من قبل الأحزاب ، و الفرقة الناجمة بسببهم وتدعيمٌ أيضا بشواهد تاريخية « وقد أصبح هذا الشرق في تعدد أحزابه السياسية كعهده في الخلافة العباسية يوم كان كل خلاف جدلي في لفظة يسفر عن فرقة أو فِرق »[1].

وتدعيمٌ بالآيات القرآنية: «فاختلف الأحزاب من بينهم » ، « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب »[2].

الدعوى النهائية ظاهرة معلنة لا تحتاج إلى إخفاء أو تضمين ففي هذه المواقف يحسنُ إظهار الدعاوى حتى يراها المخالف واضحة جلية .

في النص طرفان لا يلتقيان مطلقا لا في المبادئ ولا في الأعمال:

الطرف الأول: متعلق بجهود الجمعية الجبارة في إصلاح الأمّة وانطلاقها في ذلك من مبادئ الإسلام في التوحيد والنصح والإرشاد.

والطرف الثاني: متعلق بتشتيت الأحزاب السياسية لصفوف الأمّة وأنّها لا تقوم على مبادئ يرتضيها الإسلام فتشكل لنا قضيتان لكل منهما مقدمات وتبريرات وتدعيمات ونتائج ، فتخدم

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص: 46.

[2] المرجع نفسه ، ص 47.

المقدمات والتدعيمات الطرف الأول فتزيد من قوته الحجاجية وتظهره بمنزلة الأفضل ، وتضعف المقدمات والتدعيمات الطرف الثاني فتجعله في مرتبة سفلى.

وبالتالي يصبح شكل الحجاج وفق هذا النمط:

الطرف الأول ← مقدمات ← تدعيم

(جمعية العلماء) (توجيهها الصحيح للأمة) أعمالها ومواقفها في التربية والهوية

الطرف الثاني ← مقدمات ← تدعيم

(الأحزاب السياسية) (تعتمد على القشور في السياسة و الفرقة) (الأدلة والشواهد من الواقع)

النتيجة النهائية:

جمعية العلماء هي الأفضل في محاربة المستعمر وفي توجيه الأمة نحو الحرية .

من خلال ما سبق يظهر أنّ الإبراهيمي قد قسم النص إلى قسمين قسم يظهر فيه مواقف الجمعية وأعمالها العظيمة في بناء ركائز الأمة ، وقسم يظهر فيه فساد الأحزاب ونتائجها التي تعود على الأمم بالهلاك والتفرق؛ حيث تمازجت هذه المقدمات والتدعيمات بطريقة عكسية بحسب المقام الذي يقتضيه الموضوع.

النص الثاني: بعنوان: "اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة ، ليس لها ضرة ".

في هذا المقال يعالج الإبراهيمي قضية اللّغة العربية في الجزائر وأنّها لغة أصيلة لا تزاحمها في ذلك لغة ، فبدأ يفند ذلك بأنّها دخلت مع الفاتحين المسلمين من المشرق وأقامت معهم مادام الإسلام قائما فيهم ، وأنّها لغة العلم والبيان وأنّها ملازمة للإسلام ، وأنّ البربر قبلوها بلا إكراه.

ثم تطرق لأهم عنصر والذي من أجله قدم بكل هذا التقديم وهو محاولة المستعمر إدخال الشّحناء بين العربية والبربرية فَفَنَّدَ شُبه الاستعمار وبيّن مكائده الخبيثة في القضاء على العربية ليصل في ختام النص بأنّ القبائل البربر مسلمون عرب كتابهم القرآن وهو بلسان عربي ولا يرضون به بديلا.

وعليه يكون شكل الحجاج في بنية هذا النص على النحو الآتي :

دعوى	مقدمات	تدعيم	احتياط	(دعوى ظاهرة)
اللغة العربية لغة أصيلة في الجزائر	جاءت مع ألسنة الفاتحين	من قال إن البربر دخلوا في الإسلام طوعا نرمه القول بأنهم قبلوا العربية عفوا	إن العربي الفاتح جاء بالإسلام ومعه العدل وبالعربية ومعها العلم	قبائل البربر مسلون عرب.

يعلن الإبراهيمي في هذا النص النتيجة ويظهرها واضحة كما جاء في عنوان المقال وبداية النص ، لأنّه يتبع استراتيجية مباشرة تتمثل في الرد العلني على المستعمر الذي بدأ يزرع الفتن ويشوش بين الجزائريين من حيث العرق ، فبدأ المستعمر برفع أصواته بأنّه لا بد من أن تكون اللّغة البربرية في الإذاعات والأخبار وأن يكون لها مترجمون في المجالس كل هذا محاولة منه لطمس هوية الجزائريين والتهوين من لغتهم ، لذلك يعلن الإبراهيمي عن موقفه ويشنُّ عليهم حربا إعلامية يُدَلِل فيها بأنّ البربر قبلوا الإسلام وقبلوا معهم العربية عفوا.

المقدمات يربط المتكلم بين النتيجة والمقدمات بحيث أعقب النتيجة مباشرة بمجموعة من الحجج ليرفع من بؤرة الحجاج في النص ، في كون العربية دخلت مع الفاتحين العرب فهي قائمة إلى الأبد وأنّها «سلطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية ، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر ، واقتناع لا يد فيه للقهر »[1].

والتدعيم ركز فيه الإبراهيمي على قبول البربر للإسلام ودخولهم فيه طوعا فيلزم منه أنّهم قبلوا العربية عفوا ، وأنّ البربر عرفوا عن طريق العربية ما لم يعرفوه من قبل.

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 221.

والاحتياط في قوله : «إنّ العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل وجاء بالعربية ومعها العلم؛ العدل هو الذي أخضع البربر للعرب ، ولكنّه خضوع الأخوة لا خضوع القوة ،..والعلم هو الذي طوع البربرية للعربية »[1].

النتيجة في آخر النص ظاهرة وهي « أنّ القبائل مسلمون عرب » [2]، وهي ذات علاقة قوية مع النتيجة الأولى.

- **النص الثالث:** هو مقال بعنوان " عادت لعترها لميس " [3].

حيث يكون الحجاج فيه على الشكل الآتي:

مقدمات ⟵ دعوى ⟵ تبرير

المقدمات : في هذا النص هو مثل الذي جاء به " عادت لعترها لميس " و لميس كما يبين الإبراهيمي في نصه امرأة كانت لها عوائد شر تعتادها وأخلاق سوء تقارفها ثم تفارقها لغلبة الفساد فيها والعتر هو الأصل.

الدعوى : ظاهرة وهي مضرب المثل بحيث يكون الاستعمار الفرنسي وحكومته في الجزائر هما لميس.

التبرير : في قوله : «عادت لعترها (لميسنا) في الصيف الماضي ».

وفي قوله : «عادت لعترها (لميس) في كل ما جرى من انتخابات في السنة الماضية وأيضا في قوله : « وعادت لعترها (لميس) وفي هذه الأيام ، وكانت عودتها هذه المرة للمدارس العربية التي تديرها جمعية العلماء .. عادت عليها هذه الأيام بالتضييق و التعسير »[4].

وهو يقصد بلميس هنا الاستعمار وعوائده الشريرة في القضاء على الشعب الجزائري ومنعه من جميع حقوقه.

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 222.

[2] نفسه ، ص 223.

[3] نفسه ، ص 379.

[4] نفسه ، ص 383.

النص الرابع: مقال بعنوان " الشك في الإيجاب نصف السلب " .

في هذا النص يرد البشير الإبراهيمي على من ادّعى أنّ الجزائر فرنسية وراح يردد بها في الخطب من المغموزين في دينهم الخائنين لوطنهم.

فبدأ مستغربا ترداد هذه الكلمة في أواسط الناس و في المحافل.

وبعد ذلك يعرج على تاريخ الجزائر قبل الاستعمار وقبل الإسلام مدعما بذلك رفضه لهذه الكلمة ، ليصل في آخر نصه أنّ الجزائر ليست فرنسية ولن تكون كذلك.

وبالتالي يكون رسم البناء الحجاجي لهذا النص وفق الآتي:

مقدمات ←تبرير ← تدعيم ← مؤشر الحال ← نتيجة (ظاهرة)

مقدمات ← « قرأنا في خطب كثيرة عن مسؤولين من رجال الحكومة الجزائرية .. جملة تتردد وتعاد .. هذه الجملة المرددة هي " الجزائر فرنسية "»[1].

تبرير ← « ونحن نستغرب ترداد هذه الجملة المملولة في هذه الظروف ، ونبحث عن العلة الداعية إليها ، فلا يهدينا البحث إلاّ إلى شيء واحد ، وهو الشك في منطوقها »[2].

تدعيم ← اعتمد الإبراهيمي تدعيم حجاجه بشواهد تاريخية : « ملكها الرومان قرونا فلم تنقلب رومانية » ، « وملكها الأتراك وهم أبناء ملتها وربائب دينها فلم تنقلب تركية ».[3]

مؤشر الحال ← لو « لو أنّ البحر الأبيض جف و التأمت حافتاه ، حتى أصبحت الجزائر ربضا من أرباض مرسيليا ، لما كان لهذه الكلمة موضع في العقل »[4].

النتيجة (ظاهرة) ← وهي أنّ الجزائر ليست فرنسية ، ولن تكون فرنسية.

---

[1] البشير الإبراهيمي ، ص 386.

[2] نفسه ، ص 386.

[3] نفسه ، ص 388.

[4] نفسه ، ص 387.

-النص الخامس: "عروبة الشمال الإفريقي "

يُبنَى هذا النص على النحو التالي:

مقدمات ⟵ تبرير ⟵ تدعيم ⟵ دعوى (ظاهرة).

مقدمات : عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية ، كيفما كانت الأصول قضت العروبة بقوتها وروحانياتها وأدبها على بربرية كانت منتشرة بهذا الشمال.

تبرير : كل هذه العوامل صيرت الشمال عربيا قارّ العروبة على الأسس الثابتة من دين عربي ولغة عربية ، وأدب عربي ، ومنازع عربية.

تدعيم : «إنّ كل ما يحتج به على القادحين في عروبة هذا الشمال هو حجة عليهم؛ فالدول التي قامت كاللّمتونية و الرستمية والموحدية وغيرها ليس لها من البربرية إلا النسبة العرفية وهي فيها عدا ذلك عربية صميمة ؛ عربية في الضروريات المقومة للدولة كوظائف القلم من إدارية و مالية ، .. وعربية في الكماليات التي تقتضيها الحضارة و الترف؛ كالغناء والموسيقى والشعر »[1].

دعوى(نتيجة): إن الاستعمار يعمل ذلك كله – ليعرف عروبة هذا الشمال ويعترف بها؛ ولكنّه ممن يكتمون الحق وهم يعلمون وكلمة العرب les arabes التي يلصقها على أهله تميزا أو نبزا أكبر حجة عليه .

-النص السادس: " فلسطين ماذا نريد لها وماذا يريدون " [2]

يبنى هذا المقال على طرفين ، الطرف الأول متعلق بالعرب وماذا يريدون لفلسطين الطرف الثاني متعلق باليهود وماذا يريدون لها ، وعليه يتكون لدينا شكلين حجاجين :

الطرف الأول: ماذا يُريدُ لها العرب ؟

مقدمات ⟵ تبرير ⟵ دعوى (مضمنة)

الطرف الثاني: ماذا يريد لها اليهود؟

---

[1] البشير الإبراهيمي ، ص478.

[2] نفسه ، ص 505.

مقدمات ⟵ تبرير ⟵ دعوى.

الشكل الأول:

مقدمات: نحن العرب نريد لفلسطين أن تكون عربية وأن تبقى عربية.

تبرير: نريد أن تبقى عربية الأنساب .. نريد أن تبقى أرضا مقدسة مكملة لقدسية مكة ويثرب.

دعوى(مضمنة): فلسطين أرض عربية وستبقى عربية ونريد لها القدسية.

الشكل الثاني:

مقدمات: ويريد اليهود أن يجعلوها وطنا قوميا يحققون به الأحلام الدينية التي فتنت أحبارهم.

تبرير: وقد تداعت على صوت الصهيونية إلى فلسطين تحمل معها تلك الخصائص الجنسية المتفرقة وتحمل مع تلك الخصائص العلم الأوروبي ، والفن الأوروبي ، والجشع الأوروبي.

دعوى(مضمنة): فلسطين ليست لليهود لأنهم لا يريدون قدسيتها بل يريدون تحقيق حلمهم بوطن قومي يجمع شتاتهم لأنّهم العرق الوحيد الذي ليس له دولة وإقليم يجمعه.

النص السابع: " الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر"

في هذا النص يبرز الإبراهيمي نفسه أمينا شاحذا للهمم واضعا الطريق أمام الشاب الجزائري ليكونوا ذخرًا لهذه الأمة ، وعليه يكون نصه مبنيًا على النحو الآتي:

مقدمات ⟵ تبرير ⟵ دعوى(مضمنة)

فالمقدمات: يَصُفُّها الإبراهيمي على شكل خواطر « أتمثله متسامحا إلى معالي الحياة ، أتمثله مقداما .. أتمثله حلف عمل...»[1]

و التبرير: يا شباب الجزائر؛ ما قيمة الشباب؟ وإن رقت أخداؤه وتجاوبت أصداؤه ، بل ما قيمة الكهوله..؟

الدعوى(مضمرة): وهي أهمية الشباب الصالح في المجتمع لأنّهم بناء المستقبل.

[1] البشير الإبراهيمي ، ص 586.

نلاحظ من خلال هذه النصوص السابقة أنّ البشير الإبراهيمي قد حافظ على نمطية النص العربي المكتوب وهو النمط الآتي:

مقدمات ← دعوى ← تبرير ← تدعيم

إلاّ أنّه أحيانا يقدم ويؤخر بين هذه العناصر نتيجة لطبيعة الموضوع أو حالة المتلقي والمقام فأحيانا ما يبدأ النص بالدعوى (النتيجة) مثلما يكون ذلك في عناوين المقالات الواضحة الدلالة فتظهر النتيجة من خلال العنوان لأنّ القضية لا يمكن إضمارها أو لأنّها لا تحتاج إلى إضمار؛ فلا بد من إبرازها للمخاطب.

وأحيانا تضمن الدعوى وتضمر بحيث يصل إليها المتلقي ، وتكون في النص دعوى واحدة رئيسية في المقال.

إنّ التدعيم هو الرّكيزة الأساسية في المكونات الحجاجية؛ إذ عليه تبنى صحة الدعاوى من بطلانها وقد نوع الإبراهيمي من وسائل التدعيم في نصوصه.

3-2- بنية الحجاج في المقالات من حيث وسائل التدعيم والإقناع :

من أبرز وسائل الإقناع المنطقية التي يعتمد عليها المرسل لإثبات النتيجة هو التدعيم؛ إذ هو وسيلة يتبعها الكاتب ليُثبتَ صحة رأيه أو ما يذهب إليه من معتقدات ، وهو في أغلب الأحيان أدلة وشواهد منطقية يضعها المتكلم موضع الدعامة التي ترتكز عليها الدعاوى لتحقيق غايات إقناعية من قبل المخاطب.

فالمرسل ينتقي من الأدلة والحجج ما يناسب موضوعه ، وحال متلقيه باعتبار هذه الوسائل موجهة له ، مما يجعلها سهلة الولوج إلى ذهنية المخاطَب فتكون بذلك أفضل الوسائل التي تُعين على التأثير ، وللتدعيم وجوه ثلاثة : التدعيم بالدليل ، التدعيم بالقيمة ، والتدعيم بالمصداقية.

3-2-1: التدعيم بالدليل:

إنّ موقف الحجاج الأبسط و الأشْيَع هو تقديم لإفادة تحظى بموالاة المخاطَب[1]

وهذه الإفادة هي الدليل ، وفي النص الحجاجي العربي- كما يرى محمد العبد- أنماطا شتى من أهمها: أدلة تاريخية وشواهد خاصة[2].

أ) أدلة تاريخية:

يعتمد البشير الإبراهيمي في نصوصه كثيرا على الأدلة التاريخية لكونها أحداث ووقائع ثابتة لا تتغير ولها مجرياتها الخاصة ، فهو عند دفاعه عن عروبة الشمال الإفريقي احتج بدليل تاريخي على صحة دعواه المتعلقة بإثبات العروبة لهذا الشمال في قوله: « إنّ كل ما يحتج به القادحون في عروبة هذا الشمال هو حجة عليهم؛ فالدول التي قامت كاللّمتونية و الرستمية و الموحدية و الصنهاجية والمرينية والزيانية — ليس لها من البربرية إلاّ النسبة العرفية ، وهي فيها عدا ذلك عربية صميمة: عربية في الضروريات المقوية للدولة ، كوظائف القلم من إدارية ومالية ووظائف القضاء من عقود وتسجيلات ، وعربية في الكماليات التي تقتضيها الحضارة والترف ، كالغناء والموسيقى و الشعر»[3].

يأتي الإبراهيمي بهذه الحجج ليدعم النتيجة التي يُبنى عليها الخطاب في إثبات عروبة البربر فهذه الدويلات البربرية التي قامت في شمال إفريقيا كانت دولا تتعامل بالعربية في كل أمور حياتها وهذا دليل تاريخي لا يمكن لأحد الاعتراض عليه.

وفي مقال آخر يقول الإبراهيمي : «.. وحنّت إليه بعد الإسلام ، فأوفدت إليه الغُرَّ البهاليل من أصحاب محمد ، يحملون الرحمة والسلام والبيان ، ويفتحون الأذهان والعقول

---

[1] ينظر : محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 160.

[2] ينظر : نفسه ، ص 161.

[3] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 478.

والأفكار؛ وما كانت غارة هلال بن عامر في المائة الخامسة للهجرة -على ما فيها من الهَنّاتِ- إلاّ تلقيحا لتلك الدماء التي أثرت فيها مؤثرات الهواء والتربة ».[1]

يستدل المتكلم بحقيقة تاريخية ليُثبت نسبة الشمال الإفريقي للعرب متمثلة في شخصية مهمة في وفود قبائل بني هلال من بني عامر إلى هذا الشمال حاملين معهم اللسان العربي والأخلاق العربية والدماء العربية ، فعمد الإبراهيمي في هذا الشاهد التاريخي إلى غاية إقناعية للمتلقي المعترض على صحة عروبة الجزائريين.

وفي نص آخر يذكر الإبراهيمي حقيقة تاريخية مدعما بها قضية وأطروحة جاءت على شكل استفهامات في قوله: «وهل يلام يهود أمريكا على انتصارهم لإخوانهم يهود ألمانيا؛ وهل يلام فرنسيوا كندا إن توجعوا لكارثة حلّت بإخوانهم في فرنسا ».[2]

يستشهد المتكلم بهذه الحقائق التاريخية ليثبت أنّ العرب من حقهم أيضا أن ينتفضوا أو ينتصروا لإخوانهم العرب في دول أخرى وقد جاءت هذه الحقائق على شكل استفهام لتفيد القرع والتقرير.

ب) شواهد خاصة:

يستند المحاجِجُ في كثير من الأحيان على بعض الشواهد ، مثل الأمثلة أو الشروحات ، أو ما يسمى "بالسلطة الحجاجية" التي يميل إليها في الغالب المتكلم نظرا لعدم رفضها من قبل المتلقي لأنّها عنده سلطة لا يمكن الاعتراض عليها كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها.

ومن بين ذلك ما قاله الإبراهيمي في سياق حديثه عن الأحزاب وأنّها تفرق الأمة قوله : «.. ونراهم يقولون إنّ كثرة الأحزاب في الأمة عنوان يقضتها و انتباهها ، وضمان وصولها إلى حقها ؛ ولكنّنا لم نر من تعدد الأحزاب إلاّ نقصًا في القوة ، ونقضًا للوحدة ، و تنفسا على الخصم، واشتغالا من بعضهم ببعضهم؛ وتعالت كلمة القرآن فإنه لا يكاد يذكر الأحزاب بلفظ

---

[1] الإبراهيمي. عيون البصائر، ص:36.

[2] نفسه ، ص:479.

الجمع إلاّ في مقام الخلاف والهزيمة (فاختلف الأحزاب من بينهم)،(جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)ولا يكاد يذكر الحزب بلفظ المفرد إلاّ في مقام الخير والفلاح (ألاّ إنّ حزب الله هم المفلحون) ».[1]

يتعرض الإبراهيمي لقضية مهمة في هذا النص وهي الخلاف والفرقة التي تحدثه الأحزاب في الأمة ، مقابلا بين كلام أصحاب الأحزاب " كثرة الأحزاب عنوان يقظتها وانتباهها وبين كلام الله، فأيُّهما يكون أقوى في الحجة والاستدلال؛ حيث ذِكرُ الأحزاب بالجمع في القرآن يوحي بالفرقة والهزيمة وذكره بالمفرد يوحي بالقوة دلالة على لم الشمل والتوحد ونبذ الخلاف والفرقة.

وقد استند المتكلم في إثبات نظرته للأحزاب بآيات قرآنية تعد في نظره وفي نظر مخاطَبه حجة سلطوية قائمة على « الاستدلال على صحة فكرة أو رأي أو موقف اعتمادا على قيمة صاحبها »[2] ؛ إذ ترتكز على معيار القداسة التي لا يُمدح الخروج عنها أو الاعتراض عليها.

فتتكون عند المتلقي بعض ملامح التأثير والقبول التي تتطور شيئا فشيئا لتصل إلى درجة الاقتناع بالفكرة أو الرأي لأنّه قد استحضر المكانة العليا التي يجليها الخطاب القرآني فحجة السلطة هي: «حجة مركزية تأتي لتدعيم ما أدمج في الخطاب من حجج تستجمعها داخل مدارها وتستقطبها في نواة محيطها »[3] .

وقد يهتدي المتكلم في إثبات قضاياه إلى ضرب الأمثلة الموضحة التي تُعَرِّي الدلالات والمعاني بشكل يُعين القارئ على تصور الشيء تصورا كاملا ينتج له الوقوف على خبايا الأمور من أمثلة ذلك قول الإبراهيمي : « والمبطل الذي يعتمد على الحيلة والمكر ويطلب الشيء كاملا وهو يعتقد أنّه مبطل فيكون ضميره أقوى خواذله ، وإن لم يكن أقوى عواذله ، فإذا ظفر بشيء

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص 479.

[2] قوتال فضيلة ، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج ؟ مجلة فصل الخطاب ، مخبر الخطاب الحجاجي ، أصوله ومرجعياته و أفاقه في الجزائر، جامعة ابن خلدون تيارت ، ع:5 ، جانفي -2014 ، ص 25.

[3] علي الشعبان الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل ، في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1 لبنان ، 2010، ص 158 .

منه بحكومة باطلة قنع بالتزر ورضي باليسير، كالسّارق يقنع بكل ما حصل في يده ، لأنّه لم يبذل فيه إلاّ الحيلة والاستغفال »[1].

يحاول الإبراهيمي في هذا المقال الذي هو بعنوان " فلسطين ماذا نريد لها وماذا يريدون " عقد مقارنة بين العرب وبين اليهود ، فالعرب هم أصحاب الحق في فلسطين لأنهم ورثوها عن آبائهم وأجدادهم و فيها مقدساتهم ، واليهود قد حازوا عليها بالتصويت وبدون أي جهد يذكر فهم في ذلك مبطلون ، لذلك لو ظفروا منها بنصيب أقل فرحوا به فرحا شديدا لأنّ حلمهم في تحقيق وطن قومي قد تحقق.

من هنا يُظهر الإبراهيمي للمتلقي أحقية العرب بفلسطين ولو كان اليهود فيها حق كما يدعون ما فرحو بقرار التقسيم والتزر اليسير كما قاله الإبراهيمي سابقا.

ومن الشواهد الخاصة أيضا المثل الذي استعمله الإبراهيمي عنوانا في نصه " عادت لعترقا لميس"[2] فهو يستحضر مورد المثل ويتزله على فرنسا المستعمرة بحيث تكون لها عوائد شر تعتادها في حق الجزائريين من ظلم وقتل و قهر ، مثلما كانت للميس عوائد شريرة ، فتتضح الصورة للمتلقي ببشاعة و فضاعة الاستعمار الفرنسي وربما يجهز نفسه لمحاربته ومقاومته.

3-2-2- التدعيم بالقيمة:

القيمة «مفهوم يستخرج مما يقوله الناس ومما يفعلونه ، ومما تبنيه المجادلات »[3]؛ وهي ذات طابع إقناعي يعتمده المحاجج لتغيير قناعات المتلقي ، لأنّ القيم عبارة عن معايير متفق عليها إلى حدّ الإجماع وهذا الاتفاق يظهر القيمة في مرتبة حجاجية لا بأس بها من حيث التدعيم والتعليل لأنّ المخاطَب لا يسعه الخروج عنها ، ولها معايير معتمدة كالدين (الصدق ، الوفاء ، الأخلاق) أو العادات والتقاليد أو الأعراف.

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 508 .

[2] نفسه ، ص 379.

[3] محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 163 .

وفيما يلي سنوضح هذا عن طريق بعض الأمثلة من نصوص الإبراهيمي:

يقول الإبراهيمي مبرزا دور جمعية العلماء ومواقفها : « الواقع أنّ جمعية العلماء لم تزل في نزاع وصراع مع هؤلاء جميعا ، وأن محل هذا النزاع وهدف هذا الصراع هو الأمّة الجزائرية فالجمعية تريدها أمّة عربية مسلمة ، كما هو قسمها في القدر ، وحظها في التاريخ ، وحقها في الإرث ، والاستعمار يريدها هيكلا لا تترابط أجزاؤه ، ولا تتماسك أعضاؤه... ورجال السياسة من قومنا يريدونها متبوأ لزعامتهم المزعومة ، وسيادتهم الموهومة فيعللونها بالأباطيل »[1].

يفسح الإبراهيمي المجال أمام المتلقي عندما جعله يقارن بين ما تريده جمعية العلماء للأمة الجزائرية من صلاح في الدين والعلم وإرجاع هويتها الأصلية وتاريخها ، وبين ما يريد المستعمر ورؤساء الأحزاب من تجهيلها وتفريقها ، فعندئذ يتبين له الفرق الواضح الذي لاغبار عليه أنّ مجموعة القيم التي تريدها الجمعية في سبيل النهوض بهذه الأمة هي الأصلح والأنفع ، وهذه القيم هي الدين ، العروبة وهي تدخل في مسمى واحد هو " الهوية " فهذه القيمة متعارف عليها ومقبولة عند جميع الأمم بجميع أصنافها ، عندها تتحقق الفائدة والغاية المراد نقلها للمتلقي في كون مواقف وأعمال الجمعية هي السّبيل الوحيد والقويم لتوعية الشعب الجزائري.

ويقول الإبراهيمي: « إنّكم يا أبناءنا مناط آمالنا ومستودع أمانينا ، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة ، و لاستحقاق الإرث ، وهو ذو تبعات وتكاليف ، وننتظر منكم ما ينتظره المُدلجُ في الظلام من تباشير الصبح ... و إنّ الوطن —وهو أبو الجميع- يتطلع من وراء هذه الهجرة إلى إحياء وتعمير وإعادة مجد وبناء تاريخ »[2] .

يريد الإبراهيمي في هذا النص تحفيزَ الطلبة المهاجرين في سبيل العلم فهو يريد أن يهيئهم ويعدهم للمصائب التي تعترضهم في سبيل تحصيله ، وأن هجرتهم هذه قد فارقوا فيها الأحبة والآباء والأوطان ، فأراد المتكلم إثارة الروح الوطنية فيهم ، ولاشك أنّ القيمة المتمثلة في حب

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 33.

[2] نفسه ، ص 216.

الوطن هي من أفضلِ القيمِ التي استعان بها الإبراهيمي للوصول إلى مقاصده الحجاجية ، وقد استعمل التدعيم بقيمة الوطنية فجعلها غاية يروم الوصول من خلالها إلى نفوس الطلبة ليجتهدوا في التحصيل حتى يعودوا بالنفع على أوطانهم.

وهناك قيمة أخرى ينتجها هذا النص متمثلة في قيمة الصدق والإخلاص اللّذين يصدران عن الإبراهيمي في كمال توجيهه وعنايته ونصحه لطلاب العلم ، فهي قيمة تزيد في تدعيم النتيجة الكلية للنص ، كما أنّها قيمة متضمنة يصل إليها المتلقي فيرى في هذا الكلام جانب الوفاء والصدق وحسن النية فحينها يصل الباثُّ إلى مبتغاه في استحواذه على المخاطَب.

مترلة الشخص الداعم للقيم:

إضافة إلى القوة والشمولية التي تستند إليها القيمة في تدعيمها للنتيجة هناك عامل آخر مهم هو " مترلة الأشخاص الذين يدعمون هذه القيمة "[1].

فمترلة المحاجج نفسه هي التي تحدد قوة القيمة الحجاجية لكونه يتصف بأوصاف تميزه عن غيره من النّاس ، والتي منها العلم ، الورع ، التقوى ،و الوجاهة و الحكمة وغيرها وكل هذه الأوصاف المذكورة إضافة إلى أخرى معروفة عند الناس هي ما يميز البشير الإبراهيمي فهو ذو مكانة عالية في الوطن الجزائري وخارجه ، يشهد له بذلك كثير من أهل العلم والفضل.

وتتضح هذه المترلة في قول الإبراهيمي : « إنّ هذه الأمة —يا أبنائي–هي أمتنا وهي رأس مالنا شئنا أم أبينا ، وهي عوننا على العلم ، وهي مددنا وملاذنا ، وهي نصرتنا و معاذنا ، وهي مناط قوتنا ، ومظهر أعمالنا ، فعلينا أن نراعي شعورها في غير واجب يترك»[2].

يوجه الإبراهيمي هذه الكلمات إلى المعلمين في الجزائر في قالب تحسيسي للأمانة الملقاة على أعناقهم ، ولاشك أنّ مترلة الإبراهيمي لا تخفى على هؤلاء المعلمين ، فيكون ما ذهب إليه الإبراهيمي في هذا الخطاب وما قدمه من قيم لا تتعارض مع قيمهم ومصالحهم وخاصة أنّ

---

[1] محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 165.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 297.

الإبراهيمي قد أظهر منزلته وسلطته الحجاجية عندما خاطبهم بأسلوب النداء " يا أبنائي " فيتضح من خلال هذا أنّه أكبر منهم سنا وأعلى منزلة وأقوى علما لما يوجهه إليهم من قيم ونصائح.

3-2-3- التدعيم بالمصداقية:

يعتبر التدعيم بالمصداقية بعدا حجاجيا تُبنَى عليه مقاصد المتكلم وغاياته الإقناعية ، ويكمن البعد الحجاجي للمصداقية في كون المحاجج قد ألزم نفسه إلزاما بكل ما جاء به في الخطاب وملتزما به في الواقع ، فيظهر صدقه الذي يكون عاملا حجاجيا يصل إلى التأثير في معتقدات وسلوكيات الفرد .

خاصة إذا صدرت هذه المصداقية من متكلم له وجاهته ومنزلته عند المتلقي وقد يستعمل المتكلم " المصداقية المباشرة " [1] ليثبت صحة ما يدعيه أو يلجأ إلى " مصداقية ثانوية غير مباشرة "[2] بذكر ما يراهم أقوى منه في درجة السلم الحجاجي ، وما يقتضيه المقام.

أ) المصداقية المباشرة:

ومن ذلك قول الإبراهيمي عن الأحزاب: « إنّنا نعد ضعف النتائج من الأحزاب في هذا الشرق العربي كله آتيا من غفلتهم أو تغافلهم عن هذه الأصول ، ومن إهمالهم لتربية الجماهير وتصحيح مقوماتها »[3].

تبرز المصداقية المباشرة عن إعطاء المتكلم إفادة عن نفسه وقرار قطعي يؤكد فيه ضعف الأحزاب وذلك بضمير المتكلمين " نحن " الذي يقصد به الإبراهيمي نفسه لا غير؛ بحيث يَظهرُ باستعماله لهذا الضمير في منزلة مهيبة صادقة قد أصدرت هذا الحكم عن طريقة استقرائية لجميع أحزاب المشرق العربي.

---

[1] محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال، ص 165.

[2] نفسه ، ص 166.

[3] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 46.

وفي نص آخر يقول : « إنّنا لو جمعنا كل آرائكم في السياسة ، وفرضنا تحقيقها لما أفادت الأمة شيئا ،.. إنّنا لا نتصور كيف يخدم السياسي أمته بتقطيع أوصالها وشتم رجالها ، ..إننا نخشى أن تفسدوا على الأمة (بهذه الدروس جيلا كاملا).. ونخشى أكثر منه على هذه الطائفة المقبلة على العلم »[1].

يشن الإبراهيمي في هذا المقال حربا ضروسا لا تبقى للأحزاب ولا تذر عن طريق استعمال تدعيمه لكل هذه الحجج بمصداقية مباشرة متمثلة في " نحن " فكلها إقرارات تهدم ركنا من أركان الأحزاب السياسية في الجزائر.

ويقول في نص آخر: «وأنا رجل ممن هيأتهم الأقدار لخدمة هذه الأمة في نواح دقيقة شريفة لا يقبل فيها الزيف ولا يسمح فيها مع الباطل ؛ من هذه النواحي ما هو أمانة تؤدى بلا تصرف وما علينا إلا أن نقول ونبلغ ، وما على الأمة إلا أن تسمع وتطيع .. فأزعم أنني جربت ودرست وأنني قرأت هذه الأمة وفهمتها كما أقرأ كتاب وأفهمه »[2].

تبرز المصداقية المباشرة بشكل جلي بحيث يُلزم الإبراهيمي نفسه بخدمة هذه الأمة في نواح كثيرة مكنته من فهم أحوال الأمة الجزائرية فهما لا يضاهيه فهم وتجربة لا تلحقها تجربة بحيث إذا أمرهم بشيء فعليهم أن يطيعوا ويمتثلوا.

ب) المصداقية غير المباشرة:

وهي التي تكون بدمج مصداقية شخص آخر ، أو هيئة معينة لها منزلة أقوى من منزلة المتكلم ، أو لأنّ المقام يقتضي ذكر هذه المصداقية خاصة .

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 49.

[2] نفسه ، ص 224.

و في هذا يقول الإبراهيمي : « وهذا النوع من الإمساك يدخل في معنى الصوم لغة وفي مفهومه شرعا ، ونصوص الدين تدل على أنه شرط في القبول ، مثل: ربّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ومن اللطائف القرآنية أنّ الله تعالى وصف المغتاب بأنه يأكل لحم أخيه »[1].

يتحدث الإبراهيمي عن معاني الصوم ، وأنّه إمساك عن المحرمات من أكل وشرب وشهوة ، لكنّه يتفطن لشيء مهم غير هذين الأمرين وهو ما جاء به في الحديث الذي ذكره (ربّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) والآية الكريمة (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)، وفي استعمال هذه المصداقية غير المباشرة دلالة على أنّ الإبراهيمي قد رأى فيهما قوة حجاجية وإقناعية لم يجدها في كلامه هو خاصة وأنّ هذا الكلام موجه لطائفة المسلمين الذين تناسوا بأنّ من معاني الصوم أيضا الابتعاد عن اللغو والغيبة والنميمة والشتم وهذا ما جاء في الآية والحديث.

ومن خلال هذه النماذج يمكننا أن نستنتج ونستنبط منها ما يلي:

1- يتمتع الإبراهيمي بكفاءة حجاجية عالية.

2- وسمعته مناسبة لهذا النوع من الخطاب والنصح والنقد والتوجيه ، فهو يتميز بمكانة مرموقة في أواسط المجتمع الجزائري ، وهو عالم علامة متبحر في جميع العلوم.

3- وصاحب هذه المدونة رجل ، ويميل الناس إلى قابلية تصديق الرجال أكثر من قابليتهم لتصديق النساء.

4- يعطي الإبراهيمي إفادة عن نفسه مستخلصة من تجاربه الخاصة وزيادة في مصداقية وقابلية خطابه.

5- الغاية من هذه النصوص توجيه الأمة بتصحيح عقائدها وأحوالها وتثقيفها ، ولا مجال فيها لإبراز النصر على مجادل أو معارض ، بحيث يتوفر فيها عامل النية الحسنة ، مما يجعلها ذات مصداقية ومقبولية عند المتلقين.

6- يستند صاحب النص على قيم لها علاقة بالواقع الذي يعرفه المتلقي.

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 577.

7- ويعتمد في تدعيماته على سلطة أقوى منه حجاجيا القرآن والسنة والحقائق التاريخية.

8- جودة تنظيم الخطاب تزيد في المصداقية وهي السمة الموجودة بكثرة في نصوص البشير الإبراهيمي.[1]

المبحث الثاني :القياس ودوره في الإقناع .

1- القياس المنطقي:

يعد القياس المنطقي أهم ركيزة في الخطاب الحجاجي لأنّه القول العام الذي يؤدي إلى إثبات قضايا جزئية ، فينشأ من مقدمتين ونتيجة ، فالقياس المنطقي آلة من آلات الربط بين الأقوال بطرق دلالية؛ بحيث تصير الأقوال مرتبطة ببعضها البعض مفضية إلى نتيجة محددة مقصودة من قبل المتكلم، وهو « أحد طرق الاستدلال غير المباشر وأقومها إنتاجا »[2]، ويرى ابن وهب(ت.335هـ) أنّ القياس عند المناطقة لا يحدث إلا عن مقدمتين لأحداهما بالأخرى تعلق[3] وعليه يكون القياس المبني على المقدمات كالآتي:

- كل مضر بالصحة والبدن حرام.
- الدخان أثبتت الدراسات العلمية أنّه مضر بالبدن.
- الدخان حرام.

فلهذه البنية ثلاثة أقوال : القول الأول هو المقدمة المنطقية الكبرى ، الثاني هو المقدمة المنطقية الصغرى ، والثالث هو النتيجة التي يستنتجها المخاطب سواء كانت مذكورة أم متضمنة وتكمن وظيفة القياس المنطقي « الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب– أي المقدمة الكبرى–إلى ماهو مشكل أي نتيجة »[4]، ليكون الانتقال من قبل المستمع لكونه في أتّم التركيز في محاولة الوصول إلى الاستنتاج.

---

[1] ينظر : محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 161.

[2] عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم ، دمشق ،ط6-2002 ص 227.

[3] ينظر : ابن وهب(أبو الحسن) ، البرهان في وجوه البيان، تح أحمد مطلوب ، جامعة بغداد-1967 ص 222.

[4] محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 170.

ومن أمثلة القياس المنطقي ما قاله الإبراهيمي : «إنّ جمعية العلماء تعمل لسياسة التربية لأنها الأصل ، وبعض ساستنا —مع الأسف- يعملون لتربية السياسة ولا يعلمون أنّها فرع لا يقوم إلاّ على أصله، وأيُّ عاقل يدرك أنّ الأصول مقدمة على الفروع »[1].

ويمكن تصوير القياس المنطقي كالتالي:

المقدمة الكبرى ← إن جمعية العلماء تعمل لسياسة التربية لأنّها الأصل.

بعض ساستنا يعملون لتربية السياسة وهي فرع.

المقدمة الصغرى ←ولا يعلمون أنّها فرع لا يقوم إلا على أصله.

النتيجة ← الأصول مقدمة على الفروع.

فمن خلال هذا الترتيب المنطقي للجمل والدلالات تظهر المزية لجمعية العلماء ودورها الفعال في توجيه الأمة الجزائرية نحو الأفضل.

وفي مثال آخر يقول البشير الإبراهيمي : « من قال إنّ البربر دخلوا في الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنّهم قبلوا العربية عفوا لأنّهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعها »[2].

ويكون الترتيب في هذا النص كالآتي:

(مقدمة كبرى) ← البربر دخلوا في الإسلام طوعا.

(مقدمة صغرى) ← وقبلوا العربية عفوا

(نتيجة) ← لأنّ العربية والإسلام شيئان متلازمان لا ينفصلان.

---

[1] الابراهيمي ، عيون البصائر، ص 45.

[2] نفسه ، ص 222.

ويقوا أيضا : « ومن شهد أنّ البربرية مازالت قائمة الذات في بعض الجهات ، فقد شهد للعربية بحسن الجوار ، وشهد للإسلام بالعدل والإحسان »[1].

(مقدمة كبرى) ⟵ البربرية مازالت قائمة في بعض المناطق.

(مقدمة صغرى) ⟵ حسن جوار العربية والإسلام للبربرية.

(نتيجة) ⟵ الإسلام دين التسامح والعدل وليس دين جبرية وتسلط.

ويقول في نفس السياق : «وإذا رضي البربري لنفسه الإسلام طوعا بلا إكراه ، ورضي للسانه العربية عفوا بلا استكراه ، فأضيع شيء ما تقول العواذل »[2].

(مقدمة كبرى) ⟵ قبول البربري للإسلام طوعا.

(مقدمة صغرى) ⟵ وقبول العربية لغة له عفوا.

(نتيجة) ⟵ ما يقوله المبطلون المدّعون كله باطل.

في هذه المقالة كلها يدافع الإبراهيمي عن العربية ومكانتها في القطر الجزائري ، بأنها أصيلة متجذرة في هذا الشعب ، هذا بعد ما رأى حركة خبيثة من المستعمر في بعث وإحياء اللغة البربرية وجعلها مكافئة للعربية بحيث يُجعل لها في المجالس مترجمون وأنّها تذاع بها نشرات الأخبار في الراديو الجزائري كل هذه المحاولة من الاستعمار لطمس الهوية العربية الإسلامية لا لحبه اللّغة القبائلية ، فتفطن الإبراهيمي لهذه المكيدة ، مدافعا عن العربية في هذا الوطن ، فنجده يأتي بهذه القياسات المنطقية المتمثلة في قبول البربر للإسلام طوعا بلا إكراه فيلزم منه أنّهم قبلوا معه العربية لأنّهما متلازمان.

---

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر ، ص 222.

[2] نفسه ، ص 222.

وفي ميدان التعليم والتربية يقول الإبراهيمي مظهرا دور العلم في مكافحة الاستعمار«وكما أنّ جهنم تتقى بالأعمال الصالحة وأساسها الإيمان ، فإنّ الاستعمار يُتقى بالأعمال الصالحة وأساسها العلم »[1].

(مقدمة كبرى) ⟵ جهنم تتقى بالأعمال الصالحة (الإيمان).

(مقدمة صغرى) ⟵ الاستعمار يتقى بالعلم.

نتيجة ⟵ العلم عدو الاستعمار.

لهذا السبب يحارب الاستعمار العلم في الجزائر.

وفي حثّ الشباب على الزواج يقول : « أيُّها الشباب إنّكم لا تخدمون وطنكم وأمتكم بأشرفَ من أن تتزوجوا فيصبح لكم عرض تدافعون عنه وزوجات تحامون عنهن ، وأولاد يوسعون الآمال هنالك تتدربون على المسؤوليات وتشعرون بها وتعظم الحياة في أعينكم ، وبذلك تزداد القومية في نفوسكم ، إنّ الزوجة والأولاد حبال تربط الوطني بوطنه ، وتزيد في إيمانه وإنّ الاعراض عن الزواج فرار من أعظم مسؤولية في الحياة؛ ولمن تُخدم الأوطان ؟ إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحُرُم »[2].

ويكون القياس المنطقي على النحو الآتي:

(مقدمة كبرى) ⟵ أيها الشباب إنّكم لا تخدمون وطنكم وأمتكم بأشرف من أن تتزوجوا

(مقدمة صغرى) ⟵ يصبح عندكم عرض وزوجات ومسؤوليات تربطكم بأوطانكم.

(نتيجة) ⟵ الزواج خدمة للوطن.

عدم الزواج تضييع للوطن.

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص237 .

[2] نفسه ، ص 327.

ويقول في تحذيره من الأحزاب والتفرقة والضعف الناجم عنها : « إنّ ضعف الضعيف لا يكون –في سنة الله–إلا زيادة في قوة القوي وإنّ اختلافكم ضعف فهو لا يكون إلا زيادة في قوة خصومكم »[1]. ويكون شكل الحجاج بطريق القياس المنطقي كالآتي:

(مقدمة كبرى) ⟵ ضعف الضعيف زيادة في قوة القوي

(مقدمة صغرى) ⟵ اختلاف الأحزاب ضعف

نتيجـــة ⟵ وضعفهم زيادة في قوة فرنسا.

ومن خلال تحليلينا لهذه النماذج يمكننا القول إنّ القياس المنطقي من أهم الوسائل المنطقية التي يمكن للمحاجج اعتمادها في نصه ، وقد تتباعد أقوال القياس وتتوزع على أكثر من فقرة في النص ، ولا يشترط أن تكون مجملة ومن هنا يبدأ دور المتلقي في إبراز هذه الاستنتاجات عن طريق الربط بين المقدمات.

2- القياس المضمر:

إنّ من أنواع القياس " القياس الإضماري " وهو الذي تحذف فيه إحدى المقدمات الكبرى منه أو الصغرى لظهورها ، دلالة على حذفها[2]، وما كان الحذف ليقع إلاّ لوجود ما يبنى عليه فهو محذوف معلوم مطوي في الكلام منوي فيه[3]، وعدم ذكر إحدى المقدمات لا يقلل من الطاقة الإقناعية و الاستدلالية لهذا النوع من القياس يقول الغزالي(ت.505هـ) : « بل ينبغي أن تكون عين عقلك مقصورة على المعنى ، موجهة إليه لا إلى الأشكال اللفظية ، فكل قول أمكن أن يحصل مقصوده ويرد ما ذكرناه من القياس فقوته قوة قياس، وهو حجة »[4] ، ومن أمثلة القياس الإضماري في نصوص الدراسة ما يلي:

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 332.

[2] ينظر: الغزالي أبو حامد ، معيار العلم في فن المنطق ، تح سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ، 1961، ص 178.

[3] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، (د، ط)، دار الفكر العربي، (د، ت)، ص 338.

[4] الغزالي أبو حامد ، معيار العلم في فن المنطق ، ص 177.

« من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد والفتنة ، وتعجل بها إلى الدمار والفناء عادة المغالاة في المهور »[1].

تؤدي هذه الأقوال المصرح بها إلى:

1- عادة المغالاة في المهور سبب الفتنة والفساد.

2- المغالاة في المهور من المشاكل الاجتماعية.

فبالتالي يمكننا القول بأنه " كل ما يؤدي إلى الفتنة والفساد من المشاكل الاجتماعية "

ويكون القياس المضمر كالآتي:

(مقدمة كبرى محذوفة) ⟵ كل ما يؤدي إلى الفتنة والفساد من المشاكل الاجتماعية.

(مقدمة صغرى) ⟵ ينتج عن المغالاة في المهور الفساد والفتنة.

النتيجة ⟵ المغالاة في المهور من المشاكل الاجتماعية.

وهناك استنتاجات أخرى مضمنة في هذا القياس هي :

- إعراض الأبناء عن الزواج بسبب غلاء المهور.
- كساد البنات بسبب إعراض الشباب عن الزواج.
- اندفاع الشباب والشابات إلى الرذائل والفواحش.

إنّ هذا الحذف الذي نشأ عن حذف المقدمة الكبرى وبعض النتائج ، يوجب على المتلقي تقديرهُ لهذا المحذوف ، فيفتح المجال لنفسه للتدبر في دلالات المعاني واستنباطها فيكون ذلك أوقع في نفسه لأنّه من اكتشافه وصنعه .

ويقول الإبراهيمي : «ولو أنّ المسلمين فقهوا توحيد الله من بيان القرآن وآيات الأكوان لما ضلّوا هذا الضلال البعيد في فهم العبادات »[2].

من خلال هذه البنية السطحية الظاهرة نرى أنّ:

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص 359.

[2] نفسه ، ص 537.

- المسلمين لم يأخذوا الفقه من بيان القرآن.
- وبذلك ضلوا في فهم عباداتهم.

ويكون القياس المضمر على الشكل التالي:

(مقدمة كبرى محذوفة) ⟵ يجب على المسلمين أن يفقهوا التوحيد من بيان القرآن.

(مقدمة صغرى مذكورة) ⟵ لم يفقه المسلمون التوحيد من بيان القرآن.

(النتيجـــــة) ⟵ ضلوا في فهم العبادات.

ويقول أيضا مبرزا خطأ عظيما يقع فيه المسلمون اليوم في الاستعداد لشهر رمضان « إنّ هذا الاستعداد المتناهي الذي يستعدوه مسلمو اليوم لرمضان بالتفنن والاستكثار من المطاعم والمشارب مخالف لأمر الدين ، مناف لحفظ الصحة ، مناقض لقواعد الاقتصاد ولو كان هؤلاء متأدبين بآداب الدين لاقتصروا على المعتاد المعروف في طعامهم وشرابهم ، وأنفقوا الزائد في طريق البر والإحسان التي تناسب رمضان »[1].

لو جرى الكلام في هذا النص على غير القياس الإضماري لكان كالآتي: " إن الاستعداد لشهر رمضان يكون بالتقوى والعمل الصالح و الإيمان وسائر أعمال البر و الإحسان ، وليس هو الاستعداد المتناهي الذي يستعده مسلمو اليوم لرمضان بالتفنن في أنواع الطعام".

فنقول إنّ المقدمة الكبرى في هذا النص محذوفة ويكون شكل القياس المضمر على النحو الآتي ذكره:

(مقدمة كبرى محذوفة) ⟵ الاستعداد الصحيح لرمضان يكون بالإيمان والعمل الصالح.

(مقدمة صغرى مذكورة) ⟵ استعداد مسلمي اليوم لرمضان بالتفنن في أنواع المطاعم والمشارب.

(نتيجة معلنة) ⟵ هذا الاستعداد مخالف لقواعد الاقتصاد ومناف لحفظ الصحة.

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 575.

يأتي هذا القياس المضمر من المتكلم تحريضا منه على المسلمين بأن يتكاتفوا ويتعاضدوا ويحسنوا إلى بعضهم البعض والابتعاد عن هذه الأمور التي استحدثوها اليوم في رمضان من تفنن في الأكل والشرب لأنّ هذا لم يكن عند المسلمين الأوائل بدليل القرينة اللفظية في النص " مسلمو اليوم " فدل على أنّ هذا الأمر لم يكن في العهد الأول من الإسلام.

3- القياس المتدرج:

القياس المتدرج شأنه شأن القياس المنطقي شكل من أشكال تحديد العلاقات المنطقية الدلالية بين الأقوال وما تعبر عنه من قضايا ، فهو امتداد معقد للتعليل القائم على القياس المنطقي وذلك أن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية لبعض حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة أخرى لاحقة[1].

ونحاول أن نشرحه عن طريق المثال الذي وضعه محمد العبد في كتابه "النص والخطاب والاتصال":

- كل المسايرين للموضة متحررون من القيود.
- كل المتحررين من القيود مزعزعون .
- كل المزعزعين مرضى عقليا.
- كل المرضى عقليا في حاجة إلى التعاطف.
- كل المسايرين للموضة في حاجة إلى التعاطف.

فيلاحظ من خلال هذه الأقوال ارتباط وثيق بين المقدمات والنتائج ويمكن القول إنّ النتيجة في هذه الأقوال عبارة عن مقدمة كبرى لقياس آخر فيكون شكل القياس المتدرج كالآتي:

-(مقدمة كبرى معلنة) ⟵ كل المسايرين للموضة متحررون من القيود

-(مقدمة صغرى) ⟵ كل المتحررين من القيود مزعزعون.

-(النتيجة) ⟵ كل المزعزعين مرضى عقليا.

(مقدمة كبرى) ⟵ كل المزعزعين مرضى عقليا

[1] ينظر : محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص 164.

(مقدمة صغرى) ⟵ كل المرضى عقليا في حاجة إلى التعاطف.

(نتيجة) ⟵ كل المسايرين للموضة مرضى عقليا وبحاجة إلى التعاطف.

ومن أمثلة القياس المتدرج قول الإبراهيمي : « اللّغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه اللغة على الأمّة حقان أكيدان كل منهما يقتضي تعلمها،فكيف إذا اجتمعا؛ حق من حيث أنّها لغة دين الأمة ، بحكم أنّ الأمة مسلمة ، وحق أنّها لغة جنسها بحكم أنّ الأمة عربية الجنس ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا »[1].

ويكون القياس المتدرج في هذا المثال على النحو الآتي:

(مقدمة كبرى01) ⟵ اللغة العربية لغة الإسلام الرسمية ⟵ معلنة

(مقدمة صغرى) ⟵ وهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ⟵ معلنة

نتيجة ⟵ وجوب تعلم اللغة العربية لأنّه لا يصح الإسلام إلاّ بها ⟵ مضمنة مقدمة كبرى 02

↓

قياس مضمر محذوف المقدمة الكبرى.

(مقدمة كبرى محذوفة 02) ⟵ وجوب تعلم اللغة العربية لأنه لا يصح الإسلام إلا بها.

(مقدمة صغرى) ⟵ للغة العربية على الأمة حقان أكيدان (من حيث الدين والجنس).

نتيجة ⟵ يقتضي هذان الحقان وجوب تعلم العربية ⟵ معلنة.

↓

(مقدمة كبرى 03) قياس منطقي معلن المقدمة الكبرى .

(مقدمة كبرى ظاهرة 03) ⟵ وجوب تعلم العربية لأنها لغة الدين والجنس.

(مقدمة صغرى) ⟵ وبحكم أنّ الأمة مسلمة وعربية الجنس.

نتيجة ⟵ تعلم العربية ينتج عنه المحافظة على الدين والجنس اللّذين هما هوية كل فرد.

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 239.

فالاستنتاج الكلي لهذا القياس المتدرج هو القول الأخير " تعلم اللغة العربية محافظة على الهوية الفردية والعرقية ".

المبحث الثالث : نظرية السلالم الحجاجية في عيون البصائر:

لقد مر الحديث معنا في الفصل الأول حول نظرية السّلالم الحجاجية والطاقة الحجاجية الكامنة من وراء تلك التراتبية في تجاور الحجج والقضايا جنبا إلى جنب ؛ حيث يرتبها المرسل من الجهة الأدنى إلى الجهة الأقوى في سلمية منطقية شيئا فشيئا ، لتُيسر له الولوج إلى نفسية المتلقي فتتحقق غاياته التداولية.

ويمكن أن نرمز للسلم الحجاجي بهذا الشكل التالي :

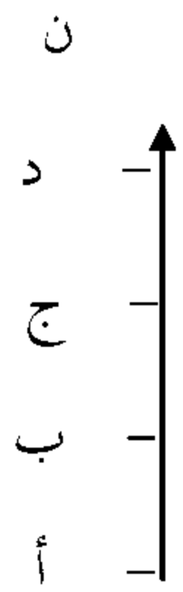

بحيث ن = النتيجة ، "أ" و "ب" و "ج" و "د": حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".

والمرسل هنا هو الشيخ البشير الإبراهيمي الذي يحاول بكل ما أوتي من قوة بلاغية وقدرة إقناعية أن ينهض بهمة الشعب الجزائري وبعث الروح الإسلامية العربية فيه ، حيث يقول:«تتجاور في الجزائر أديان ثلاثة ، أصلها من السماء وإن أخلد أتباعها إلى الأرض... أمّا الإسلام فهو أوثقها اتصالا بالأصول السماوية ، و أوسعها امتدادا مع التاريخ ، وأبقاها أثرا في صحائفه ، وأعمقها تأثيرا في صحائفه ، وأعمقها تأثيرا في نفوس معتنقيه لملاءمة روحه روحهم ، ولمناسبة الفطرة فيه وفيهم ، ولأنّ تأثرهم به كان عن اقتناع لا عن إكراه »[1].

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص61 .

يأتي هذا النص تحت عنوان " الأديان الثلاثة في الجزائر " وهي الإسلام ، النصرانية اليهودية، والبشير الإبراهيمي يعقد مقارنة بين هذه الأديان ، وهو يريد أن يظهر للمتلقي – الجزائري– سماحة الإسلام وعظمته ليتمسك به ، خاصة في خضم الحملات التنصيرية التي كانت تقوم بها فرنسا في الجزائر،وسنمثل لهذه الأقوال بالشكل الآتي لنقف على تراتبية الأقوال ودرجة إقناعها :

ن	الإسلام هو دين الله الحق وليس النصرانية واليهودية.
ح 4	ولأنّ تأثرهم به كان اقتناع لا عن إكراه.
ح 3	وأعمقها تأثيرا في نفوس معتنقيه لملاءمته روحهم.
ح 2	وأوسعها امتدادا مع التاريخ
ح 1	أما الإسلام فهو أوثقها اتصالا بالأصول السماوية

إذا تمعنا في هذه الأقوال نجد الإبراهيمي انطلق من مقدمة يتفق عليها جميع الناس في كون هذه الأديان مصدرها وأصلها واحد وهو السماء ، مما يجعل المتلقي يخضع وينصاع تدريجيا لكفة الإسلام ، حين يعلم أنّ الإسلام مصدره من السماء ، وليس للبشر فيه دخل ، ثم يرتقي به إلى درجة أخرى وهي حقيقة تاريخية لا مفر منها ، في كون الإسلام أوسع امتدادا من النصرانية واليهودية ، وأنّه مناسب لفطرة الناس وروحهم .

و تكون الحجة الأعلى هي الحجة الأقوى في دلالتها على روحانية الإسلام وسماحته فدخول الناس فيه كان عن اقتناع لا عن إكراه ، وتعظم قيمة هذه الحجة في اختياره لكلمة "اقتناع" لأنّ الاقتناع بالشيء قد يكون بإشارات بسيطة وصغيرة وبدون ضغوطات من قبل الخصم، أمّا الإقناع فيكون فيه المدافعة والمغالبة لقبول الدعوى فيكون فيه نوع من الإكراه غير المباشر والخفي.

ويذكر الإبراهيمي في هذا المقال حديثا عن النصرانية في الجزائر فيبين ضعفها وانهزامها في الجزائر فيقول : « والنصرانية دخلت هذا الوطن في ركاب الغزاة الرومانيين وفي ظل سيوفهم بعيدا عن روحانيته السامية ، مصطبغا بالعنجهية الرومانية والعتو الروماني ، فكان مقامه واستقراره تابعين في الطول والتمكن للاستعمار الروماني »[1].

يبدأ الإبراهيمي في حديثه عن الدين النصراني في كونه دخل الجزائر مع بداية الغزو الروماني فدخل بواسطة السيف ، فيكون بذلك قد تسلط على الناس بالقوة والبطش ، هذا المثال يجعل فيه المتكلم مقارنة أمام المتلقي ليصل إلى نتيجة استدلالية حتمية يصل بها للانتصار للإسلام بسبب دخول الناس فيه طوعا بلا إكراه بالسّيف وغيره ، ثم يضيف الإبراهيمي في هذه الجملة قضية تحكم بانتصار الدين الإسلامي وبقائه في الجزائر أبد الدهر وهي أنّ النصرانية سترحل ، بل ورحلت برحيل الاستعمار الروماني.

فهنا يدرك المتلقي أنّ سبب وجود النصرانية في الجزائر كان بسبب هذا الغزو ، ولا شك أنه داء عارض يزول بزوال أسبابه .

وسنمثل لهذه الأقوال بهذا السلم الحجاجي:

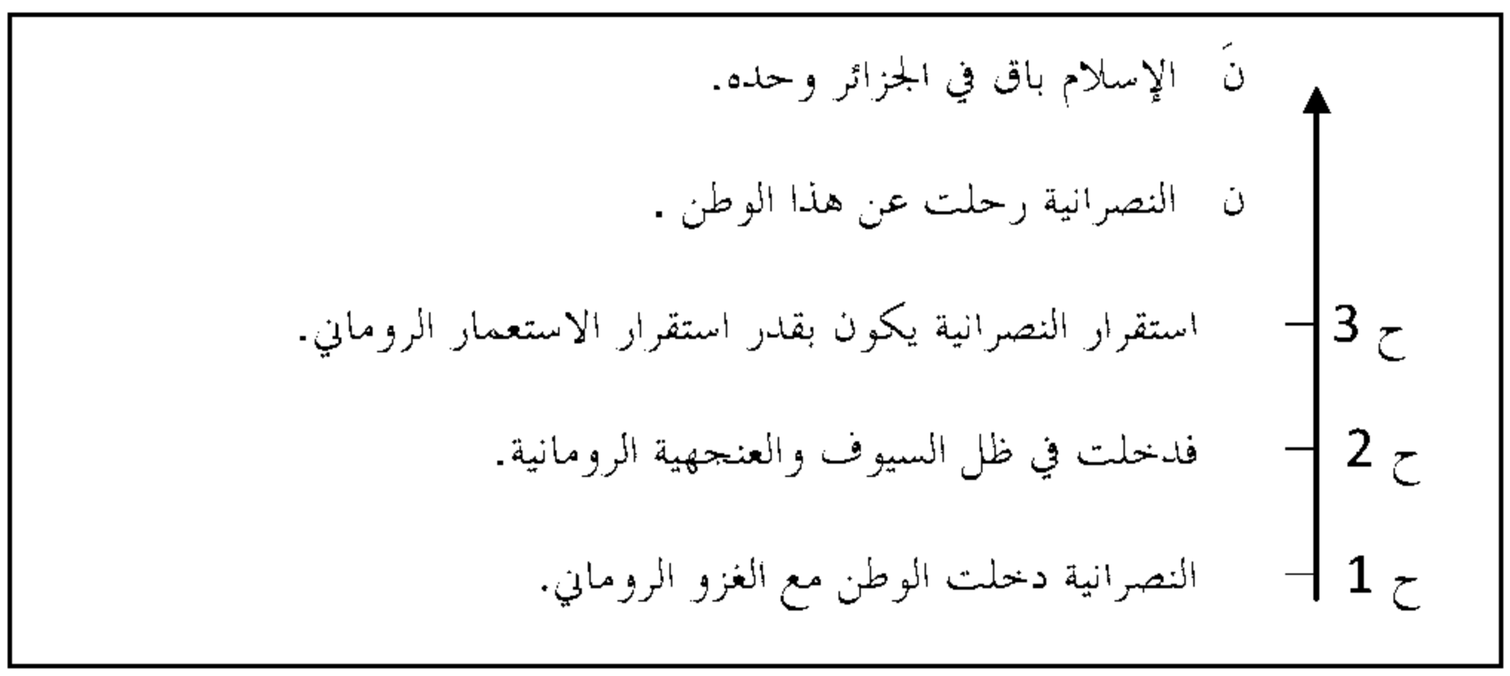

ويورد الإبراهيمي مثالا آخر يظهر فيه سماحة الإسلام في تعامله مع الدينيين على مر التاريخ فيقول : « فالإسلام في إبان قوته ، وعنفوان فورته تعرف إلى الدينيين بالخير والحق والعدل

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 62.

والإحسان وأبقى على الدماء والعقائد والمعابد ، بل حماها وحافظ عليها أكثر من محافظة الدول المسيحية »[1].

إنّ جميع الأديان في هذا العالم لها نزعة توسعية وخاصة إذا كان أصحابها أهل غلبة وصنعة وحضارة ووسائلَ تمكن لهم ذلك ، إلاّ الدّين الإسلامي له نفس النزعة التوسعية لكن ليس بكل الوسائل لأنّه دين " من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " فهو يخير الناس بين الإسلام والكفر،فالمتكلم في هذا القول يضعه في سلم العلاقات الإنسانية التي قاعدتها من الخير والرحمة والعدل إلى الإحسان في جانب المعاملات ، ونوضح هذا بما يلي:

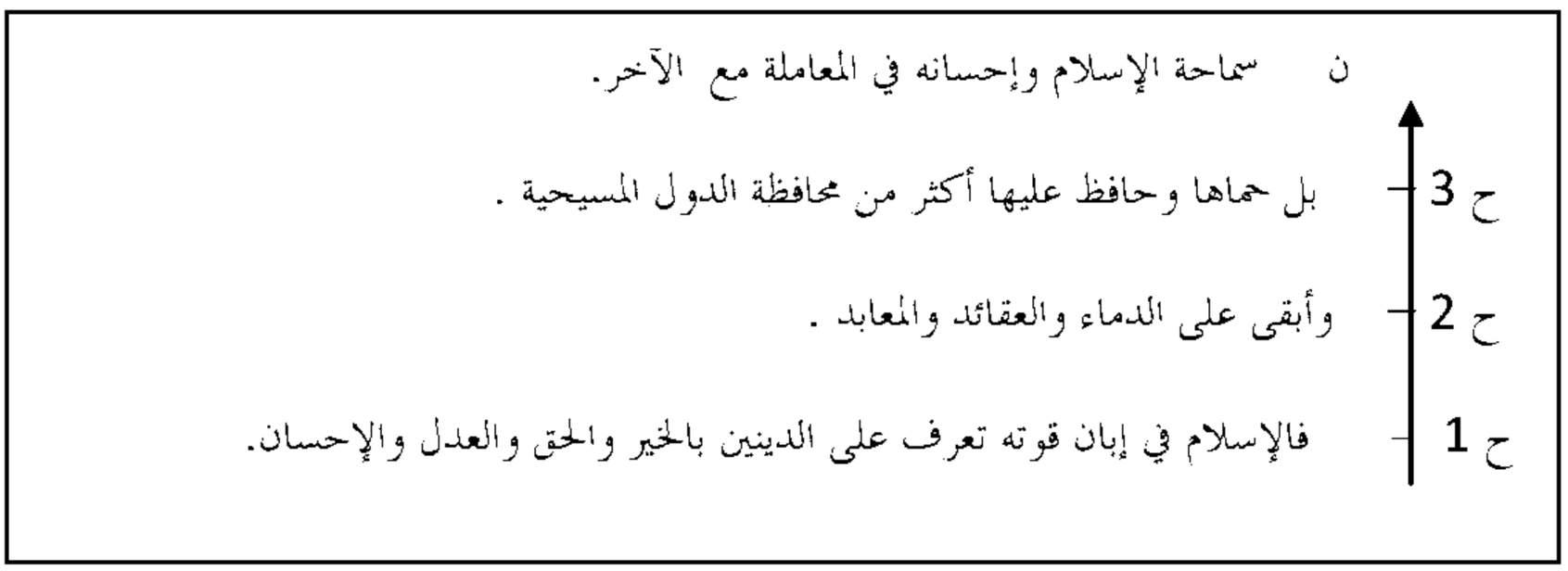

يبيّن هذا السلم الحجاجي أنّ الإسلام وهو في عنفوان قوته وقدرته التي تمكنه من استعمال أساليب القوة والبطش مع اليهود والنصارى ، إلا أنّه استعمل الرفق والإحسان ، وأكثر من ذلك حمى معابدهم وحافظ عليها ، وهي درجة الإحسان.

قوانين السلم الحجاجي:

وضع "طه عبد الرحمن" قوانين للسلم الحجاجي تظهر قوته الإقناعية من خلال العلاقة المنطقية التي تجمع بين تراتبية القضايا والحجج وهي ثلاثة، "قانون الخفض" و"قانون تبديل السلم" و "قانون القلب" ، وسنحاول مقاربتها على السلالم الحجاجية المختارة في الدراسة لنقف على آثارها الحجاجية.

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ص 62.

1- قانون الخفض:

ومقتضى هذا القانون « أنّه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم ، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها »[1].

يقول الإبراهيمي : « فالإسلام في إبان قوته ، وعنفوان فورته تعرف إلى الدينين بالخير والحق والعدل والإحسان،وأبقى على الدماء والعقائد والمعابد،بل حافظ عليها أكثر من محافظة الدول المسيحية »[2].

وسنمثل لهذا القول بسلم حجاجي مثل ما مر معنا ، ونضيف عليه قانون الخفض ، على النحو الآتي:

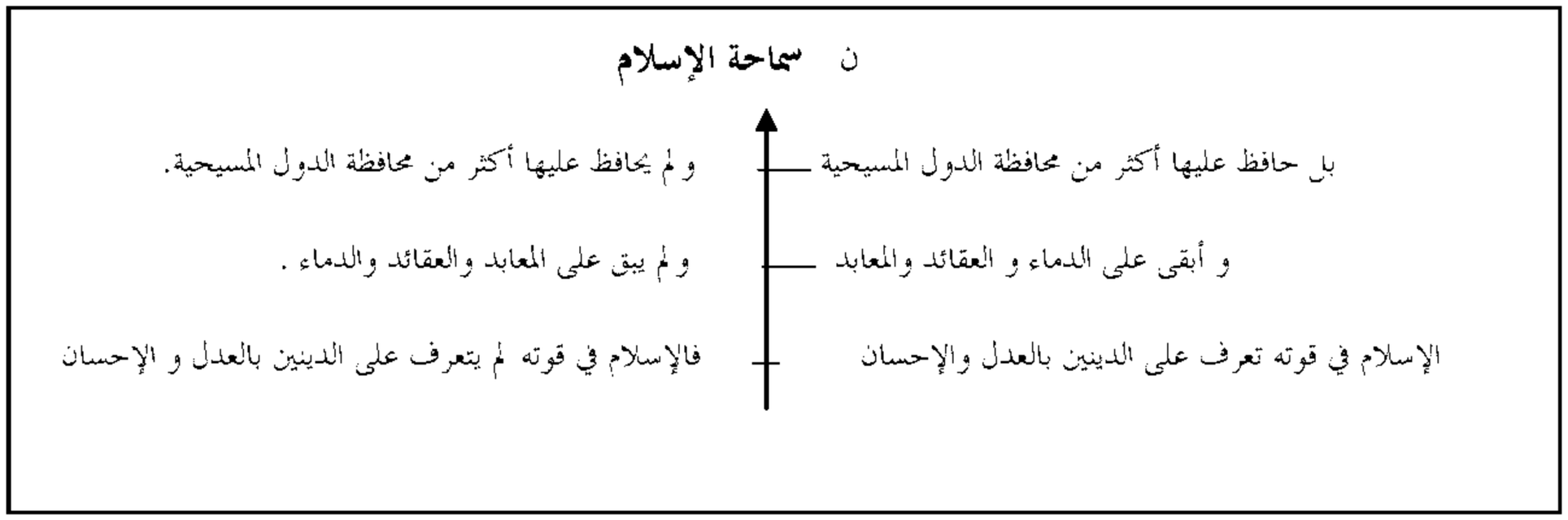

يظهر هذا السلم الحجاجي لقانون الخفض ، أقوالا مناقضة للأولى ، لكن ما نراه عبر النفي للأقوال أنّ قوتها الحجاجية مازالت موجهة لصالح الإسلام ، فالمثال الأعلى درجة في هذا السلم يظهر عدم محافظة الإسلام على المعابد والعقائد مثلما تحافظ عليه المسيحية ، وهذا أمر صحيح،لأنّ الديانتين مختلفتين في الأصل فالإسلام دين التوحيد والنصرانية دين التثليث ، ثم إنّ نفينا لعدم

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص277.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص62.

محافظة الإسلام على هذه الأمور لم يكن نفيا بالكلية ، وإنّما هو نفي نسبي مقارنة مع محافظة أصحابها لها.

ونفينا للإسلام في كونه لم يتعامل مع الدينين بالعدل والإحسان ، أيضا حجة تستعمل لصالحه ، لأنّه يستلزم أن النصرانية واليهودية أيضا لما كانا في عنفوان قوتهما لم يتعرفا على الدين الإسلامي بالرحمة والعدل وهذا ما شهد به الواقع والتاريخ ، وفي بلاد الجزائر خاصة من تدمير للمساجد واستبدالها بكنائس ، وتقتيل وتدمير.

لهذا يكون نفينا لهذه الأقوال حججا تتوجه بقوتها لتخدم النتيجة الأولى في كون الإسلام دين السماحة والعفو، وإن أراد استعمال القوة مع الدين النصراني فهو من باب ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾1.

وفي مثال آخر نوضحه بهذا السلم الحجاجي:

ن زوال النصرانية و الاستعمار في الجزائر.

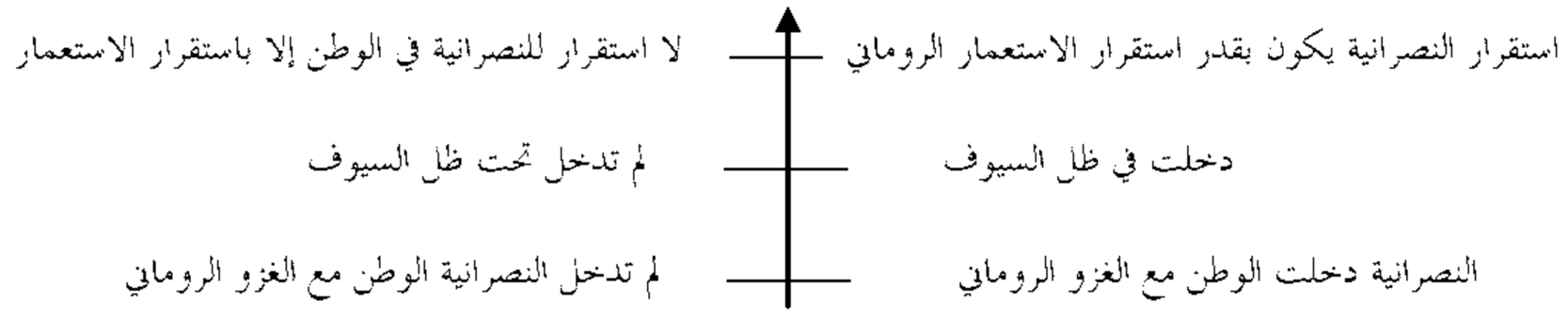

يخدم قانون الخفض المتكلم هنا لأنّه يخدم النتيجة التي يريد أن يصل إليها وهي زوال الاستعمار والنصرانية في الجزائر.

فنلاحظ أنّ النفي في المرتبة الأعلى من السلم "لا استقرار للنصرانية في الوطن إلا بقدر استقرار الاستعمار" هو نفسه الإثبات الذي يقابله ، وأنّ الأمرين كليهما يخدمان الشيء نفسه ، ثم

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة الآية 194.

إذا صدق عدم استقرار الاستعمار في الوطن ، فهذا يؤول على أنّ النصرانية دخلت من خلال الاستعمار بالقوة والبطش ، فيستلزم من خلال هذا الكلام ، أنّ النصرانية تزول بزوال الاستعمار ويستلزم أيضا بقاء الإسلام دينا لا منافس له في الجزائر.

2 –قانون تبديل السلم:

ومقتضى هذا القانون الثاني « أنّه إذا كان القول دليلا على مدلول معين ، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله »[1] ولكن قوة النفي تترتب ترتيبا عكسيا ؛ إذ إنّ نفي ما يقع في أدنى السلم ، هو نفي أقوى لمدلول الخطاب[2].

ونلمس هذا في قول الإبراهيمي وهو يدافع عن اللغة العربية ومكانتها في الجزائر ، فيقول : « اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة ، بل هي في دارها ، وبين حماتها وأنصارها ، وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواخي مع الحاضر ، طويلة الأفنان في المستقبل؛ ممتدة مع الماضي لأنّها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم ، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بِجِرانِه فيه أقامت معه العربية ، لا تريم ولا تبرح »[3].

يرتب البشير الإبراهيمي حججه بذكر النتيجة معلنة في أول الأمر ردًّا على المستعمر الذي يشوش على الجزائريين ويشعل بينهم الفتنة بأنّ اللغة العربية دخيلة وأنّ اللغة البربرية هي اللغة الأصيلة ، فيتصدى الإبراهيمي لهذه الحملة بهذا المقال مرتبا حججه في سلم حجاجي على النحو الآتي:

---

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص 278.

[2] ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية ، ص 503 .

[3] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 221.

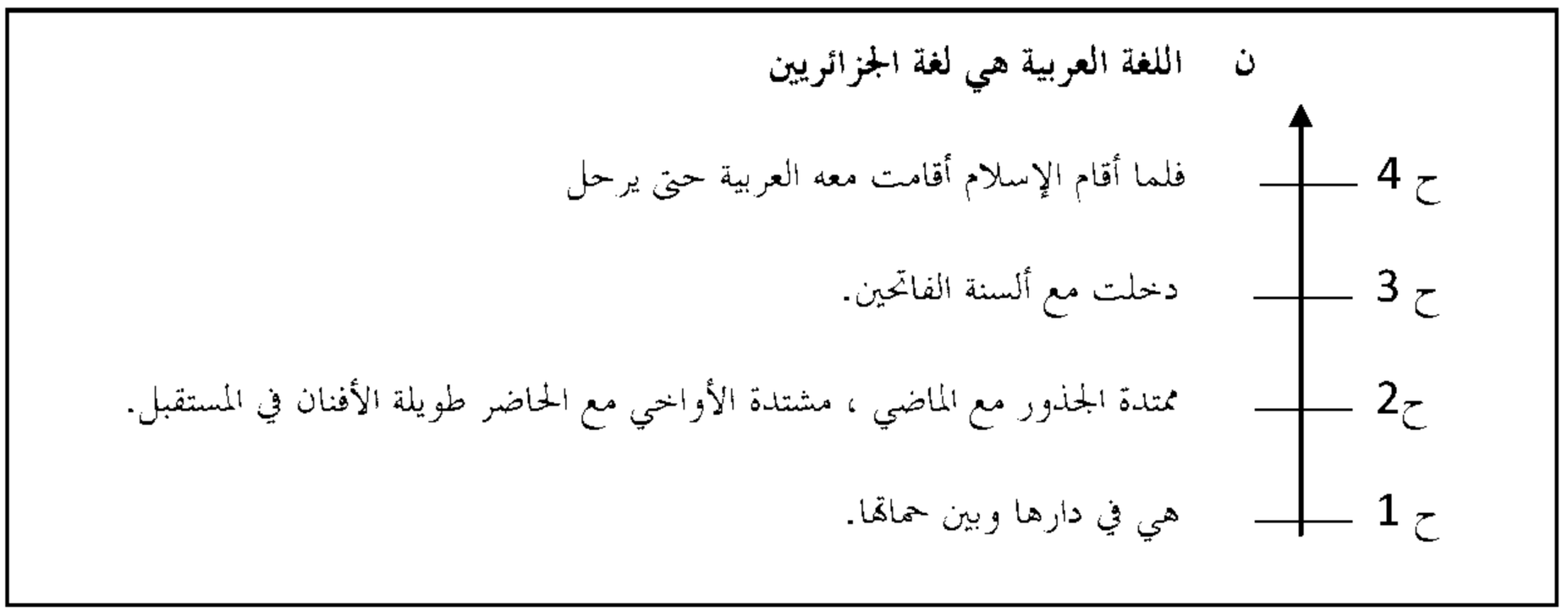

وبتطبيق قانون "تبديل السلم" يقتضي منا نفي الحجة الأولى في السلم الحجاجي لأنها الحجة الأدنى وبنفيها يتحقق نفي لمدلول الخطاب مع الحجج الأخرى .

فنقول : بما أنّ الجملة منفية في الأصل فيكون نفيها عن طريق إثبات ضدها فتكون الجملة كالآتي : اللّغة العربية في الجزائر غريبة ودخيلة ، إلاّ أنّ هذه الجملة تستلزم بالضرورة وجود اللغة العربية في القطر الجزائري ، وعليه يكون هذا النفي موجها لخدمة نفس النتيجة الأولى ، ويمكن أن نوضح هذا بسلم حجاجي:

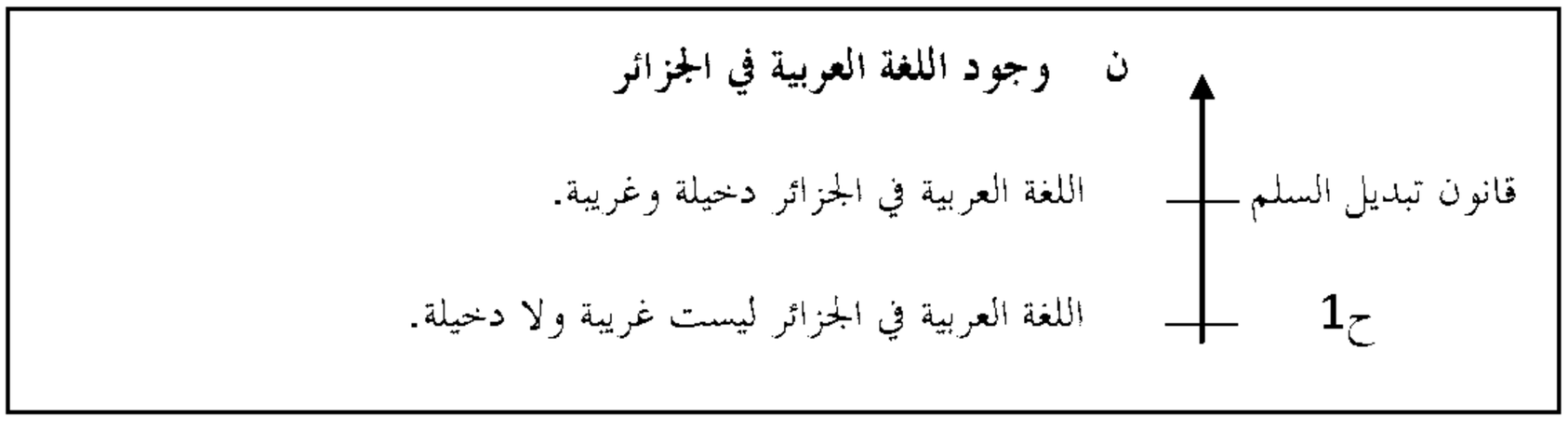

وهكذا يسير الأمر مع جميع الحجج الأخرى بنفيها، نحصل عن طريق الاستلزام على نتيجة في النفي والإثبات ، لأنّه قد رتب كلامه بحيث لا يمكن الاعتراض عليه حتى مع قانون تبديل السلم؛ لأنّ الاعتراض بالنسبة لهذه السلمية التي وصفها الإبراهيمي تكون من قبل المتلقي لبرهة معينة سرعان ما يبوء اعتراضه بالفشل.

3 – قانون القلب:

ومقتضى هذا القانون « أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين ، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول »[1]، وسنوضح هذا القانون من خلال نص الإبراهيمي الذي يقول فيه : « من قال إنّ البربر دخلوا في الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنّهم قبلوا العربية عفوا لأنّهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعا »[2].

ونمثل لهذه الأقوال بهذه السلمية الحجاجية:

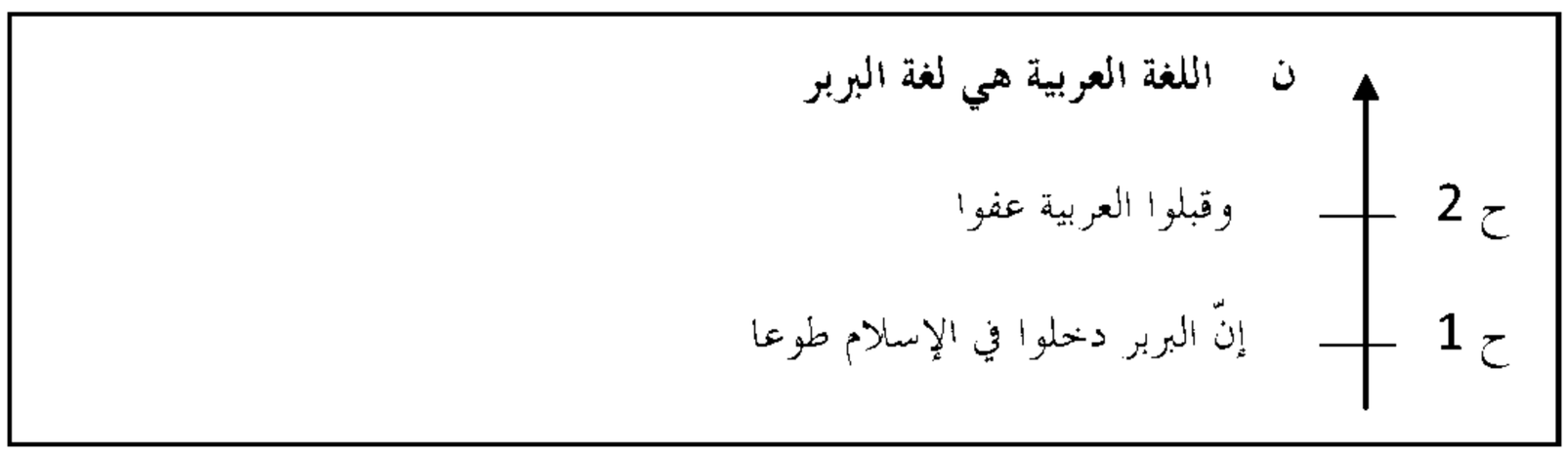

إنّ قبول البربر للإسلام طوعا استلزم منهم قبولهم للعربية عفوا ، بيدَ أنّهم إن دخلوا في الإسلام كرها ، فيستلزم منهم عدم قبولهم للعربية عفوا ، فيكون نفي دخولهم في الإسلام عفوا أقوى في التدليل على عدم قبولهم العربية.

وإذا قلنا بإنّ " البربر دخلوا في الإسلام كرها وقبلوا العربية عفوا يظهر لحن هذه الجملة وشذوذها لتلازم الإسلام والعربية.

لذلك إمّا أن يعترض المتلقي عليهما معا أو يثبتهما معا ، وإذا تأملنا جيدا في هذا السلم الحجاجي بإثبات فحواه أو نفيها وجدناه يؤدي إلى نفس النتيجة ، مثل هذا المثال:

---

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص 278.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 222.

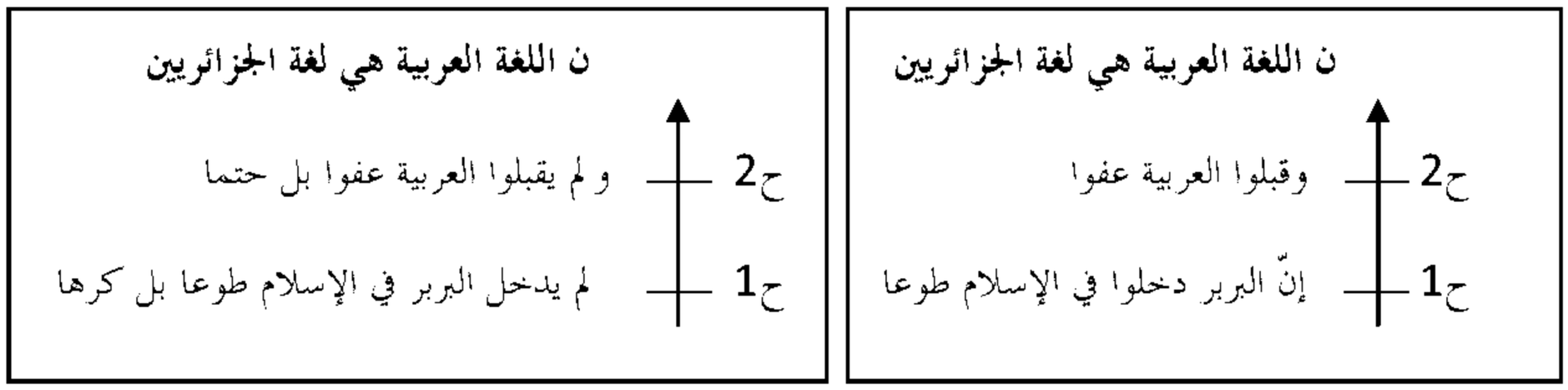

وبعد تعرفنا على بعض الألوان الحجاجية في مقالات الإبراهيمي المتعلقة بشكل بناء الحجج وهيكلتها ، وجدنا أنّها تشبه إلى حد ما بنائية النصوص والمقالات العربية ، مع اختلاف بسيط يظهر أسلوب البشير الإبراهيمي في الكتابة ، وقد نوع المتكلم بين أنواع التدعيم وأنواع الأقيسة المنطقية كما اعتمد على سلمية وهرمية منطقية في تصفيف الحجج من الحجة الأدنى إلى الحجة الأقوى في التدليل على رأيه ، وكل هذه الوسائل تدخل ضمن الوسائل شبه المنطقية التي تفضي إلى الاقناع ، لكن هل هذه الوسائل كافية وحدها لتشكل فعل الإقناع؟ أم هناك ألوان حجاجية أخرى تتضافر وتتماهى معها مشكلة نسقا وبناءً عاما يأخذ بيدِ المتلقي نحو الإذعان و التسليم؟ هذا ما نود الإجابة عليه في الفصل القادم.

الفصل الثالث :

آليات الحجاج البلاغية فى عيون البصائر

- المبحث الأول: حجاجية الصور البيانية فى عيون البصائر.

- المبحث الثانى: البديع من الجمالية إلى الإقناع فى مقالات الإبراهيمى.

اهتم النقاد والبلاغيون العرب بموضوعات البلاغة اهتماما يتناسب مع ظروفهم التاريخية والحضارية فاعتنوا بالصور البلاغية وأنماطها المجازية ، كما تفطنوا إلى اللَّذةِ التي تُحدثها في المتلقي والإثارة التي تحرك مشاعره وتأخذه إلى التدّبر والتأمّل والتساؤل الذي يصل به إلى مقاصد المتكلم.

وبتتبعنا لما وصلت إليه الدراسات البلاغية الحديثة (بيرلمان (**Grigori Perelman**) - أوليفي روبول **(olivier rubéole)** - ميشال ماير (**Michel Meyer**) نجد أنّ تركيزها كان على الوظيفة الإقناعية والإمتاعية للصورة ؛ لتميزها بخصائص فريدة من شأنها أن تجعل المتلقي منقادا ببساطة نحو القضية المطروحة.

ويعتمد الحجاج على ترسانة من الأساليب اللغوية ذات البعدين البلاغي والبياني؛كونه يشتغل على الممكن والمحتمل ، لأنّ الأساليب البلاغية قد «تعزل عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية »[1].

ومن هنا تظهر براعة المتكلم وكفاءته اللغوية ؛ و الدور الحجاجي الذي يقع على عاتقه «حيث يصير الخطيب مالكًا للأشخاص ومهيمنا عليهم بواسطة الكلمات »[2].

بناءً على هذا التقديم علمنا الدور الذي تحتله البلاغة في بوتقة الخطاب لما تتوفر عليه من أساليب وصيغ خطابية متنوعة وفريدة تتيح للمتكلم السيطرة على المتلقين ، وإنّ الخطاب الحجاجي بدوره لا يمكنه الاستغناء عنها، لأنّه يدور دائما حول الممكن والمحتمل ، لذلك فهو محتاج إليها لبلوغ مرامه ومقاصده لما تمتلكه من خاصية التحول والتخييل التي تستأنس بها النفوس ويذهب بها إلى غياهب التساؤل والحيرة والكشف عن العلائق التي تربط بين هذه الأساليب ؛ لأنّ المتكلم وهو يعتمد على الأساليب البلاغية وخصوصا منها الصورة يلجأ دوما إلى التلميح لا

---

[1] صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، مداخل ونصوص ، ص 50 .

[2] أوليفي روبول ، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟ ، تر: محمد العمري ، ضمن كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 217.

التصريح، فيلتقط المخاطب هذه الإشارات عبر علاقات يستنتجها بواسطة عمليات ذهنية معقدة والتي تتيح له في الأخير الوقوف على مقصدية المرسل والغرض الذي يروم الوصول إليه .

وفي هذا السّياق الذي تعالقت فيه البلاغة بالحجاج ، نحاول أن نستكشف مدى اعتماد البشير الإبراهيمي على الوسائل البلاغية في مقالاته، ونستهل عملنا هذا مع الاستعارة لكثرة الحديث عنها من سالف وخالف .

المبحث الأول : حجاجية الصور البيانية في عيون البصائر.

1- الطاقة الحجاجية للاستعارة.

تعد الاستعارة خاصية جوهرية للغات الطبيعية وهي مركز الحجاج في الآليات البلاغية نظرا لما تحققه من نتائج تداولية في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي وجعله ينقاد بكل حرية إلى المطلوب،و« العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج » [1].

فالاستعارة هي تلك العلاقة الموجودة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي وتكون بينهما وجوه اختلاف ووجوه تشابه لأنّ الاستعارة في الأصل هي مجاز يقوم على علاقة المشابهة.

والاستعارة التداولية الحجاجية هي التي تهدف إلى « إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي »[2].

جاء في أسرار البلاغة للجرجاني قوله: « أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل عليه الشواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقل غير لازم فيكون كالعارية » [3].

وعليه تكون الاستعارة عند الجرجاني نقلاً للفظ من حقل دلالي يختص به في الوضع اللغوي إلى حقل دلالي آخر من قبل الشاعر أو غيره لحاجته إلي هذا الأسلوب، أو لأنّ المقام قد اقتضى

---

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 233.

[2] عمرو أوكان ، اللغة والخطاب ، أفريقيا الشرق، المغرب ، لبنان 2001 ، ص 134.

[3] الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 2001.

هذه الطريقة في التعبير، وإذا كان غير ذلك فما الفائدة منها، وبهذا السياق تكون الاستعارة هنا حجة لنتيجة أو دعوى معينة يريد الباث إثباتها وإقناع الآخر بها.

والاستعارة هي « إبدال قد يحصل به اختصار و إيجاز، وذلك بوضع المستعار مكان المستعار له، والأصل في الإبدال الاستعاري هو قياس ، لأنّ الاستعارة من حيث التركيب المنطقي نوع من القياس إلاّ أنّه قياس مختزل أو بعبارة أدق قياس إضماري؛ أي قياس حذفت مقدمتاه،واكتُفي بالنتيجة » [1].

فإذا قلت عن الشيخوخة بأنّها عشية العمر.

الاستعارة التي في لفظ " عشية " هي في الحقيقة نتيجة لمقدمتين مضمرتين.

- المقدمة الأولى: الشيخوخة آخر العمر.
- المقدمة الثانية: العشية آخر النهار.
- النتيجة الاستعارية: الشيخوخة عشية العمر[2].

من خلال هذا التعريف المنطقي للاستعارة تبدو لنا كأنها ترتكز على الإيجاز من ناحية وعلى الإضمار من ناحية أخرى بحذف المقدمتين التي تعلن عنهما الاستعارة المنطقية

ويجدر بنا في هذا المقام التفريق بين الاستعارة الحجاجية والاستعارة البديعية.

فالأولى هي : « استعارة تدخل ضمن الوسائل اللّغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية ، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياق تهم التواصلية والتخاطبية »[3] .

ترتكز الاستعارة بهذا المفهوم على ركائز مهمة في العملية التخاطبية هي المستمع ودوره في فك الشفرات التلميحية التي جاءت بها الاستعارة ، والمتكلم الذي أنشأ من نفسه ذاتا ثانية مستقبلة

---

[1] شوق المصطفى، المجاز الحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة الدار البيضاء ط1، 2005، ص23 .

[2] ينظر : شوقي المصطفى ، مرجع نفسه ص24.

[3] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص108.

ليتحقق له الإقناع والتأثير والسياق والذي هو المقام وأحوال المتلقي وثقافته ومدى وعيه واستجابته لهذا النوع من الخطابات.

وهي بهذا المفهوم استعارة تداولية و « وسيلة لغوية تواصلية وتفسيرها على مستويين بلاغيين: مستوى التواصل والتفاعل البشري والمستوى الأدبي والفني ، وتفسيرها يترتب على عملية الترجمة من الانتقال من سياق التلقي الذي انتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر، وما يتعلق بذلك من اختلاف السياق الثقافي والاجتماعي »[1]، يتبادر إلى الأذهان من خلال ما قيل أنّ الاستعارة الحجاجية هي استعارة تداولية بامتياز لأنّها تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي مراعية في ذلك جوانب متعددة متمثلة في السياق ومقتضيات المقام، والمستوى التواصلي ومقصد المتكلم، فتؤدي بدورها فعالية إقناعية أقوى.

أمّا الاستعارة البديعية فهي في الغالب « تكون مقصودة لذاتها ، ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم وأهدافهم الحجاجية ، إنّما نجد هذا النوع من الاستعارة عند الأدباء والفنانين الذين يهدفون من ورائها إلى إظهار تمكنهم من اللّغة ، فالسياق هنا هو سياق الزخرف اللفظي، والتفنن الأسلوبي وليس سياق التواصل والتخاطب » [2].

توصف الاستعارة بهذا المفهوم باعتبارها وسيلة من وسائل الزخرفة اللفظية يستعملها الأديب ليظهر فحولته اللغوية وخاصة إذا جاء بها على سبيل التباهي والتفاخر وإظهار كفاءته اللغوية فلا تكون المقصدية ههنا التأثير والتغيير في آراء المستمعين.

إنّ هذا التقسيم الذي وضعه أبو بكر العزاوي باعتبار الإقناع والتزيين فقد يتهم الاستعارة الحجاجية بكونها عارية من الجمال، وينفي القول بأنّ كل استعارة حجاجية هي استعارة جمالية ويمكننا أن نستحضر ما جاء به روبول أثناء حديثه عن البلاغة الحجاجية ، عندما جمع بين كل ما

---

[1] عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، العدد 23، 2005، ص99

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص109.

هو حجاجي و ما هو جمالي بالتالي نخلص إلى أنّ الاستعارة البديعية تكون إقناعية إذا وَظَّفَت ذلك البديع والجمال السحري في استمالة المخاطب.

وكخلاصة نقول إنّ كل استعارة و لا سيما البديعية أو غيرها من الأنواع الأخرى تهدف إلى مرمى واحد وهو الإقناع ، لأنّ الاستعارة هي من أبواب المجاز و « لا حجاج بغير مجاز » [1].

و إذا عدنا إلى خطاب البشير الإبراهيمي نجده زاخرا بأنواع المجاز والاستعارات والتشبيهات وغيرها من الأبواب البلاغية الأخرى ، ولا يكاد ينكر ذلك عاقل ، ويمكن أن يحكم ببلاغة الابراهيمي وبراعته في الأسلوب بمجرد قراءة مقال واحد ، حتى تظهر له تلك البلاغة ، وسنشرع في دراسة الاستعارات ومدى جمالها وتأثيرها في المتلقي.

2- الاستعارة بين الوظيفة الإمتاعية والوظيفة الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي :

إذا تفحصنا المواد التي شكل بها الابراهيمي استعاراته، نلفيها مستمدة تقريبا من عوالم المتلقين وتجاربهم وممارساتهم المعيشية والتي ترتبط في الغالب بما هو واقعي ومعروف لديهم ليسهل عليه المرور إلى عوالمهم ومعتقداتهم فيتمكن من تغييرها.

ومن الأمثلة[2] على ذلك ما قاله الإبراهيمي في المقال الموسوم بـــ : " جمعية العلماء وأعمالها ومواقفها "[3] فهو يبين مواقف جمعية العلماء المسلمين وأعمالها ويشيد بفضائلها ويرد على المشنعين عليها في المحافل الطاعنين في جهودها الجبارة في توجيه الأمة نحو الخير والعلم، حيث قسم هذا المقال إلى عنصرين:

الأول :عملها في توجيه الأمة.

والثاني: عملها للعروبة.

---

[1] طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، ص 213

[2] نشير إلى اقتصارنا على هذه النماذج من الاستعارات لا يعني شح الأمثلة في مقالات الإبراهيمي ، وإنما هو اختيار واقتصار لبعض النماذج أملاه علينا ضيق الوقت والحيز المخصص للبحث.

[3] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 34.

من خلال هذين العنصرين نستشف أنّ الإبراهيمي يقف وقفة المجاهد الذي يدافع عن مبادئ الجمعية والتي تصب في صميم مصالح المجتمع الجزائري فيقول: « لا تستطيع هيئة من الهيئات العاملة لخير الجزائر أن تتعلق بغبار جمعية العلماء في هذا المضمار، أو أن تدعي أن لها يدا مثل يدها في توجيه الأمة الجزائرية للصالحات... وأول يد بيضاء لها في هذا الباب تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا،.. وإنّ تحرير العقول لأساس تحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا »[1].

لعل استعارة الإبراهيمي في قوله: " تحرير العقول من الأوهام " حجة لقضية مهمة يود الإبراهيمي عرضها ودعوى يريد تأكيدها ألا وهي التقسيم الأول الذي وضعه في هذا المقال وهو عملها في توجيه الأمة وهذا التوجيه الذي تقوم به جمعية العلماء لا يكون إلا بجهود جبارة وعيون ساهرة ، فيبدأ قوله بنفي كل الجهود التي تقوم بها الهيئات الأخرى وأنها لا تتعلق بغبار جمعية العلماء في هذا المضمار مدعما هذه النتيجة باستعارة هي أبلغ ما يكون في هذا المقام " تحرير العقول من الأوهام " لأنّ المجتمع الجزائري في تلك الحقبة خاصة سيطرت عليه كثير من الخرافات والأساطير والضلالات في الدين.

ولو لجأ الإبراهيمي إلى التعبير الحقيقي المباشر (تخليص العقول من الأوهام) لما ظهرت المزية التي جاءت بها كلمة " تحرير" فهي توحي من جهة بأنّ المجتمع غارق إلى النخاع في هذه الضلالات واستحكمت فيه حتى صار لها عبدا مطيعا، ومن جهة أخرى تؤكد للمتلقي الذي يطعن في هذه الجمعية بأنّها تقوم بهذا النوع من الإصلاح الذي يدعو إلى نبذ الهوى وإحكام العقل (الفطرة السليمة)، فإسناد كلمة تحرير إلى العقول أكسبت هذه الأوهام والضلالات هوية بهيمية تجعل من هؤلاء الناس قطعانا تساق خلف كل ناعق، وهذا رأي شديد البشاعة بالنسبة إلى تلك الفترة التي يحتاج فيها المجتمع الجزائري إلى رجال متحررين فكريا يعتمدون المنطق السليم في التفكير.

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 34.

وإضافة إلى هذه الحجة المتمثلة في الاستعارة يعضد نتيجته بحجج أخرى: " تحرير العقول أساس لتحرير الأبدان" ومحال أن يتحرر بدن، يحمل عقلا عبدا".

يحتاط الإبراهيمي لنتيجته ويبررها بحجة أخرى في قوله " يحمل عقلا عبدا"؛ إذ يؤكد الإبراهيمي بهذا القول على النتيجة الضمنية التي تستفاد من سياق الكلام والتي هي تحرير الأبدان تابع لتحرير العقول.

وسيتضح الأمر إذا جعلنا هذه الاستعارات في شكل سلالم حجاجية:

ن: الدور الفاعل لجمعية العلماء في توجيه الأمة.

ح2: تحرير العقول من الأوهام والضلالات

ح1: توعية الناس وتخليصهم من الأوهام والضلالات.

يستفاد من خلال هذا السلم الحجاجي أنّ الخطاب الاستعاري أقوى وأبلغ في إيقاع المتلقي إلى الإذعان والتسليم من الخطاب العادي، بالرّغم من أنّ كلا الخطابين يفضيان إلى معنى واحد إلا أنّ اللفتة الموجودة في الاستعارة " تحرير العقول" أقوى دلاليا من الخطاب العادي ، فيكون الرجل الحر عبدا ما لم يتحرر من الأوهام والخرافات والحرية البدنية تابعة للحرية الفكرية .

ولجأ الإبراهيمي إلى توظيف الاستعارة لأنّها أقوى في الإقناع والتأثير من الكلام العادي وبالتالي« إنّ قوة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي إنّ للاستعارات ذات الدور الحجاجي خاصية ثابتة فالسمات الدلالية المحتفظ بها في عملية التخيير الدلالي الذي تقوم عليه هذه الاستعارات هي سمات قيمية »[1].

وإذا انتقلنا إلى نص آخر، في مقال له وَسَمَهُ بـــ "حقائق" يقول فيه: « من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية »[2] استعاراتان متمثلتان

---

[1] ميشيل لوكيرن ، الاستعارة والحجاج ، ت: عبد الطاهر وعزيز ، مجلة المناظرة ، الرباط، ع: 4، 1991، ص87-88.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص224.

في استعارة القراءة والدراسة العلمية للأمّة الجزائرية، إشارة من الإبراهيمي إلى كل من أراد أن يخدم أو يصلح أحوال هذه الأمة فعليه بالمرور على المرحلتين وإلاّ سيكون مصيره الفشل.

فالاستعاراتان جاءتا على سبيل حجتين تدعمان نتيجتين مضمرتين **الأولى** هي المنهج الصحيح لخدمة الأمة الجزائرية، **والثانية** تتعلق بذات المتكلم وهي كونه الخبير بأحوال هذه الأمة.

ويمكن أن نمثل لها على شكل سلمين حجاجيين:

نَ المنهج الصحيح لخدمة الأمة الجزائرية.

ن الإبراهيمي هو الخبير بأحوال هذه الأمة.

ح2 وليدرسهما كما يدرس الحقائق العلمية

ح1 فليقرأها كما يقرأ الكتاب.

تغدو الاستعارة بهذا الطرح ضربا من ضروب المجاز وكلاما نصفه مصرح به هو من فعل المخاطَب ونصف آخر ضمني من فعل المتلقي، والذي يصل إلى استنتاجه بواسطة مجهوده التأويلي ونطق الحوار في الاتجاه الذي يفرضه المتكلم عبر أداة الربط "إذن" إنّ المفهوم -أي المعنى- موكول أمره " أنت" ؛ أي المتلقي فهو المسؤول عن المنطوق، ويكون المسؤول عن المقتضى "نحن" أي المتكلم والمتلقي معا[1].

ويمكن لهذا المخطط توضيح الدلالة الضمنية التي تستفاد من تأويل المتلقي :

[1] ينظر : عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 557.

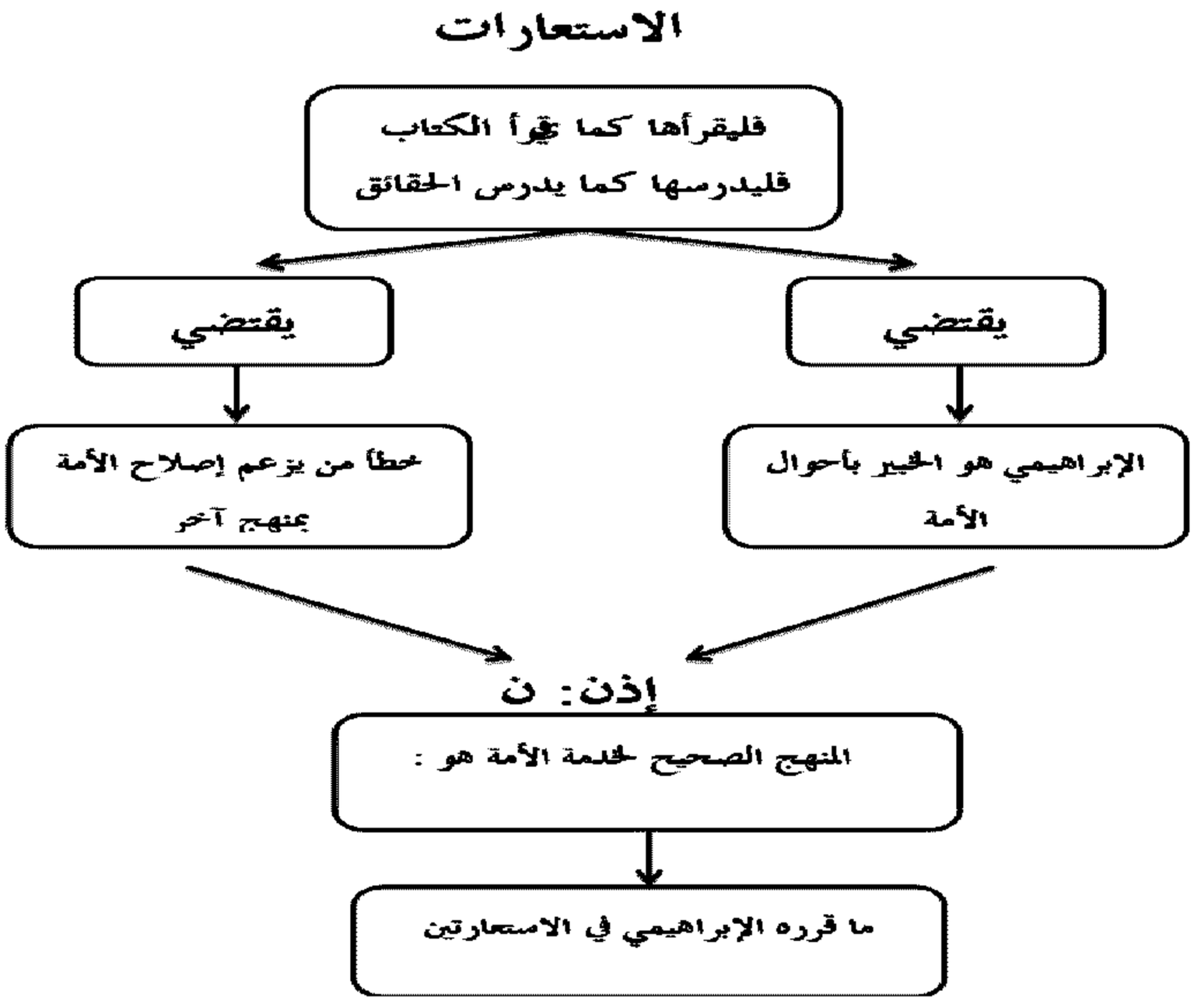

وصول المتلقي لهذا المقتضي يجعله يدرك أهمية المنهج الإصلاحي الذي يلزم المصلح باتباعه لتقويم الانحراف الفكري الذي تغلغل في أوساط الأمة الجزائرية فيتفحصها كما يتفحص أوراق الكتاب ويتحقق منها كما يتحقق من التجارب العلمية.

ومن الاستعارات الحجاجية الموظفة لتحريك همة المخاطَب ودفعه إلى الاقتناع ما قاله الإبراهيمي عند وصفه لمجازر 8 ماي 1945 ، ذلك اليوم المشؤوم بالنسبة للجزائر فيقول: « **يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة ، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء مبتهج السماء بأرواح الشهداء** »[1].

استطاع الإبراهيمي ببراعته اللّغوية أن يرسم للقارئ تصورًا مشهديًا يدخله في جوِّ تلك الأحداث بهذه المقدمة المشحونة بالاستعارات التي تبرز بشاعة ذلك اليوم، الذي عاث فيه المستدمر الفرنسي فسادا واستباحة لدماء الجزائريين ، ويجذب إليه «مشاعر

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 369.

الجمهور والقراء فيدخلهم في المشاركة الوجدانيـــة ليتقبلـــوا معـــه المعانـــاة مـــن هـــول هـــذا الحدث »[1].

محاججا بذلك لما سيستعرضه فيما بعد في المقال نفســـه فـــلا يخفـــى علـــى أحـــد أنّ أحداث 08 ماي 1945 جاءت بعد انتصار الحلفاء على بـــرلين وســـقوط الـــرايخ الألمـــاني واستقلال باريس ، وفي سبيل استقلال فرنســـا جنـــدت جيشـــا مـــن جميـــع مســـتعمراتها في أفريقيا ومن ضمنهم جزائريـــون طـــامعون في وعـــود فرنســـا بالاســـتقلال إن ســـاعدوها في الانتصار على الألمان ، إلا أنّها نقضت وعدها لهم وانتقمت لهزيمتها أمـــام الألمـــان شـــرَّ انتقـــام يوم 08 ماي1945 ، من هنا استنكر الإبراهيمي هذا الموقف وَعَبَّرَ عـــن هـــول هـــذا اليـــوم في مقدمته الأولى ؛ ممهدًا لنتيجة حتميـــة يظهـــر فيهـــا الإبراهيمـــي بـــأنّ وعـــود المســـتعمر الفرنسي كاذبة قائلا : « وعاد بالتقتيل على مـــن كـــانوا بـــالأمس يمـــدون حياتـــه بحيـــاتهم ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود ، ويحدثهم بلغة الدم ، ومنطق الأشلاء »[2].

يبرز الإبراهيمي بهاتين الاستعارتين (لغة الـــدم، منطـــق الأشـــلاء) حقيقـــة المســـتعمر ويظهر نيته الخبيثة ودناءته في التعامل مع الشعوب المستعمرة.

فليس هناك لغة للمستعمر غير لغة الدم ولا منطق غير منطق الأشلاء المتناثرة.

إذا ربطنا السياق الكلّي لهذا المقال ومقدمته الأولى بهذا الـــنص رأينـــا الإبراهيمـــي قـــد أحسن نسج نصه.

فالمقدمة الأولى جـــاءت في غايـــة التنميـــق اللفظـــي بالإضـــافة إلى ذلـــك الإيقـــاع الموسيقي الذي يحدث أثرا في المتلقي ، ويفرض عليه نوعا من الخضـــوع والتســـليم بـــأنّ يـــوم 8 ماي 1945 كان من أبشع الأيام في تاريخ الجزائر المستعمرة.

لأنّ المتأمل لهذه المقدمة يجدها مشـــحونة بمشـــاعر الحـــزن والألم والمأســـاة ؛ فيـــدخل المتلقي مع المرسل في حالة شعورية واحدة لأنّ الإبراهيمي بخطابـــه للشـــعب الجزائـــري يريـــده

---

[1] محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أديبا ، ص 142.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 370.

أن يَفِيقَ من غفلته ، فعبّد الطريق لمقصوده – أنّ الاستعمار قد وعد الشعب الجزائري وعودا كاذبة – ، مستعينا باستعارتين في قوله " **لغة الدم، ومنطق الأشلاء**"

كما اهتم الإبراهيمي بمقدمة هذا المقال اهتماما غير عادي قدمها على شكل جمل اسمية وصفية " **يوم مظلم الجوانب بالظلم ، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة** " لأنّ الجمل الاسمية تأتي لتوكيد المعاني وتثبيتها في النفوس ، « وقد بلغت العناية البلاغية هدفها الأدبي والفني في هذه المقدمة الوجيزة ، وكأنّها نسجت نسجا مقصودا ، اعتمد فيها الكاتب على طريقة التقسيم في التراكيب وفي الجمل المعبرة ، كما اعتمد على طريقة المقابلة في المعاني: فعبارة يوم مظلم الجوانب بالظلم تقابلها عبارة: مطرز الحواشي بالدماء المطلولة وعبارة : مقشعر الأرض من بطش الأقوياء يقابلها : مبتهج السماء بأرواح الشهداء »[1].

تضافرت مع كل هذه الاستعارات أساليب أخرى لها أثر إقناعي؛ كالسّجع (الأقوياء – الشهداء) بالإضافة إلى الإيجاز الذي تعتمده الاستعارة في إخراج المعاني من الدلالة الوضعية إلى الدلالة المجازية بطريقة يحاور فيها المخاطبُ المخاطبَ ليصل إلى أغراضه ومقاصده التي من أجلها وُجِدَ الخِطَابُ ؛ ألا وهي تغيير أفكار المتلقي ومواقفه و سلوكاته ودفعه إلى تبني أخرى جديدة.

وللخطاب الاستعاري خصائص كثيرة تميزه عن الخطاب الحقيقي الوضعي لاحتوائه عدة وظائف متمثلة في عمليتي التأويل والفهم بين المرسل والمستقبل ، لأنّ الاستعارة مبنية على التخييل وهذا الأخير يجعل المتلقي يتيه في عمليات وتساؤلات لكشف تلك العلائق المخفية من وراء هذا التخييل أمّا اللّغة العادية المباشرة فتُضَيِّقُ من أفق توقع المتلقي لسهولة الوصول لمعانيها ، فقد بلغت اللّغة الاستعارية الـمُنْزَاحُ بها عن المألوف و المعيارية مستوى مثاليًا ، بإنشاء نافذة تطل على فضاءٍ رحبٍ من الخيالِ لولاه لانحصرت وظيفتها في المستوى الأوّل ولَغَدا الخطاب غير أدبي، ومن هنا يظهر لنا أنّ

[1] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا ، ص 143.

«استعمال المبدع مفرداتٍ وتراكيبَ و صوَرًا استعمالًا يخرج به عمَّا هو معتاد و مألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتَّصِفَ به من تَفَرُّدٍ و إبداعٍ وقوةِ جَذْبٍ و أَسْرٍ »[1] لأنّ قوة الحجاج في المفردات «تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي »[2].

لقد عرف الإبراهيمي كيف يحرك مخيلة السامع ، ويسمو به إلى فضاء الخيال واتساعه لاستدراجه شيئا فشيئا بطريقة غير مباشرة ، فعند قوله في مقدمته "**يوم مظلم الجوانب**" يقف المستمع وقفة المتسائل ، بماذا ؟ هل بالظلام ، أم بشيء آخر ، فيفاجئه الإبراهيمي بإجابة خرقت أفق انتظاره :"**بالظلم**" وبهذه التوطئة الاستعارية يشبه الظلم وهو شيء معنوي بشيء مرئي ومجرد ، ليصل إلى أغراضه التداولية؛ بوضع المتلقي في نفس الجو الذي أراد له أن يكون فيه ، وهكذا سار الابراهيمي بنفس الطريقة في هذه المقدمة ، فهو لا يريد للمستمع أن يحيدَ عنه طرفة عين فيشحن كلامه بترسانة من الاستعارات الحجاجية ، فيقول متمما كلامه: "**مطرز الحواشي**" ، ليعيد المتلقي نفس السؤال لكن بحذر لأنّه قد خُيِّبَ أُفُقُ انتظاره في المرة الأولى ، فكأنّهما في حوار يتبادلان أطراف الحديث فيكون الجواب : "**بالدماء المطلولة** " فبعد هذه الإجابة الاستعارية يصل الباثُّ إلى أغراضه التداولية ، لأنّ المتلقي بدأ يرسم مشهدًا يستحضر فيه فظاعة ذلك اليوم.

اعتمد الإبراهيمي في هذه المقدمات الاستعارية على المفارقة ، كونها « تعبير لغوي بأسلوب بليغ يهدف لاستثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري المتناقض للعبارة والوصول إلى المعاني الخفية التي هي مرام الشاعر الحقيقي »[3].

---

[1] ويس أحمد محمد ، الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، ط1 ، 2003م ص 08.

[2] ميشيل لوكيرن ، الاستعارة والحجاج ، ص87 .

[3] عبد الهادي خضير ، المفارقة في شعر المتنبي ، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ع3/11، 2000 ص 91.

بهذا التعريف نرى بأنّ صاحبه قد راعى فيه الجانب التداولي الإقناعي لأنّ المفارقة تهدف إلى شيء معين وهو استثارة القارئ من قبل المرسل عبر وسائل لغوية بلاغية.

لكن ما هو الشيء الذي يوجد في المفارقة حتى تجعل القارئ في حيرة من أمره حين يذهب لتفكيك العلاقة الموجودة بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي؟

يكمن الجواب في ذلك الانحراف البلاغي الذي يورث صدمة مؤقتة بالنسبة لمستقبل الرسالة لأنّ « ما يميز انحراف المفارقة ، أنّه لا يدوم طويلا إلا ريثما يتلقى القارئ الصدمة الأولى للمفارقة ، ثم يشرع بإعادة الأمور إلى نصابها من خلال إعادة إنتاج المعنى في حين تظل الانحرافات الأدبية المعتادة كالاستعارة والتشبيه والكناية تحتفظ بهويتها »[1].

وفي مقدمة الإبراهيمي كثير من المفارقات الاستعارية ، وذلك في قوله: "يوم مظلم الجوانب بالظلم" إنّ هذا الانزياح في إسناد كلمتي مظلم الجوانب إلى كلمة الظلم الذي يفرض على المتلقي نوعا من التأني لإعادة صياغة ذهنية في محاولة لاستنتاج المعنى وبهذه الطريقة ينجح المتكلم في أسر المتلقي معاودا له الكرة بمفارقة ثانية لكن برفع درجة مستوى الانزياح فيقول: " مطرز الحواشي بالدماء المطلولة" فيجمع الإبراهيمي في هذه المرحلة بين متناقضين، فحقل التطريز للحواشي هو مجال للزينة والفرح ، وحقل الدماء هو مجال القتل والعدوان والتظلم ، فشتان بين هذا وذاك ، فينجح الإبراهيمي مرة أخرى بخرق أفق انتظار المخاطب ووصوله إلى مقاصده الحجاجية ، عن طريق الصدمة والتوقع الخائب لدى المتلقي.

ويعيد العملية مرة أخرى ، في قوله: **"مبتهج السماء بأرواح الشهداء"** يرفع المتكلم من درجة توتر الخطاب فيسند الابتهاج الذي فيه الفرح والسرور إلى أرواح الشهداء والتي تعني القتل والعدوان ، وفي هذا مفارقة عجيبة ، استند عليها الإبراهيمي

[1] ناصر شبانة ، المفارقة في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1-2001 ، ص 71.

ليصل إلى أهدافه في توجيهه للخطاب إلى الواجهة التي يريد بغية أسر المخاطب وجعله مستعدا لما سيلقى عليه فيما بعد .

بعد هذه التوطئة التي برع في استهلالها وأحسن تصوير مشاهدها وموازنة فواصلها في إيقاع موسيقي ينبه الإبراهيمي الشعب الجزائري بأن يتفطن لقضية مهمة وهي عقلية المستدمر ، في قوله: «**وعاد بالتَّقتِيلِ على من كانوا بالأمس يمدون حياته بحياتهم، ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود، ويحدثهم بلغة الدم ومنطق الأشلاء** »[1].

يتبين لنا من خلال هذا النص -والسياق التاريخي- بأن فرنسا قد وعدت الشعب الجزائري وعودًا لكنَّها لم تفي بها ، وقتّلت أبناء الشعب الجزائري ، فاستحالت وعودها إلى فظائعَ ، فعبر عنها باستعارتين"**لغة الدم**" و "**منطق الأشلاء**".

ولعلّ المخطط التوضيحي التالي يوضح الاستعارات التداولية التي اعتمدها البشير واختارها على حساب التعابير الحقيقية :

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص370.

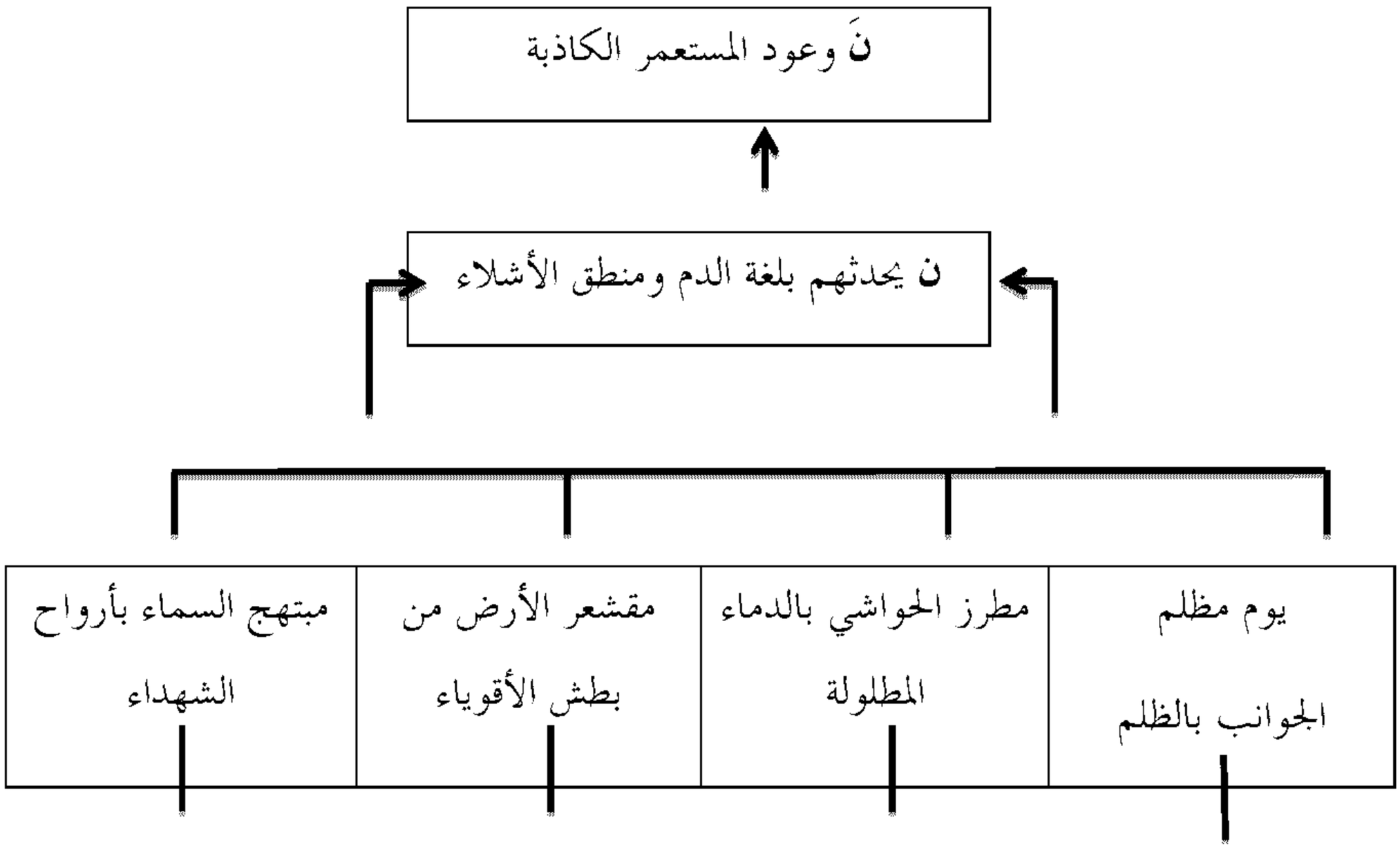

يُظْهِرُ هذا المخطَّطُ من أوَّلِ نظرةٍ إليه مدى روعة الأقوال الاستعارية من الأقوال العادية فالجمل العادية تظهر وكأنّها سرد لأحداث ووقائع تاريخية يمكن لأيِّ شخص الإتيان بها ، أمّا الأقوال الاستعارية نجدها أدت نفس مدلولات الكلام العادي لكن بطريقة مختلفة جمعت فيها بين المتناقضات ، وتظهر فيها براعة المتكلم وكفاءته اللّغوية بشكل جلي فيتميز الخطاب الأدبي عن الخطاب التاريخي العادي باستمالة المتلقي بأسلوب فني تنصهر فيه لغة التواصل مع لغة الانزياح والإبداع فالكفايات اللّغوية التي يستعملها صاحب الكلام العادي، ليست هي التي يستعملها الأديب، لأنَّه مكتف لغويًّا بالتراث اللغوي والأدبي ، من كلام البلغاء والشعراء والأنبياء.

وسنعتمد السلم الحجاجي في إبراز حجاجية الاستعارات الموظفة ؛ حتى تظهر الغايات الحجاجية الكامنة وراء استعمالها لأنّ « الأدلة والحجج تكون متفاوتة في قوتها

الحجاجية لكل دليل »[1] ، وسنعمل على توظيف هذا المفهوم لنبرز بشكل فعَّال القوة الإقناعية لبعض نماذج الاستعارة المختارة من خطاب الإبراهيمي حيث يقول: " ويحدثهم بلغة الدم، ومنطق الأشلاء" إن مقصود الإبراهيمي من هذا الخطاب (هو إظهار كذب فرنسا، ومخالفتها لوعودها) واختار هذا القول عوضا عن قوله مثلا: " يحدثهم بوعود كاذبة، وبمنطق خاطئ" وهو باختياره هذا يميل إلى حقيقة أنّ هذا القول هو أقوى من جميع الأقوال الأخرى ، لأنّه يجعل المتلقي يتفطن بأنّ هذه الوعود قد تحولت إلى دماء وأشلاء للقتلى:

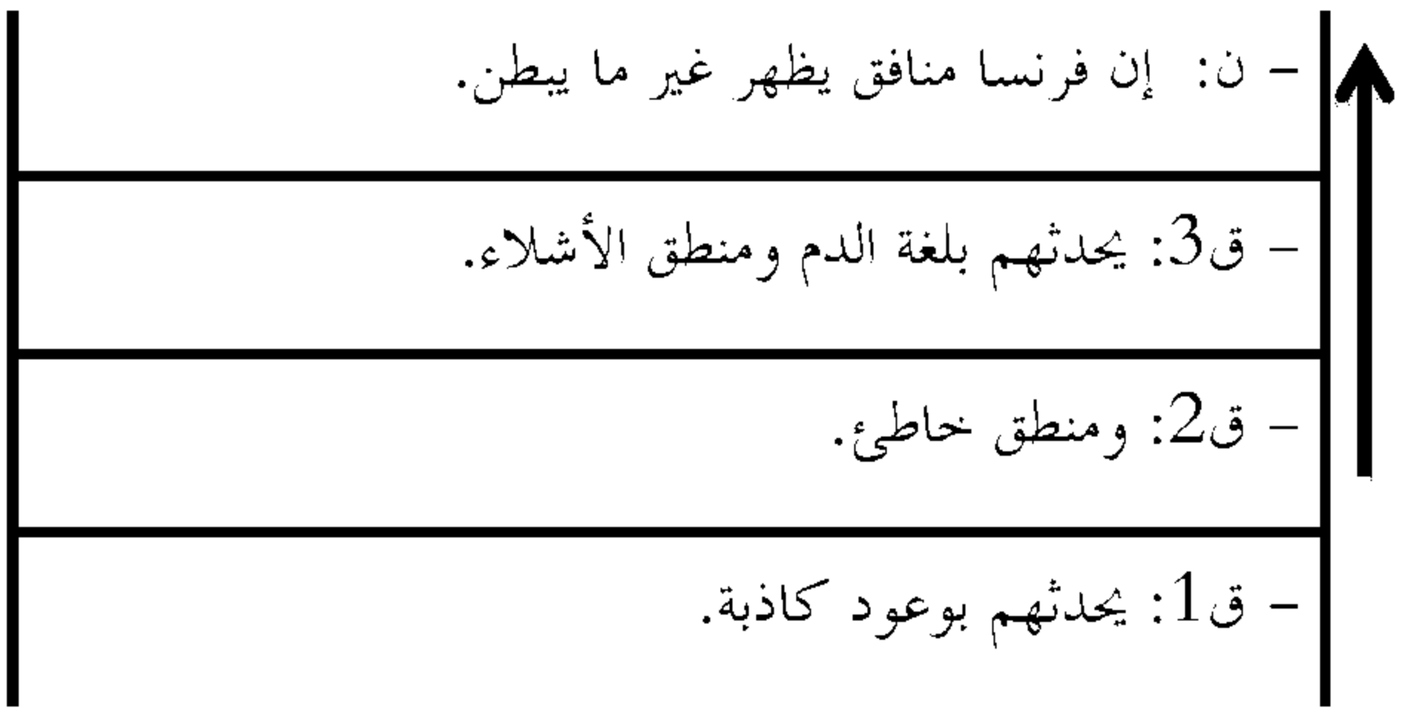

نخلص من خلال هذا أنّ الإبراهيمي لا يظهر نواياه الحجاجية بأساليب تقريرية يطابق فيها بين الدّال والمدلول وإنّما يعمد دائما إلى الانزياح لأنّه يقع على رأس الأقوال جميعها.

لأنّ قوة الصورة تظهر عندما تقع في أعلى درجات السلم الحجاجي ، فتكون من الوسائل الحجاجية التي يمتنع دحضها و إبطالها ، ولا تقبل أن تَرِدَ في سِيَاقِ التَّعارض الحجاجي[2] لكن من السَّهل أن ندحض ونُعارض الأقوال الأخرى التي جاءت في السُّلَّم بقولنا:

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ، ص 103.

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص: 107.

1) يحدثهم بوعود كاذبة لكنَّه يفي ببعضها.

2) منطق خاطئ لكنَّه مقبول نوعا ما.

تُظْهِرُ هذه الأمثلة أنَّ الأَقْوَالَ العادية قابلة للاعتِراضِ بأدوات التَّعارض الحجاجي مثل "لكن –بل" وإذا أدخلنا هذا الرابط على الجمل الاستعارية فسرعان ما يظهر لحنها.

1) يحدثهم بلغة الدم لكنَّه يفي ببعض الوعود.

2) هو منطق الأشلاء لكنَّه مقبول نوعا ما.

ختامًا أقول إنّ هذه الاستعارات أتاحت للمتلقي فضاء شاغرا هو ذلك الجانب الخفي الضمني والذي يتوجب عليه إظهاره ، بملإ الفراغات والمسافات القائمة بين عناصر الصورة حتى يصل إلى النتيجة التي استدرجه لها صاحب الخطاب ، فهي بالتالي « نتيجة تأويلية »[1] وصل إليها المتلقي بنفسه فلا يمكنه الاعتراض عليها ، مما يجعله مهيئًا « لبداية الانخراط في دورة الكلام الحجاجية ، وبداية الانصياع لمنطق الكلام المؤذنة بحصول الإذعان »[2].

وفي الأخير يمكن القول إنّ الاستعارة في مقالات البشير الإبراهيمي تمتلك طاقة حجاجية قوية وقوة تعبيرية عالية تم توظيفها بهدف حمل المتلقي على التصديق والإذعان؛لكونها تُبْنَى على جوانب ضمنية تستدعي من المتلقي المرور بمسارات استدلالية توصله إلى المعاني الخفية فيكون بالتالي طرفا مهمًا في العملية التواصلية .

3 – التَّشبيهُ وخصائصهُ الحجاجيّة والاستدلالية عند البشيرِ الإبراهيمي :

إلى جانب الاستعارة نجد التشبيه من الآليات البلاغية التي استند عليها الإبراهيمي في بناء ركائز خطابه الحجاجي؛ إذ لا يخفى على أحد أنّ منزلة التشبيه منزلة كبيرة في النص الحجاجي. ولا سيما إذ كان موظفا بطريقة تخدم المعنى المراد تحقيقه وإيصاله إلى المتلقي.

---

[1] ميشيل لوكيرن ، الاستعارة والحجاج ، ص 88.

[2] عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 558.

وقد حظي التشبيه اهتماما كبيرا من قِبل البلاغيين القدماء، بالنسبة للمزايا التي يمتلكها، فهو يُكسب الخطاب متعة وجمالية من جهة ويُكسب التواصل والإقناع من جهة أخرى.

و أقر عبد القاهر الجرجاني بهاتين المزيتين فيقول: «واعلم أنّه مما اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني وبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت صورها الأصلية إلى صورته أكسبها أبهة منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب لها استثار بها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا، فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر.»[1]

يُظهر هذا التعريف المكانة المرموقة التي يحتلها التشبيه في إبراز المعاني بطريقة مختصرة تظهر فيها قدرة المرسل واتباع مخيلته في تحريك همة المرسل إليه ودفعه إلى الإذعان والتسليم.

وقد أورد السكاكي الإجماع على هذا المعنى في مفتاحه إذ يقول: «واعلم أن أرباب البلاغة، وأصحاب الصياغة للمعاني، مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر.»[2] يبين هذا الكلام الطاقة التعبيرية التي تحتوي عليها الصورة البلاغية بسبب شحنات إضافية تُضيفها على الخطاب وتمكنها من اصطياد مواطن الإقتناع من قِبل الأفراد.

وينشأ فعل الإقتناع لدى المتلقي عن طريق التشبيه ، بسبب محاورة الصورة ، لأنّ صاحب الخطاب أكسى التشبيه حلتين؛ حلة حجاجية إقناعية وحلة الزخرفة الجمالية الوصية التي تدفعه لمواصلة القراءة ، فيتبع الروابط بين المشبه والمشبه به، وكيفية الجمع بينهما ، بطريقة تفاعلية تُخول

---

[1] عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة، ص: 118-119

[2] أبو يعقوب السكاكي. مفتاح العلوم، تح:عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، 2000م، ص:523.

له توليد دلالات متنوعة ، فينقلب هذا التشبيه من عملية إبداعية محضة إلى أداة تواصلية تداولية حجاجية.

وتكمن قوة الإقناع في الصورة يترك المرسل لفضاء شاغر هو ذلك الخفي اللامرئي من الصورة، والذي يجب على المخاطَب الوصول إليه عن طريق خاصية الاستدلال البلاغي. واعتمادا على عناصر الصورة البارزة، لأن صاحب الخطاب قد استدرج المتلقي لإقامة العلائق بين تلك العناصر، وهذا المكان الشاغر؛ «ليس مجرد وسيط سياقي يُبيح الاستنتاج ، بل إنّه كذلك الحجة التي تزيد استدراج المتلقي إليها حتى يذعن لها من دون أن نقول له ذلك»[1].

ويحصل للمتلقي بذلك عملية ذهنية مرتبطة بمنهج صوري عن طريق اللفظ؛ فيعطي التشبيه قوة في انطلاق العملية الاقناعية ، من خلال العلاقات التي تكون بين المشبه والمشبه به، وتكون هذه العلاقة بينهما معلومة من قبل المتلقي في الواقع ، ويسهل استحضارها في مشهد ذهني لأنّ «التمثيل يسقط علاقات مستفادة سابقا على مجهول أو يبدع علاقات جديدة من منطلق تشابه ما فالذهن ينظر إلى ما يجري أمامه من خلال الأحكام التي تكونت فيه على ضوء الخبرة السابقة »[2] فيحصل بذلك الإقناع لأنّ التشبيه في الغالب يكون عبارة عن حجة تدعم القضية المطروحة.

كما أنّ قوة التأثير في التمثيل تحصل عندما يجمع ويُقرِّبُ بين حقلين مختلفين في المادة والشّكل والجنس؛ في مغامرة صعبة لإخفاء الفروق بين المشبه والمشبه به من هذا المنطلق يكتسب

---

[1] ميشال مايير. ص:139، نقلا عن: الزماني كمال حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي،ضمن التحليل الحجاجي للخطاب ، إشراف: أحمد قادم ، كنوز المعرفة،عمان ،ط1 2016 م ، ص:463.

[2] بناصر البعزاتي ،الصلة بين التمثيل والاستنباط ، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق حمو النقاري،الناشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ،ط1-2006 ص 29.

التشبيه قدرته على الإقحام والتبكيت؛ إذ لا يمكن بوجه رده أو مخالفته لأنّه « يزيد في الكلام معنى يدل على صحته ذكر مثال له »[1]

وعلى الرّغم من أنّه واضح الدلالة في إيضاح المعاني؛ إلاّ أنّه وسيلة يستند عليها المحَاجِج ويستثمرها للدفاع عن قضاياه المطروحة.

ومن التشبيهات التي جاءت في مقالات الإبراهيمي في مقال يحمل عنوان "الحقائق العريانة" فيقول: «... والاستعمار سلٌّ يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح »[2] ، أورد الإبراهيمي هذا التشبيه بعد ما افتتح هذا المقال بالحديث عن الشعب الجزائري ودافع عن العروبة والإسلام و المحافظة على هذا الإرث لقرون إلى أن جاءت فرنسا فحاربت هذه المقومات.

يشبه الاستعمارَ في هذا الكلام بالسُل وهو الدّاء العضال الذي يقضي على المناعة في الجسم الصحيح ، فالاستعمار هو فرنسا المشبه بالسُل، وأسباب المناعة هي مقومات الشعب الجزائري التي تحدث عنها الإبراهيمي في بداية مقاله وهي العروبة والإسلام، والجسم الصحيح هو الأمة الجزائرية.

ويختار الإبراهيمي هذه الصورة البشعة للاستعمار من خلال تجربته ومعايشته لأحداث تلك الفترة عرف أنّ الاستعمار له طرق خبيثة في محاربة مقومات الأمم فحذر منه بهذا الخطاب والتمثيل، فيكون التشبيه في هذه الحالة حجة تدعم قضية ونتيجة هي من قبيل " الاستعمار عدو وخطير على الأمة الحذر من أساليبه"، فالنتيجة مضمرة يصل إليها المتلقي باستحضار لصورة مرض السل وما يُحدثه بجسم الإنسان فهي حجة مؤسسة من بنية الواقع فلا يمكن دحضها والاعتراض عليها.

---

[1] أبو سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، بيروت ط1-1982م، ص 275.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص 22.

وسنظهر القوة الإقناعية لهذا التمثيل بمقارنته مع كلام عادي في سلم حجاجي على النحو الآتي:

ن يجب الحذر من الاستعمار ومحاربته.

ج2 الاستعمار سلٌ يحارب أسباب المناعة في الجسم .

ج1 الاستعمار خطير على المجتمعات فهو يحار ب مقوماتها.

لا يمكن أن يختلف اثنان بأنّ المثالين قد أديا نفس الوظيفة التواصلية في إيضاح الدلالة المقصودة من الخطاب لكن أحد المثالين أرفع درجة ، وأحسن سبكا من الآخر، فتكون له القوة الحجاجية الأقوى لأنّه جعل أطراف العملية التخاطبية متفاعلة بينهما لإنتاج المعنى.

سنعتمد المبدأ التداولي المسمى " بمبدأ التعاون" الذي جاء به **كرايس(Grice)** ومفاد هذا المبدأ أن على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحصيل المطلوب، فيتعاون المتكلم والمخاطب في تحقيق الهدف من الحوار.[1]

ويتفرع هذا المبدأ عند كرايس إلى أربعة قواعد حددها فيما يلي:

1- قاعدة الكم: ولها علاقة بالكمية بمعنى ألاّ يزيد أو ينقص المتحاوران من مقدار الفائدة المرجوة.

2- قاعدة الكيف: وهي ألاّ يورد المتكلم من العبارات سوى التي وقف على دليل يثبت صدقها وهي متفرعة إلى:

- لا تقل ما تعلم خطأه
- لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

[1] ينظر : العياشي أودراري ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2011، ص 97-98.

3- قاعدة الملاءمة: بمعنى أن يراعي المتكلم علاقة المقال بالمقام.

4- قاعدة الجهة أو الكيفية: تختلف هذه القاعدة عن سابقاتها لكونها ترتبط بما يراد قوله والطريقة التي يجب أن يقال بها[1].

نروم بذكر هذا المبدأ أن نقف على تلكم الجوانب التداولية الحجاجية الموجودة في خطابات الإبراهيمي ونبدأ بالمثال السابق.

« الاستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح »، يُظهر هذا القول أنّ المرسل والمرسل إليه قد دخلا في عملية تفاعلية حوارية من خلال طرح الأسئلة؛ ما علاقة الاستعمار بالسّل؟ ولماذا السّل بالذات؟

من خلال هذه الصورة البلاغية التي تفرعت عنها هذه الأسئلة والاستنتاجات في محاولة الوصول إلى عتبات القصد من وراء هذا الخطاب يتحقق" مبدأ التعاون " بين أطراف الحوار.

وإذا جئنا إلى تفريعات هذا المبدأ، فهل سنجد الإبراهيمي قد احترمها ونبدأ بقاعدة الكم .

-**قاعدة الكم** : ما هي الفائدة المرجوة من خلال هذا التمثيل؟ الفائدة هي الوقوف على خطورة الاستعمار والحذر منه وأن نَتقِيَ شرّهُ ونسارع لمحاربته لمعالجة مرض السل ، ويمكن القول بأنّ هذه القاعدة كانت محترمة لأنّ هذه الحجة مؤسسة من بنية الواقع فاتفقنا عليها جميعا.

-**قاعدة الكيف**: تعتمد هذه القاعدة على دليل يثبت مصداقية الخطاب ، وقد اتفقت الأمم على أنّ الاستعمار متى حل بأرض حلّ معه الخراب والدمار والجهل وما هو بالأمر المخفي في الجزائر ، ثم إن الدليل الذي يمتلكه الإبراهيمي على هذه القضية معاينته الشخصية للمستعمر.

-**قاعدة الملاءمة**: عندما ذكر الإبراهيمي هذا التمثيل أعقبه بكلام هو مثابة تفصيل للمعنى الأول فيقول: «وهو في هذا الوطن — يعني الاستعمار- قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية،

[1] ينظر: العياشي أودراري ، المرجع السابق، ص 99-100.

وعبث بحرمة المعابد ، وحارب الإيمان بالإلحاد ، والفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية...»[1]

–قاعدة الجهة أو الكيفية: إنّ الطريقة التي اختارها الإبراهيمي في المثال الأول فيها تجنب للاضطراب والملل ، وفيها إيجاز يحسن سكوت المتكلم عنده وهذا ما نصت عليه هذه القاعدة الرابعة.

4– خاصية الاستدلال للصورة البلاغية:

إذا كانت غاية الحجاج هي الإقناع والاستمالة والتأثير ، فإنّ درجة ذلك الإقناع تكون تبعا للإستراتيجيات الموظفة من قبل الباثّ؛ فقد يعمد إلى توظيف طرق مباشرة أو غير مباشرة تستدعي هذه الأخيرة التخييل و الإضمار ، فعملية التحاجّ في هذا مرتبطة بالمتكلم وعلاقته بالمرسل إليه ومعرفة أحواله ، لذلك يُفضل المحاججُ سلوك طرق حجاجية تعتمد الأساليب البلاغية التي تتيح للمتلقي مناحٍ استدلالية وصولا إلى النتائج ، وبذا الوصول إلى الاقتناع .

والاستدلال البلاغي ارتبط بمفهوم "معنى المعنى" عند الجرجاني وبمفهوم "اللّزوم" عند السّكاكي[2] (ت.626هـ) ، والاستدلال البلاغي هو النتيجة المضمرة التي يصل إليها المتلقي عن طريق الانتقال من الدلالة الوضعية إلى الدلالة المستلزمة ، « وهذا المعنى الثاني الذي يعقله السامع يتوصل إليه بوساطة دلالة اللفظ »[3].

وذهب السّكاكي إلى أنّ علم الاستدلال ضروري في الوصول إلى المعنى البعيد قائلا :« وإذا قد تحققتَ أنّ علمي المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ، ومعرفةُ صياغاتِ المعاني ليتوصلَ بها إلى توفيةِ مقاماتِ الكلام حقَّهَا ، بحسبِ ما يعني به قوة ذكائك ، وعندك علمٌ أنّ مقامَ

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 22

[2] ينظر شكري المبخوت ، الاستدلال االبلاغي ، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010 ،ط02 ،بيروت لبنان ، ص30 .

[3] شكري المبخوت ، نفسه، ص 30.

الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزءٌ واحدٌ من جملتها وشعبةٌ فريدة من دوحتها علمتَ أنّه تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان»[1].

ولأجل توضيح هذه الخاصية نوظفها على المخطط الذي ذكره كمال الزماني[2]:

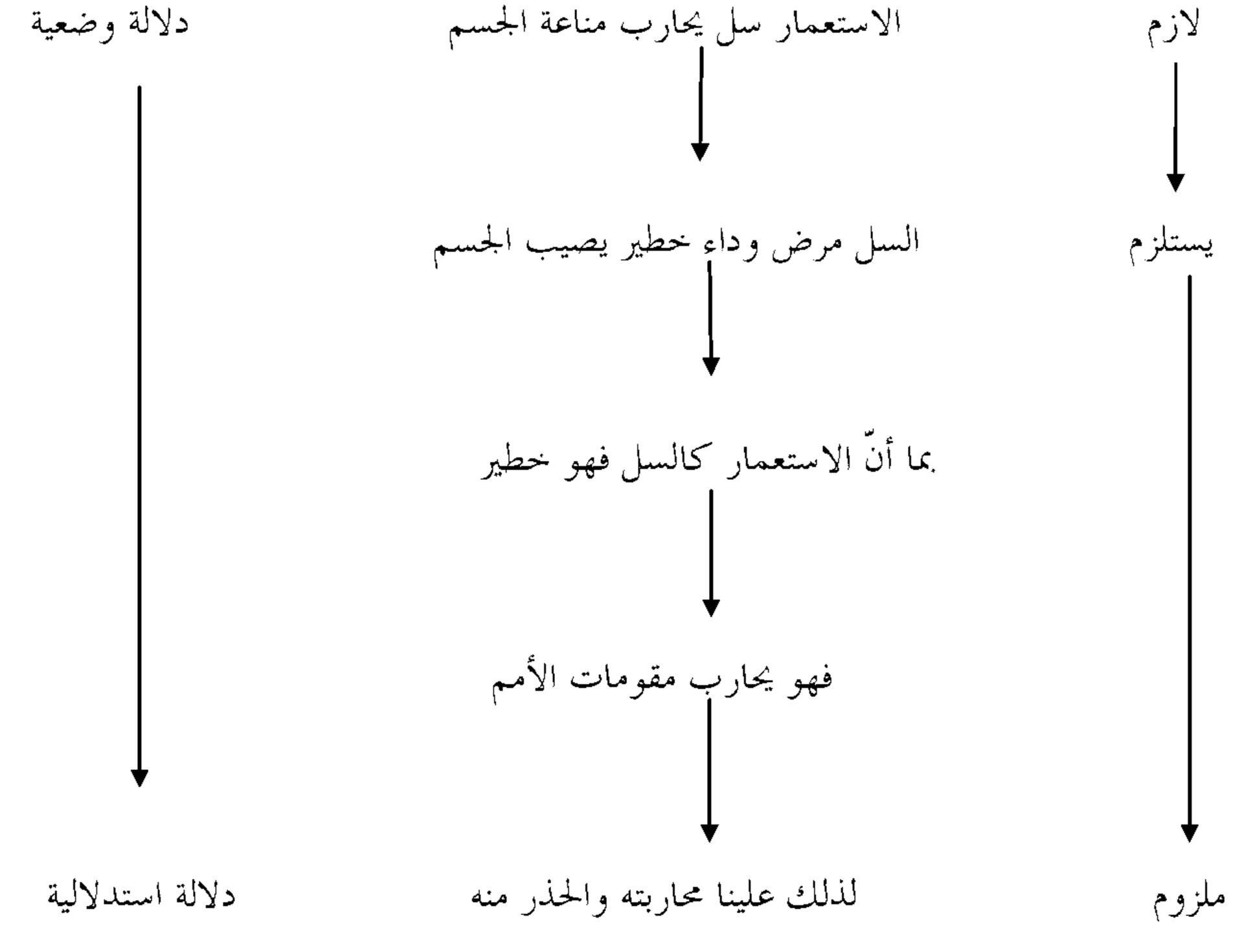

يُبينُ لنا هذا المثال المسار الاستدلالي الذي يسلكه المخاطب للوصول إلى المقصدية من الكلام ، وهو مسار كان مقصودا من قِبل الإبراهيمي خاصة إذا علمنا بأنّ الحقبة التي قيل فيها هي مرحلة استعمارية حاربت فيها فرنسا مقومات الشعب الجزائري ، و لم يصرح الإبراهيمي بالنتيجة وإنّما جعلها مستنبطة متضمنة في الصورة البلاغية ، فالسّل يحارب المناعة في الجسم شيئا فشيئا

---

[1] السّكاكي ، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان 1987، ص 432.

[2] الزماني كمال، حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الامام علي ، التحليل الحجاجي للخطاب ، بحوث محكمة، إشراف و تقديم : أحمد قادم ، ط 01 – 2016 ، ص 483

حتى يهلك صاحبه وكذلك الاستعمار يحارب الأمم في هويتها بنفس الطريقة حتى يأتي على بنيانها من القواعد.

وكذلك من التشبيهات الفريدة التي جاء بها الإبراهيمي في مقالاته ، مدافعا عن العربية في القطر الجزائري قوله: « من قال إنّ البربر دخلوا الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنّهم قبلوا العربية عفوا ، لأنّهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعا ، لا يمكن الفصل بينهما ، ومحاول الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفرقدين »[1].

يريد البشير الإبراهيمي بهذا الكلام إثبات العروبة للجزائريين وأنّ لغتهم هي اللّغة العربية التي تتلازم مع مجيء الإسلام إلى هذا البلد تلازما وثيقا.

ويحتج لهذا المعنى ويدعمه بتشبيهه لمن يريد أن يطعن في عربية البربر ولسانهم العربي ويفصل بينهما بقوله: " كمحاول الفصل بين الفرقدين"[2].

والفرقدان كما هو معلوم عند الفلكيين نجمان بارزان في السماء لا يتزحزحان ولا يتحركان من مكانيهما، فهما من سنن الله الكونية فلا يمكن الفصل بينهما.

يدعم الإبراهيمي قضيته في كون العربية قد دخلت إلى الجزائر واستقرت بها ولا يمكن بأيِّ حالٍ القضاء عليها ، بهذه الحجة المتمثلة في هذا التشبيه يُفكِّكُ المتلقي العلائقَ الموجودة بين العربية والإسلام في الجزائر وبين الفرقدين؛ ليُدركَ تمام الإدراك بأنّه لا يمكن للعربية في الجزائر أن تمحى بل هي باقية إلى قيام الساعة.

يتبين لنا من خلال هذا التشبيه أنّ الإبراهيمي لجأ إلى أشياء محسوسة تُرَى بالعين المجردة لتثبيت الأطروحة في ذهنية المتلقي ، فالإبراهيمي أقام علاقة بين الفرقدين واستحالةِ الفصلِ بينهما وبين العربية والبربر ليكون وجه الشبه (**الثبوت والاستقرار والتلازم**).

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص222

[2] الفرقدان هما نجمان في السماء لا يفترقان، ينظر : زين الدين أبو عبد الله الرازي، مختار الصحاح، تح، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية،بيروت، ط 05، 1999 ، باب فرقد ، ص 238 .

ويحيلنا الإبراهيمي بهذه الحجة التّشبيهية إلى نتيجة حتمية مستقرة ، هي عربية وعروبة الجزائريين ، وهي حجة مؤسسة على بنية الواقع كما أشار إلى ذلك شايم بيرلمان .

ويمكن أن نضع لهذا التشبيه نفس المخطط الاستدلالي السابق لنعرف كيف يصل المتلقي إلى الغرض المقصود من التشبيه :

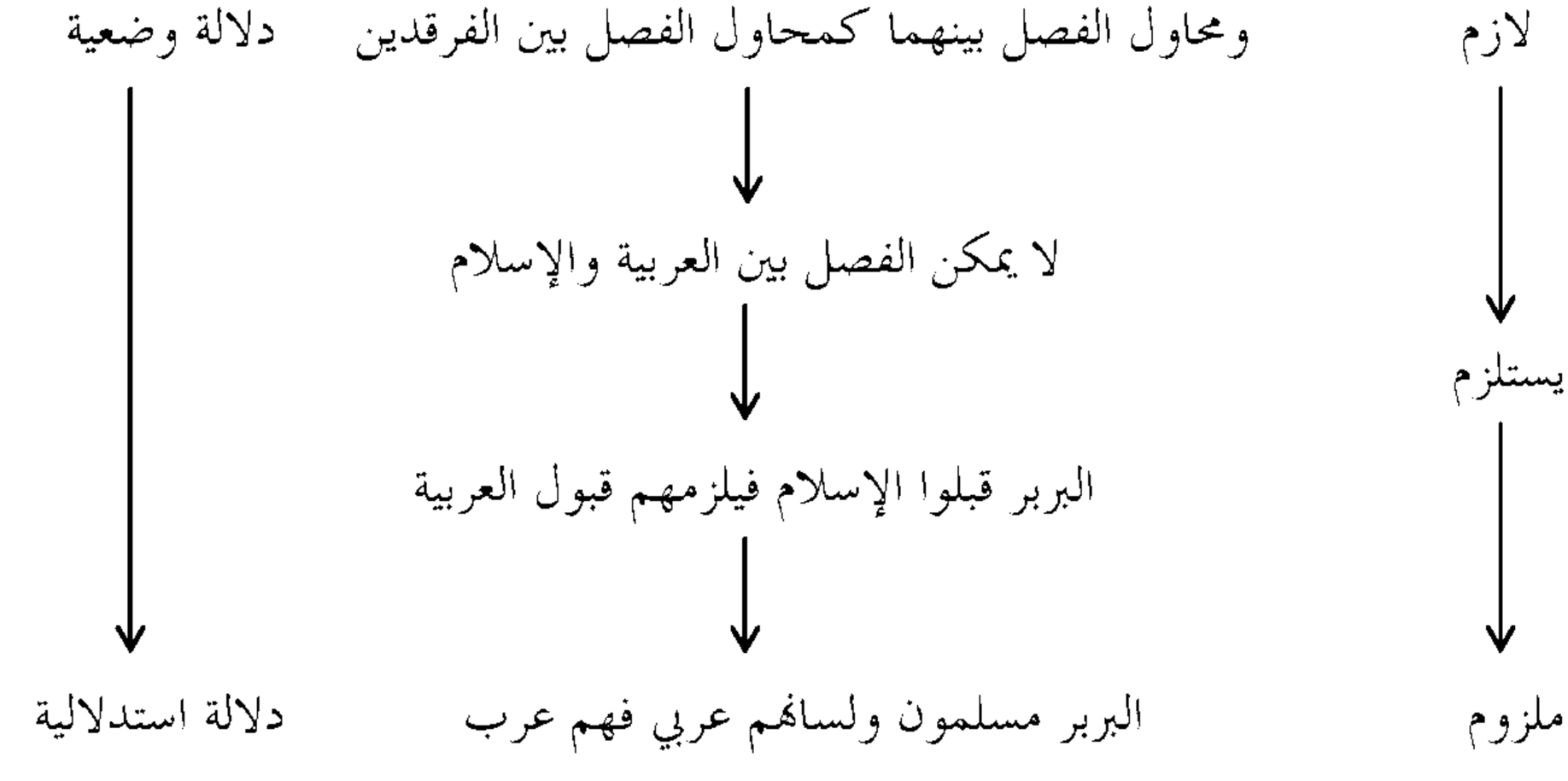

يصور لنا هذا المخطط المسار الحجاجي الاستدلالي الذي يسلكه المتلقي؛ فاستحضارُه لصورة الفرقدين في السّماء ، ومقابلتها بصورةِ العربية والإسلام يصل إلى استنتاج وحقيقة لا غبار عليها بأنّ اللّغة العربية لن ترحل عن الجزائر.

وفي وصية البشير الإبراهيمي للشباب الجزائري ونصحه لهم يقول : « أوصيكم بالابتعادِ عن هذه الحزبياتِ التي نجم بالشَّرِّ ناجمُهَا ، وهجم ليفْتِكَ بالخيرِ والعلم هاجمُها ، و سجم على الوطن بالملحِ الأجاجِ ساجمُها ، إنّ هذه الأحزابَ كالميزابِ كالميزاب[1]، جمع الماء كدرًا وفرّقه هدرًا، فلا الزُّلالَ جمع ، ولا الأرضَ نفع »[2].

[1] الميزاب الجمع ميازيب، قناة أو أنبوب من معدن أو طين يجري فيها الماء من السطح أو من داخل البيوت ينظر : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المخصص، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 -1996م ،ج3 ، ص24.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص 292.

و يقف وقفة الناصح الأمين للأمّة فيبدأ قوله بفعل الوصية ليُظهر للمتلقي صدقه ونيته الحسنةَ وفي نفس الوقت يجعله مهيأ لما سيلقي عليه خلال الوصية.

كما حرص الإبراهيمي في هذه العبارة على التأنّق في اختيار الألفاظ والتناظر بين فواصلها مزيدًا منه في إبقاء المتلقي مركّزًا معه ليسهل الولوج إليه فيحصل بذلك التأثير والإذعان.

إن في قول الإبراهيمي : " نجم بالشر ناجمها .. ساجمها " كلها دعاوى وقضايا تحتاج إلى إثباتها فحينئذ يُظهر الإبراهيمي الدليل القاطع والحجة الدامغة التي تُذهِبُ عن المتلقي كل الظّنون حول صدق الدعوى في قوله : " هذه الأحزاب كالميزاب ".

يشبه الإبراهيمي الأحزاب بالميزاب ، و هو ذلك الأنبوب الذي يجتمع فيه ماء السطح إذن؛ فما هي العلاقة التي يمكن للمتلقي الوصول إليها عندما يصل إلى هذا التشبيه ؟ والتي يعبر عنها بوجه الشبه بين المشبه والمشبه به ، فيستحضر صورة الميزاب الذي تجتمع فيه المياه الكَدِرةُ الملوّثة التي لا تصلح للشّرب ، ثم تتفرق و تسيح في الأرض بغير فائدة تعود على الكائنات الحيّة أو الأرض ، فيذهب هذا الماء هباء منثورا.

عندما يربط المتلقي بين أوجه الشبه هذه يصل إلى حقيقة ثابتة بأنّ الأحزاب همها الوحيد هو التجميع و التكثير بدون النظر إلى كفاءات الأشخاص ، فيكون فيهم العالم والجاهل والصالح والطالح ، فيكون مصير هذه الأحزاب في الأخير الشّتات والفرقة لأنّ أفكارهم وعقائدهم مختلفة فينحلُّ هذا الحزب أو يتفرق بدون أن يعود بالفائدة المرجوة منه .

وإنّ العوامل التي ساعدت في نجاعة هذه العلامة (الميزاب) هي السّياق الاجتماعي والعرفي اللّذان حددا مسار التأويل ؛ لأنّه لا يمكن للمتكلم إذا كان في سياق الحجاج أن يخاطب متلقيه بعلامات يتعذر عليه فهمها أو تأويلها لذا تنشأ عملية التلقي في التساؤل الذي يجعله يحدد العلاقة بين (الأحزاب) و (الميزاب).

و بطاقةِ هذا التمثيل الإقناعية يضع المرسلُ للمرسَل إليه مخططا تأويليا ومسارا حجاجيا حتى يصل به إلى مقاصده وأغراضه الإقناعية بدون أن يفرضَ عليه سيطرة معينة ، بل هي سيطرة

الصورة البلاغية وما تحدثه في المتلقين من إذعان وقبول وانصياع من دون أن تكشفَ لهم الأمور فيصلون إلى نتيجة حتمية لا يمكن لأنفسهم التخلي عنها.

إنّ البعد الحجاجي لشكل هذه الصورة يكمن في « اعتماد المتكلم على المضمر في الدفاع عن أطروحته »[1]، بحيث لا يمكن الوصول إلى المضمر إلاّ عن طريق المصرح به وهذا المصرح به هو تلك القرائن التي أبقاها المخاطب في كلامه.

ومحاولة الوصول إلى الضمني من قبل المتلقي هو ما يكفل للصورة قوتها الحجاجية ويزيد من قوة التأثير والإقناع فيها، هذه العملية هي التي تتيح للمتلقي سلوك مسار استدلالي يتم خلاله المرور من الدليل إلى المدلول (النتيجة) وهذا المسار سماه كل من تولمين (Toulmin) وبلونتين (Plantin) بـــ« قانون العبور»[2] ، فيكون بالتالي معطى مصرح به في الخطاب يبنى عليه المتلقي استنتاجاته لملء ذلك الفراغ المتضمن داخل الخطاب فيكون مسار الحجاج في المثال السابق كما يلي:

الدليل : الأحزاب كالميزاب

المسار الحجاجي : الميزاب يجمع الماء الكدر ثم يفرقه بلا فائدة.

إذن؛ الأحزاب مثله تجمع الناس على جميع أصنافها ثم تفترق.

المدلول (النتيجة): إنّ الأحزاب لا يأتي منها الخير والنفع وإذا لم يأت منها هذان سيأتي منها التفرق والاختلاف.

إنّ البعد الحجاجي لهذه الصور البلاغية يكمن في « دفعها المتلقي إلى الإسهام في إنتاج قسم من كلام الصورة هو القسم الضمني ، وذلك بالانطلاق من القسم المصرح به »[3].

---

[1] عبد العزيز لحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية: ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ط1. 2010،ج3، عالم الكتب الحديث، ص 351.

[2] Stephen toulmin , les usages de l'argumentation نقلا عن: الزماني كمال حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي،ضمن التحليل الحجاجي للخطاب ، إشراف: أحمد قادم ، ، ص 476.

[3] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص 576.

وبهذه المشاركة يكون المتلقي قد ضيق على نفسه ووضعها في موضع صعب يتعذر على عليه رد ما وصل إليه من تأويلات بنفسه.

لأنّه من السهل –كما يقول لوكيرن- « أن ننفي ما يقوله من يتحدث إلينا أكثر مما يسهل أن ننفي ما نستنجه نحن عن طريق عملية تأويلية »[1]، ففي هذا المثال السابق يسهل على المخاطب أن يُنكر أنّ الأحزاب تشبه الميزاب ، ولكنّه لا يستطيع أن ينكر بأنّ الميزاب يجمع المياه الكدرة ثم يفرقها هدرا، فيكون الإبراهيمي بهذه الحالة قد أعطى للمخاطبين مدلولا يمكن الاعتراض عليه لكونه مستمد من حياتهم اليومية وثقافتهم ، وأعلى من هذا كله نتيجة لتأويلاتهم ، التي لا بد لهم أن يسلموا بها ، فتتحقق فائدة الإذعان والإقناع الذي هو غاية كل حجاج.

5- التشبيه من التّشكيل اللّغوي إلى صناعة المشهد الحجاجي عند الإبراهيمي:

إنّنا نقصد بالتّشكيل اللّغوي المادة الصوتية الحرفية التي استعان بها الإبراهيمي لبناء هذه التشبيهات الحجاجية ، بحيث يكون ذلك التّشكيلُ اللّغويُّ قناةً تحيلُ المتلقي إلى فضاءات المشاهدِ التّخييلية التي يُستدرجُ إليها ، فيتجاوز عندئذٍ الدلالة الصورية الجمالية للتّشبيه حتى يصل إلى الدلالات البعيدة الكامنة خلف ذلك التصوير المشهدي ، ليُصبح حينها أمام مشهد بصري مرئي أنتجه النص اللاّمرئي ، فيكون هدفه زعزعة حواس المتلقي عبر خرق آفاق انتظاره ، ليتجلى في الأفق مشهد حجاجي يتجه صوب القارئ فيسلم و يذعن .

إنّ الباثَّ في استعماله التّشبيه يستدعي من متلقيه بطريقة ضمنية أن يستعمل حواسه البصرية لاسترجاع المشاهد التي خلقتها الصور؛ لأنّه يتعامل مع خطاب تخيلي يدرك بحاسة العين التي « تُخضع موضوع رؤيتها للقلب على شبكيتها ، إنّها لا تمر على موضوعها إلاّ عبر لفٍّ ودوران ، و انعكاس وتفكير »[2]، فتصير حاسة البصر قارئة ومفسرة لتلك العلامات البصرية .

---

[1] ميشيل لوكيرن ، الاستعارة والحجاج ، ص 88

[2] عبد السّلام بنعبد العالي ، ثقافة الأذن و ثقافة العين ، دار توبقال للنشر ، ط 02 ، 2008 ، ص 07.

و في أمثلة الإبراهيمي السالفة نجده صانعا لكثير من المشاهد الحجاجية الموظّفة بغرض تحفيزي للمتلقي ليكون متفاعلا معه في إنتاج المقصدية ، فنجده في المثال الأول قد شبّه "الاستعمار بالسُّلِّ " فجمع بين حقلين مختلفين متباعدين ليُعطيَ للقارئ علامات سيميائية وجب عليه تفكيكها وتأويلها ، لكن قبل ذلك عليه أولا استحضار مشهدٍ لشخصٍ مريض بالسّلّ وحالته السيئة بسبب هذا المرض ، ثمّ بعد ذلك يحددُ علاقتها بالاستعمار حتى يصلَ إلى المراد من التشبيه والنتيجة المضمرة في المشهد التخيلي وهي (**على الأمّة الجزائرية أن تحذر من المستعمر**) ثمّ يتساءل عن الأسباب التي يتخذها في الحذر والوقاية من خطورة الاستعمار فيأتيه الجواب مسرعا : إنّ الأسباب هي (العلم ، والتسلح ، وعدم الفرقة والاختلاف ..).

يلاحظ من خلال هذا التشبيه أنّ الإبراهيمي اختصر على نفسه كثيرا من الأقوال والعبارات بكلمتين فقط مكّنتاه من تأدية نفس المدلول لكن بميزتين أفضل؛ **الأولى** : هي **الإيجاز** و **الاختزال** التي تضمن عدم الملل للقارئ ، **الثانية** : هي خلق **مشهد حجاجي** تفاعل معه المتلقي بمجموعة من الحواس البصرية و الذهنية مفتتا ومفكّكًا لتلك المشاهد الواحد تلو الآخر حتى يصل إلى النتيجة الحتمية التي يقتنع بها طواعية بلا إكراه.

ويقول الإبراهيمي في المثال الثاني: « من قال إنّ البربر دخلوا في الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنّهم قبلوا العربية عفوا ، لأنهما شيئان متلازمان حقيقة و واقعا ، لا يمكن الفصل بينهما ومحاول الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفرقدين »[1] ، نرى أنّ المتكلم يحتج لتلازم العربية والإسلام بتشبيه مشهدي يستعرض فيه هيئةَ النجوم في السّماء واصطفافها ، فقد استعان المرسل بهذا المشهد الفلكي ليُثبت صحة ما يدّعيه وليستعرض المعترض بعدها ذلك المشهد محددًا للمعنى الذي صنعه المخاطِبُ بواسطة التشبيه ، فاستحضار المتلقي للهيئة المستقرة القارّةِ للفرقدين تجعله يُسلمُ تسليما تامًّا للحجج التي يذكرها الإبراهيمي وهي كالتالي:(عروبة البربر) ، و (تلازم العربية

[1] الإبراهيمي عيون البصائر ، ص 222

مع الإسلام) ، و(إنّ العربية ستبقى في الجزائر ما بقي الإسلام) ، فكل هذه الاستنتاجات والاستدلالات وصل إليها المتلقي عن طريق الجسر المشهدي الذي صنعه المرسل .

ولو عبر المتكلم عن هذه المعاني بطرق عادية لما حقق هذه الآثار الحجاجية ، كأن يقول مثلا : (لأنّهما شيئان متلازمان حقيقة و واقعا لا يمكن الفصل بينهما والذي يحاول الفصل بينهما لا يستطيع لأنّه لا يمكن أن نقرأ القرآن إلاّ بتعلم العربية ...) وكلام من هذا القبيل ، إلاّ أنّ الإبراهيمي سهل على نفسه الأمر بصناعته لمشهد حجاجي كفل له نجاعة خطابه ، فتكون العين هنا هي الأداة الفاعلة في إعادة هيكلة المشهد من جديد فيتساوى المتخاطبان في رؤيتهما لمُرَكِّبَاتِ المشهدِ الذي خلقه التشبيه ، وتكون (ثقافة العين) هي الموجِّهَ لتقنيات التعبير الفنّي ،الذي أطلق عليه النقاد مصطلح « كلام المشهد »[1].

ونجد أنّ الإبراهيمي قد وُفِّقَ إلى حدٍّ بعيدٍ في استثارة حواس المتلقي البصرية والإدراكية؛لأنّ الصورة المشهدية الحجاجية تعد بؤرة الإثارة النّفسية بجماليتها وطريقتها في التعبير والوصف ، وهذا ما تفعله « المشاهدةُ من التّحريك للنّفس ، والذي يجب بها من تمكُّن المعنى في القلب إذا كان مستفاده من العيان ، و متصرَّفُهُ حيث تتصرف العينان »[2] .

وفي المثال الأخير شبه الإبراهيمي " الأحزاب بالميزاب " محاولة منه في نصح الشباب وابتعادهم عن التحزّب ليرسمَ لهم بريشة اللّغة مشهدا مرئيا معروفا عند كل الناس ، فيتجه القارئ من خلال هذا التشكيل اللّغوي إلى معرفة الإيحاءات البصرية و المقاصد التي ترمي إليها ، فيتواصل المتكلم مع القارئ عبر استحضار مشهد الميزاب وطريقته في تجميعه للماء بنوعيه الصافي و الملوث ثمّ يبدأ في تفريق هذا الماء هدرًا بلا غير فائدة ونفع ، وبعد ذلك يحدد أوجه الشبه بين الميزاب والأحزاب ليصل إلى أنّ الأحزاب همّها الوحيد هو التجميع والتكثير بلا إصلاح لأحوال المجتمع .

---

[1] صلاح فضل ، قراءة الصورة وصورة القراءة ، دار الشروق ، القاهرة ،ط01 – 1997 ، ص 34.

[2] الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 127.

و إنّ ما يضمن لهذه المشاهد المرئية حجاجيتها تلك الدينامية المتسارعة من قبل المتلقي في تقليب المشاهد الواحد تلوَ الآخر حتى يصل إلى المضمر المرجُوِّ من الصورة التشبيهية ؛ لأنّ البناء المشهدي عند الإبراهيمي يتأسس بواسطة الخيال الذي يصنعه في ذهنيته؛ بحيث تعمل التشكيلات اللّغوية على إيهام المرسَل إليه وتحفيزه للتفاعل مع المبدع ، و بعدها تتنحى اللّغة الواصفة تاركةً المجال أمام المشهد ليُجسِّدَ ويترجمَ أبعادها فيتحول المتلقي حينئذٍ إلى مُشاهدٍ[1] ، إضافة إلى إعمال الصور الذهنية؛ لأنّ الذهن يرتكز في كثير من استنتاجاته على الحواس ، وعليه تكون الحواس مجتمعة معا في عمليتي القراءة و التأويل[2] .

وختاما نخلص إلى أنّ التشبيه عند الإبراهيمي قد وُظِّفَ لأغراضٍ إقناعيّةٍ من الدّرجة الأولى ثمّ بعد ذلك تأتي الأغراض الجمالية والإمتاعية ، لأنّه كما رأينا في تحليلنا لهذه النّماذج ، أنّ المتكلم قد فرض على المرسَلِ إليه سيطرة خفية غير مباشرة تتمثل في إلزامه لسلوك مساراتٍ استدلالية وتأويلية متضمنة في جمالية التشبيه الموظَّفِ بأسلوب بارعٍ في مكانه المناسب ، وقد ساعد التشبيه هنا في إقامة معبر أو جسر يلتقي فيه المرسِلُ والمتلقي في عملية تواصلية تفاعلية تتراوح بين الاعتراض و القبول للحجج ، كما خلقت الصور التشبيهية مشاهدًا أتاحت للمتلقي الارتحال والسّفر إلى عوالم لا يمكنه الوصول إلى تذوق متعتها لولا التشبيه ، لذا تعد محاولته في الوصل بين المشاهد وبين الدلالات المتضمنة نوعا من الاستراتيجيات الخفية التي تضمن الإقناع .

المبحث الثاني : البديع من الجمالية إلى الإقناع في مقالات الإبراهيمي .

يعتبر البديع ركيزة أساسية ترتكز عليها النصوص الإبداعية ، إذ له ميزتان في النص؛ ميزة تتعلق بالجانب الشكلي التزييني المتعلق بالإيقاعات الداخلية والخارجية للنص فيجعل من القارئ منسجما مع تلك النغمات والنوتات الموسيقية متمتعا بها بحيث لا يحصل له الملل، وبهذا المعنى عرفه

---

[1] ينظر: حبيب مونسي ، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، 2003 ، ص 26.

[2] ينظر: علي البطل ، الصورة الشعرية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، بيروت، ط01 – 1980 ، ص 26.

البلاغيون القدماء بأنّه « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ، وهذه الوجوه ضربان؛ ضرب يرجع إلى المعنى ، وضرب يرجع إلى اللفظ»[1].

وهو التعريف الذي ذهب إليه ابن خلدون (ت:808هـ) في قوله: « إنّه النظر يتزين الكلام وتحسينه بنوع التنسيق ، إمّا بسجع يفصله ، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو تورية عن المعنى المقصود لإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد ، وأمثال ذلك »[2].

بهذه التعاريف يظهر أنّ للبديع وجها جماليا يعنى بالجانب الشكلي للألفاظ ، لكن ما تغافلت عنه هذه التعاريف الميزة الثانية للبديع المتعلقة بالجانب الإقناعي فيكون بذلك البديع صيغة مستثمرة تتوسل الاستمالة والإقناع.

فيكون للبديع بهذه الطريقة جانب تداولي يرتكز في أساسه على الجانب الجمالي وقد نص على هذا المعنى البلاغيون والنقاد المعاصرون حيث « أصبح للبديع أفق جديد يمكن استشرافه من منظور اللسانيات وهو فاعلية في ربط أجزاء النص »[3]، فمن هذا المنطلق يظهر دور البديع بكونه عنصرا فعالا في ربط أجزاء النص وتماسكه ربطا له علاقة بالنسق الداخلي فيرتبط السابق باللاحق ارتباطا إيقاعيا ومعنويا.

نحن الآن أمام وظيفتين للبديع إحداهما جمالية شكلية تركز على استمالة المتلقي والأخرى حجاجية غايتها الإقناع ، فتتكون لنا نظرة البلاغة بمفهومها العام (الإمتاع والإقناع)؛ إذ يحمل

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح إبراهيم شمس الدين، ص 255.

[2] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح عبد السلام الشدادي، ج5، ص302.

[3] جميل عبد المجيد، بلاغة النص (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص15.

البديع عنصر « الغرابة التي تنتج لمخالفة السائد بشيء من الطرافة التي يمنح فيها المتلقي ما لم يمنحه له هذا النص »[1].

و لا يلجأ المتكلم إلى الوسائل البديعية إلا لغرض مقصود ومحدد وهو تحريك همة المتلقي وجعله متفاعلا معه.

1 – السجع ودوره في الإقناع:

إذا نظرنا في خطاب البشير الإبراهيمي عامة نجد الصور البديعية والزخرفة اللفظية طاغية على مقالاته وكتاباته ومن ذلك قوله في مقال موسوم بعنوان " ثلاث كلمات صريحة" « العلمَ العلمَ أيّها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ، ينفخ في ميزاب ، ولا داعية انتخاب في المجامع صخاب ، ولا يلفتنّكم عنه معلِّلٌ بسرابٍ ، ولا حاو بجراب ، يأتمٌّ بغراب ، ولا يفتننّكم عنه مترٍ في خنقةٍ ، ولا ملتوٍ في زنقةٍ ، ولا جالسٌ في ساباطٍ على بساطٍ ، يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط، فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاّب وساحرٌ كذّابٌ ، إنّكم إن أطعتم هؤلاء الغواة،وانصعتم إلى هؤلاء العواة ، خسرتم أنفسكم ، وخسركم وطنكم ، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا ، ولات ساعة ندم »[2].

يبدأ الإبراهيمي كلماته هذه بوصيته للشباب بالعلم ، وقد حذف الفعل في الأول ويقدر بقولنا " الزموا" أي الزموا العلم ، فيكرر الابراهيمي كلمة العلم مرتين لشد انتباه الطلبة إليه ويهيؤهم للخطاب اللاحق ، لكن مما يَظهرُ للإبراهيمي في ذلك الوقت أنّ الشباب يزيغون عن طلب العلم إلى طلب السياسة والدخول في الحزبيات فيرفع الإبراهيمي الخطاب إلى أعلى مستوياته الصوتية والإيقاعية فيتأنّق في اختيار الألفاظ فيسجعها أو يجانس بين فواصلها فيراعي بذلك جودة

---

[1] زروقي عبد القادر، حجاجية البديع (استدلال منطقي أم إقناع بلاغي) ضمن أعمال الملتقى الدولي: مباحث الحجاج بين التنظير والإجراء (بحوث علمية محكمة في الحجاج) تنسيق مفلاح بن عبد الله، منشورات مختبر اللغة والتواصل 2015 ص99.

[2] الابراهيمي، عيون البصائر ص: 350،351.

التحرير والتعبير ، ليبتغي بذلك أسباب الإقناع والتأثير في نفوس طلبة العلم ، حتى تستقر وصيته في نفوسهم ويجتهدوا في طلب العلم.

جاءت هذه الأساليب البديعة في هذه المقطوعة في خضم تحذير الإبراهيمي من الوقوع في الحزبيات والابتعاد عن العلم ، فكان لا بد له أن يتوخى فيها اصطياد واقتناص مواطن التأثير في المتلقين ، يبدأ مسجعا ومجانسا بين فواصل المعاني بحرف الباء ، بحيث لا تجد لنفسك مشقة وأنت تقرأ، (أحزاب ، ميزاب ، انتخاب ، صخّاب ، سراب ، جراب ، خراب ، غراب).

ثمّ ينتقل من حرف الباء منوعا في الإيقاع الموسيقي بحرف القاف مع هاء السكت (خنقة، زنقة). وهكذا يعيد تغيير النوتة الموسيقية إلى حرف الطاء (ساباط، بساط، الأسباط)، ويعيد الكرة مع حرف الباء (خلاب، كذاب، ثم حرف التاء (الغواة، العواة) وبعدها حرف الميم (أنفسكم،وطنكم، ندم) ستة أحرف مسجوعة ومتجانسة يأتي بها الإبراهيمي في هذه العبارة فلعمري كأنه يأخذ بيد المتلقي ليسافر معه إلى ستة عوالم مختلفة ، فيدخل المتلقي مع المرسل في عملية وجدانية تفاعلية تغوص بهم في أعماق تلك العوالم ، فلا يحس القارئ بأيّ تكلف في العبارة بل هو جار مجرى الطبع نظرا لما عرف به البشير الإبراهيمي من بلاغة وفصاحة لسان.

يمكننا القول أنّ الإبراهيمي اعتمد السجع هنا كحجج ليدعم النتيجة من مضمون كلامه وهي الحرص على طلب العلم.

و يفرض الإبراهيمي على المتلقين إيقاعا موسيقيا يجعلهم منبهرين مندهشين من صرامة الصوت وتقلباته لكن سرعان ما تتطور هذه الوظيفة الإيقاعية إلى وظيفة أخرى من أجلها وجد هذا النغم وهي التي ترمي إلى « تنشيط ذهن السامع وطرد السآمة ، والإسهام في إيضاح المعاني وزيادة الإفادة »[1].

[1] إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1- 1996 م ، ص 264.

وقد وُظِّفَ السجع في هذه العبارات بطريقة تخدم المعنى وتظهره بطريقة فريدة فكل لفظ له علاقة تراتبية مع الآخر فانظر إليه حين يقول : "لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ، ينفخ في ميزاب ولا داعية انتخاب ، في المجامع صخّاب "، يبين هذا أنّ لكل حزب سماسرة ودعاة في المحافل لتجميع وتكثير الناس حولهم ، ثم يقول " ولا يفتننكم عنه مترو في خنقة ، ولا ملتو في زنقة" فيُفهَمُ من هذا المعنى أنهم يتربصون بطلبة العلم الدوائر ، "ولا جالس في ساباط على بساط يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط"، فغاية كل حزب التجميع ، واستحضار المتلقي لمعنى كلمة الأسباط والتي تعني أولاد يعقوب وأنّ كل واحد منهم أنجب أمة فسموا بالأسباط لكثرة أحفادهم ، تحصل له فائدة مقصودة من هذا السجع وهي هم الحزبيين كله هو التكثيف.

إنّ المتأمل لهذه العبارة يجدها أبعد ما تكون عن التكلف والصنعة ، فيشعر المتلقي بأنّ العبارات والألفاظ تنساب كمياه الجدول داخل النص لا يعوقها عائق، وهذا كله بفضل الموهبة التعبيرية للكاتب « فتتجلى القيمة الفنية التي لا يفصلها أدنى فاصل عن القيمة النفعية في أدب الإبراهيمي »[1].

وفي مقال آخر للإبراهيمي مختار للدراسة بعنوان" الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر "في هذا المقال يعطي الإبراهيمي القدوة للشباب الجزائري ويرفع من هممهم حيث يقول « أتمثله حلف عمل ، لا حليف بطالة ، وحلس معمل ، لا حلس مقهى ، وبطل أعمال ، لا ماضغ أقوال ومرتاد حقيقة ، لا رائد خيال »[2].

يجمع الإبراهيمي بطريقة فنية وذكية بين السجع والطباق ، ويعتمد على هذا التدعيم المتمثل في تلك الفواصل المسجوعة والثنائيات المتقابلة ، إذ يمكن اعتماد كل واحد من هذه المقاطع حجة يبني عليها المتكلم أطروحاته.

---

[1] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا ص 350.

[2] الإبراهيمي عيون البصائر ، ص 586.

ح1: أتمثله حلف عمل، لا حليف بطالة. ح2: وحلس معمل، لا حلس مقهى، ح3: وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال، ح4: ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال.

النتيجة: شاب مثالي صالح ونافع للمجتمع.

لقد ركز " المرسل" على هذا المحسِّنِ، لا لغرض الزخرفة والتنميق وحدها ، بل أيضا من أجل بلوغ مرامه الإقناعية ، فتلتقي بذلك بلاغة الإقناع والإمتاع معا وهذا لب ما ترمي إليه البلاغة الجديدة.

2 – الطباق :

أكثر البلاغيون القدامى الكلام عن مصطلح الطباق وما له من دور في تزيين الكلام والتأثير في المتلقي ، وتكمن وظيفة الطباق الإبلاغية والتأثيرية ، إذا وظف بطريقة حسنة يراعى فيها خدمة المعنى وهذا ما أورده حازم في منهاجه بقوله: « وذلك بأن يوضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعا متلائما »[1] ، فيظهر من خلال هذا أنّ التلاؤم شرط أساسي يحاول كل متكلم إقامته ولا يتأتى هذا الأمر إلاّ للبلغاء وأرباب الكلام.

وسنحاول في هذه المرحلة الكشف عن الجوانب الحجاجية في الطباق من المقالات المختارة للدراسة.

ونبدأ بمقال موسوم بـــ " الأديان الثلاثة في الجزائر " ، حيث يتحدث الإبراهيمي في هذا المقال عن الإسلام ، والنصرانية ، واليهودية ، ولا شك أنّه يحاول الانتصار للدين الإسلامي.

فيقول : « .. أمّا الإسلام فهو أوثقها اتصالا بالأصول السماوية ، وأوسعها امتدادا مع التاريخ وأبقاها أثرا في صحائفه ، وأعمقها تأثيرا في نفوس معتنقيه لملاءمة روحه روحهم ، ولمناسبة الفطرة فيه وفيهم ، ولأنّ تأثرهم به كان عن اقتناع لا عن إكراه »[2]، فمحل الشاهد من هذه العبارة "**اقتناع، إكراه**"، يذكر الإبراهيمي هاتين اللفظتين المتباينتين معنويا بعد أن انتصر للإسلام وعدّد

---

[1] حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 48.

[2] الإبراهيمي ، عيون البصائر ص 61 .

كثيرا من مناقبه ومحاسنه ، فكأنّه أراد لهذا الطباق أن يكون في الأخير ليكون الورقة الرابحة التي تدعم الحجج السابقة ، فيكون بذلك الحجاج تصاعديا من الحجة الأولى إلى غاية الطباق وسنمثل ذلك بهذا السلم الحجاجي على النحو الآتي :

ن : الإسلام هو دين الله الحق ولن يتخلى عنه الجزائريون.

ح5 ← ولأنّ تأثرهم به كان عن اقتناع لا عن إكراه.

ح4 ← ولمناسبة الفطرة السليمة فيه وفيهم.

ح3 ← أعمقها تأثيرا في نفوس معتنقيه لملاءمة روحه روحهم.

ح2 ← وأوسعها امتداد مع التاريخ.

ح1 ← الإسلام فهو أوثقها اتصالا بالأصول السماوية.

يأتي الطباق في هذه العبارة في أعلى درجة السلم الحجاجي، لأنّ « كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون الدليل الذي يعلوه أقوى منه بالنسبة للنتيجة »[1].

وتبرز فطنة وذكاء الإبراهيمي في اختياره لهاتين اللفظتين، اقتناع ≠ إكراه فقال اقتناع و لم يقل إقناع ، والبون شاسع بينهما ، فالاقتناع يكون من قبل المقتنع بسبب ما يراه من أمور حسنة وجيدة في الدين الإسلامي ، تساير الفطر السليمة وبسبب ما يراه من عدل الإسلام و إحسانه للأديان الأخرى ، وبسبب ما يراه من ظلم وطغيان وجور من الأديان الأخرى ، فيعتنق هذا الدين بكل سهولة ويسر من دون أن يكون له داع يدعوه إليه.

أمّا الإقناع فيكون من قبل الخصم الذي يدافع الآخر بالحجة بغية أن ينضم إليه أو يجعله يتبنى أطروحاته فالاقتناع شيء والإقناع شيء وبهذا يتبين الفرق وتظهر الملاءمة في اختيار المتكلم لهذه الكلمة ، فتكون المطابقة في هذه الحالة حجة يراد من خلالها الإقناع فبالتضاد تبرز المعاني وتتضح لدى المتلقي.

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ص21.

وفي مقال آخر للإبراهيمي بعنوان "اللّغة العربية في الجزائر، عقيلة حرة ليس لها ضرة"،يقول فيه : « اللّغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة ، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها ، وهي ممتدة الجذور مع الماضي ، مشتدة الأواخي مع الحاضر ، طويلة الأفنان في المستقبل »[1].

ومحل الشاهد من هذه العبارة " الماضي، الحاضر، المستقبل"، يرسم لنا المتكلم بهذا الطباق خريطة زمنية مرت عليها اللّغة العربية في هذا الوطن وأنّها ستمتد إلى المستقبل ، يُحسِنُ الإبراهيمي اختياره لهذه الألفاظ الزمنية المتباينة؛ فهي تؤدي دلالة قوية تستقر في ذهنية المتلقي؛ حيث بدأ الإبراهيمي من الماضي وأنّ هذه اللّغة ليست وليدة اللّحظة في هذه البلد معرجا على الحاضر متجاوزا الآفاق متطلعا ومستشرفا حالتها في المستقبل وسنمثل لهذه الألفاظ بسلم حجاجي:

ن: اللغة العربية هي اللغة الأصلية الباقية

ح3 ↑ طويلة الأفنان في المستقبل .

ح2 ↑ مشتدة الأواخي مع الحاضر.

ح1 ↑ ممتدة الجذور مع الماضي.

بهذا الطباق يؤكد المتكلم على حالة اللّغة العربية في الجزائر بأنّها ستكون حاضرة في المستقبل لا تنافسها في ذلك لغة ، فتبعث الطمأنينة في نفسية المتلقي.

3 – المقابلة :

إنّ المقابلة وجه بلاغي أوسع من الطباق تقوم على التقابل والتضاد المركب ، فهي قائمة على التضاد بين الجمل ، فتتجاوز المقابلة العلاقة العكسية لتظهر شيئا آخر هو تلاؤم العبارتين مع بعضهما ، فتصير بذلك أداة ينسجم بها النص.

يختار المتكلم التعبير بالمقابلة لأنّه يرى فيها ترسانة من وسائل الإقناع ، فهو عندما يضع الألفاظ ويرصفها مع بعض بما يقابلها ، لغرض مقصود ومحدد هو أسر المتلقي وشد انتباهه ، ومن

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص221.

أمثلتها في كلام الإبراهيمي ما قاله: « أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور، محجاما عن الصغائر في غير جبن »[1].

يقابل الإبراهيمي في هذه العبارة لكل كلمة بضدها (مقداما) (محجاما) (العظائم) (الصغائر) و (في غير تهور) (في غير جبن).

وفي هذه المقابلة معاني سامية ومنهج حياة مستقيم أراد المخاطب أن يوصل رسالته للشباب عبر قناة المقابلة ، وبفضل هذا التضاد استطاع الاستحواذ على المتلقي ليقع تحت أسر الإيقاع الصوتي من خلال التوازي الحاصل بين المفردات (مقداما) (محجاما) فهي على وزن وإيقاع واحد (مفعال) وكلمتي (العظائم) (الصغائر) فهي على وزن (مفاعل) فيكون هذا الوزن والإيقاع علامة لصناعة الشكل وتجويده فيجود بذلك المعنى.

4-براعة الاستهلال ودورها الحجاجي في المقالات :

تعد براعة الاستهلال بابا مهما من الأبواب البديعية في استمالة المتلقي ولفت انتباهه وشد تركيزه لفحوى الخطاب ، بحيث يجعل المتكلم « أول الكلام رقيقا سهلا ، مستقلا عمّا بعد مناسبا للمقام ، بحيث يجلب السامع إلى الاصغاء بكليته ، لأنّه أول ما يقرع السمع »[2].وتفطن أرسطو في كتابه الخطابة بمكانة حسن الابتداء وجعله مناظرا للمطلع في الشعر الدرامي أو الافتتاحية في قطعة معزوفة على الناي[3] ، لأنّ براعة الاستهلال تجعل المتلقي في خضم موضوع الخطاب بإزالة الإبهام والغموض .

وقد تنبه القدماء لأهمية البنية الافتتاحية الكامنة من وراء براعة الاستهلال ،وهي « أن يأتى الناظم أو الناثر فى ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدلّ على مراده فى القصيدة أو الرسالة أو معظم

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ص 586.

[2] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع ،دار ابن خلدون ،د-ط ،د-ت ،ص 341 .

[3] ينظر : أرسطو ،الخطابة ،تر عبد الرحمن بدوي ، ص230 .

مراده؛ والكاتب أشدّ ضرورة إلى ذلك من غيره لِيُبتَنَى كلامه على نسق واحد دلّ عليه من أوّل علم بها مقصده »[1].

وتكتسب براعة الاستهلال أهميتها بسبب تلك الديباجة التي اهتم بها صاحب الخطاب من أجل الوصول إلى قصوده وأغراضه وهي تدل على براعة المتكلم وتمكنه من استعمال أدوات اللّغة لأنّ المتحدث الجيد يستطيع أن يثبت حضوره وشخصيته من بداية نصه .

والواقف على البنيات الأسلوبية للافتتاحيات في مقالات الإبراهيمي يلمس قوة كامنة متمثلة في دقة اختيار المفردات ، مع انسجامها داخل المستوى التركيبي الذي تشكلت فيه مع القوة الدلالية الكامنة بداخلها ، كأن تُلمح أو تشير إلى فحوى الخطاب ومضمونه ، وتتسع هذه البنية لتصل إلى نهاية الخطاب و خاتمته ، لأنّ حسن الابتداءات تقتضي أيضا حسن التخلص ، مما يحقق للنّص الالتئام والانسجام أو التماسك النصي بين البداية والنهاية ، ونريد في هذا العنصر من الدراسة الوقوف على تلك البنى الافتتاحية لمعرفة قصود المتكلم وأغراضه منها مع الوقوف على خصائصها الأسلوبية ، وكيف يصل بها المتكلم إلى الاستمالة والتأثير والإقناع .

ومن أمثلة البنى الافتتاحية التي يحاول فيها الإبراهيمي كشف سياسة المستعمر وبطلانها وزيفها إذ يفتتح المقال قائلا : « للسياسة في جميع بلاد الله وعند جميع خلقه معنى محدود وقارٌّ في حيزه من الادراك ، إلاّ في هذه البلد وعند حكومته الاستعمارية وساسته المقلدين فإنّ معناها غير محدود ولا مستقر ، يتسع إلى أقصى حدود الاتساع ، فيحمل ما قارب وما باعد ، وما جانس وما خالف ، وما اطردَّ وما شذّ ، ويضيق إلى أقصى حدود الضيق ، فتلتوي مسالكه ، وتنْسَدُّ

---

[1] أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ،ط1- 1423 هـ ، ج7 ، ص 133.

مجاريه ، وتتهافت أقيسته ، ولا يتبين فيه مورد من مصدر ، كل ذلك بالتّبع لأهواء الاستعمار المتباينة ، وأهويته المتناوحة ؛ و الاستعمار كله رجس من عمل الشّيطان »[1].

جاءت هذه المقدمة الاستهلالية تابعة لعنوان المقال "جمعية العلماء موقفها من السياسة والساسة" ولا شك أنّ الإبراهيمي يريد أن يفضح أساليب الاستعمار وسياساته التلاعبية بالقوانين وليضع المتلقي في جوّ هذه الألاعيب بدأ بذكر مُسَلَّمة معلومة عند جميع النّاس في تعريفه للسياسة بأنّها محدودة وثابتة المعنى في جميع البلدان ، فيكون بذلك أضاف للمتلقي معلومة يرتكز عليها ليحكم بنفسه على سياسة المستعمر في الجزائر .

مع هذا التعريف الذي تشترك فيه جميع البلدان في معنى السياسة يستثني المتكلم السياسة في الجزائر بأنّ لها معنى مخالف تماما ، ثم يطنب الإبراهيمي مستندا على مجموعة من المحسنات اللفظية التي تقرع أذن السامع لتوقظ فيه الهمة ، لهذه الطريقة المغرقة في الإطناب تأكيد من المرسل على تهيئة المتلقي نفسيا بإثارة انفعالاته وحماسته ، حتى تتكون عنده فكرة سيئة عن سياسة المستعمر تبعث فيه روح الرفض و العصيان .

وتكمن الوظيفة الإقناعية في هذه المقدمة الاستهلالية بسبب المشهد التصويري الذي كون لدى المتلقي أفكارا سيئة تجعله يتفطن لمكر المستعمر ، ثمّ إنّ من البنى الافتتاحية لهذه المقدمة ذلك الإجمال الذي يعد نوعا من الاستراتيجيات التي يعتمدها المتكلم لشد انتباه المخاطَب ، بحيث يكون بسط الموضوع في عرض المقال حتى يضمن من المتلقي متابعته إلى خاتمة النص .

ومجمل القول في هذا الفصل أنّ صاحب الخطاب عندما ينحو منحى الحجاج الخارج عن إطار البرهان وصرامته ، فإنّه يحتاج لبدائلَ أخرى غير صورية تجعل من كلامه حجة على غيره وهذا ما توفره اللّغة للمتكلم ؛ لأنّ القارئ لا يحسُّ ولا يشعر عندما تقرع أسماعَه الحججُ بأنّ المخاطِب يريد إجباره على تحمل اعتقاد معين و اتباعه ، بل يسلك به مسارات استدلالية تأويلية

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 38 .

يبحث فيها عن المخبوء الضمني ؛ مما يحمل المتلقي الوصول إلى الأغراض و النتائج بنفسه ، فيصبح حينئذٍ عضوًا فاعلا في العملية التواصلية ، ويكون بذلك قارئا منتجا ومبدعا لا مستهلكا.

وكل هذا بفضل الخصائص التي تمتلكها الصورة البلاغية ، بالإضافة إلى البناء الشكلي للجمل التي يراعي فيها الإبراهيمي في مقالاته حسن الموازنة بين الفواصل مع حسن التخلص وبراعة الاستهلال التي تجعل المتلقي ينصاع للحجة انصياعًا وهو في غاية المتعة .

الفصل الرابع :

البعد الحجاجي لآليات اللّسانيات التداولية .

المبحث الأول : الروابط الحجاجية ودورها في ترتيب الحجج .

المبحث الثاني : الاستلزام الحواري ووظائفه الحجاجية .

المبحث الثالث : البعد الحجاجي الكامن في أفعال الكلام .

حاولنا في هذا الفصل الدمج بين الحجاج التداولي الذي يركز على أبنية اللّغة في داخلها المتعلق بالاتساق والانسجام النصي ، من خلال الروابط المنطقية التي تجمع بين الجمل والتراكيب لتستجلي بذلك الحجج ، وبين الحجاج التداولي المتعلق بأدوات وإجراءات التداولية التي وضع قواعدها سيرل وغرايس تحت ما يسمى بالاستلزام الحواري و الأفعال الكلامية ، وقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث لنعالج هذه القضايا.

المبحث الأول : الروابط الحجاجية ودورها في ترتيب الحجج .

إنّ أيّ خطاب يعتلي عرش البلاغة وتكون غايته الحجاج والإقناع ، هو ما أحسن فيه صاحبه توظيف الروابط الحجاجية في نصه؛ لأنّ الخطاب يقوم على أنظمة لغوية تربط بين دلالاته وتراكيبه والسّياق هو الذي يحدد توظيف رابط دون آخر ، ونريد أن نقف على تلك الشحنات الحجاجية وفحصها داخل السياق ، وسنقف أولا على تحديد مفهوم الرابط الحجاجي.

1- مفهوم الروابط والعوامل الحجاجية:

ذهبت معاجم اللّغة العربية إلى أنّ معنى جذر "ربط" هو الشدّ ، والثبات والتوثيق والعلاقة[1] أمّا في الاصطلاح وخاصة في معجم تحليل الخطاب[2] في مادة رابط (connecteur) يتضح أنّ مفهومه ما ورد في مدخل (Mot) بالموسوعة المنهجية للقرن الثامن عشر ، يضع (ن، بوزي) أدوات الربط في القسم الذي سمّاه «الكلمات الخطابية» وهي وحدات تربط بين الأقضية وروحه وحياته.

يظهر بهذا التحديد للمصطلح الأهمية البالغة التي يحتويها الربط في تماسك النّص وقوته لكونه يمثل الجمع بين الجمل بطريقة تخدم المعنى لأنّه لكل رابط دلالة ووظيفة يحددها السياق المقامي للتخاطب ، وهذا ما دعا إليه عبد القادر الجرجاني قديما قائلا: « فليس الفصل للعلم بأنّ الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ ، وثمّ بشرط التراخي ، وإنّ لكذا ، وإذا لكذا ولكن لأن

---

[1] ينظر : أحمد بن فارس الرازي مقاييس اللغة ، تح عبد السلام هارون ، دار الفكر 1979 مادة ربط ج2 ص478 .

[2] باتريك شارودو و دومينيك مانغونو ، معجم تحليل الخطاب ، ت عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، دار سيتارا ، تونس، د.ط 2008، ص 124-125

يتأتى لك ذلك إذا نظمت شعرا وألفت رسالة ، أن تحسن التخيُّرَ وأن تعرف لكل من ذلك موضعه »[1].

فالاستعمال اللّغوي للربط داخل النّص هو الذي يحدد قوة الخطاب وجاهزيته للتواصل والإقناع ، فإذا استعمل بطريقة حسنة جيدة ، حصلت بذلك فائدة الخطاب أمّا إذا وظِّف بطريقة سيئة؛ بمعنى لم يتخير المتكلم الرابط الصحيح في المكان المناسب ترى في النص حالة من عدم الانسجام والهزالة.

ومن التداوليين الذين تناولوا قضية الروابط (ديكرو Ducrot) حيث انتبه للأهمية البالغة التي تحدثها هذه الروابط داخل النص في مقاله المعنون بـــ (operateurs argumentatifs et vise argumentatives) ويقصد بالربط (les connecteurs) « الوحدات اللغوية المورفيمات التي تقيم علاقة بين جملتين ، وقد يتعلق الأمر بالظروف (adverbes) (مع ذلك رغم،...) والعطف (coordination) (و، ف، ...) والاتباع ، الصلة (subordination) (لأنّ، بما أنّ، ...)، فهذه الأدوات تؤدي دورا ذا بال من حيث أنّها تضفي الاتساق على النّص»[2].

وهناك نوعان من الأدوات الحجاجية:

الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية (les operateurs) أمّا الأولى « فتربط بين قولين أو حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة ويمكن التمثيل للروابط الحجاجية بالأدوات التالية : لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأنّ، بما أنّ ...»[3].

---

[1] الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 250.

[2] دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ت محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص26.

[3] أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعنه ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 134، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006 ص 64.

والثانية هي التي « لا تربط بين متغيرات حجاجية ، أي بين حجة ونتيجة ، أو بين مجموعة حجج ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما ، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما إلا وجل أدوات القصر »[1].

فالروابط الحجاجية هي أدوات ووحدات ذات دلالات نحوية تصل بين معان متعددة محققة بذلك اتساق النص وانسجامه فتظهر فاعلية الخطاب و قوته التأثيرية في المتلقي إن كان في سياق الحجاج.

2- مقاربة لأهم الروابط في مقالات الإبراهيمي:

لكـــــن :

هي رابط حجاجي يربط بين قضيتين وهي تفيد الاستدراك وهو « تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام ، التي ترد على الذهن بسببه ، وهو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي »[2].

فاستعمال لكن الاستدراكية يكون بسبب إزالة اللبس والوهم واجتنابه فـــ « كأنّك لما أخبرت عن الأول بخبر ، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك ، فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابا ولا بد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك »[3] وبما أنّ لكن تستدرك الخبر فيكون ناقضا للحكم الأول فلا بد أن يكون ما بعدها أعلى في درجات السلم الحجاجي .

ومن أمثلة هذا ما جاء في نصوص المقالات تحت عنوان « الأديان الثلاثة في الجزائر » قوله: « إنّ الإسلام ضرب الخراج على الأرض ولكنّه لم يخرج أهلها غصبا ، وضرب الجزية على الرقاب، ولكنّه حماها من الظلم وفتح لها باب العلم»[4] ، يدافع الابراهيمي في هذا المقال عن

---

[1] أبو بكر العزاوي ، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، ص 64.

[2] عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف، مصر، ط04، ج3 ص 616.

[3] موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنبرية بمصر، ج8 ص80.

[4] الإبراهيمي ، عيون البصائر ص 62، 63.

الإسلام ويقارنه باليهودية والنصرانية فلا بد له أن يستعين بذلك على ترسانة من وسائل الإقناع والتي من بينها لكن التي جاء بها في هذا المثال.

يقرر الإبراهيمي أنّ الإسلام فرض الخراج على أهل الأرض ممن كانوا تحت حكم المسلمين من غير ملة الإسلام ، وهذا الفعل للوهلة الأولى تظهر فيه معاني الظلم والاستبداد إلاّ أنّ المتكلم يستدرك على الحكم الأول بالرابط الحجاجي لكن « لكنّه لم يخرج أهلها غصبا» وقرر أيضا أنه فرض الجزية على الرقاب، والجزية كما هو معلوم تقطع وتأخذ من أيدي الكفار فترد على خزينة الدولة ، فيظهر لذلك أنه أخذ لمال الناس بغير حق ، إلا أنه استدرك الأمر بلطيفة جميلة «لكنّه حماها من الظلم ، وفتح لها باب العلم » ، فتضرب الجزية على الكفار بسبب الحماية لهم.

وسنمثل للقوة الحجاجية الكامنة في هذا الرابط الحجاجي بهذا الشكل:

ن الإسلام مثل اليهودية والنصرانية — ن: الإسلام دين الرحمة

ح1: الإسلام ضرب الخراج على الأرض ≠ لكنه ← ح1 لم يخرج أهلها غصبا.

ح2 وضرب الجزية على الرقاب ≠ لكنه ← ح2 حماها من الظلم وفتح لها باب العلم.

يمثل هذا المخطط القدرة الحجاجية للرابط "لكن" بحيث تمكن من نسخ النتيجة الأولى في ذهن المتلقي وأثبت النتيجة الثانية بأنّ الإسلام هو دين الرحمة والتسامح وأنه لم يفرض هذه الأمور إلا لحماية الذميين وسهولة تعايشهم مع المسلمين بسلام.

ومما يصل إليه القارئ عن طريق الاستلزام الحواري أنّ الأديان الأخرى النصرانية واليهودية تفرض هي كذلك الخراج والجزية على المسلمين لكنّها فوق ذلك تطغى وتظلم وتجور، فيصل إلى نتيجة حتمية بأنّ الإسلام هو الأفضل لها.

و قول آخر في مقال بعنوان « ماذا نريد لها وماذا يريدون» يعني بها فلسطين قوله: « ونريد لها أن تبقى -كما كانت- جزءا طبيعيا من جزيرة العرب مكملا لبقية الأجزاء ، وما دامت القضية قضية أحلام ، فإنّ لنا في جزيرة العرب لحلما... ولكنّه أقرب من حلم اليهود للتحقيق »[1].

جاءت "لكن" في كلام الإبراهيمي لتفيد شيئين، الأول إثبات لدخول العرب لفلسطين وتحقق حلمهم من تحقيق دولة إسلامية عربية وهزيمة اليهود ، والثاني هو دحض لعدم قيام حلم اليهود بقيام دولة إسرائيل في أرض القدس المقدسة.

استطاع الإبراهيمي ببراعة في هذا المثال أن يثبت حكمين وينسخ حكما آخر بواسطة الرابط الحجاجي «لكن»؛ بحيث تظهر العلاقة الموجودة بين الجملتين التي تتوسطهما «لكن» فأثبتت تحقق الحلم بالنسبة للعرب ونسخته بالنسبة لليهود ، ولا يتحقق هذا الحلم إلا بهزيمة الكيان الصهيوني.

ويمكن التمثيل لها بهذا المخطط التوضيحي:

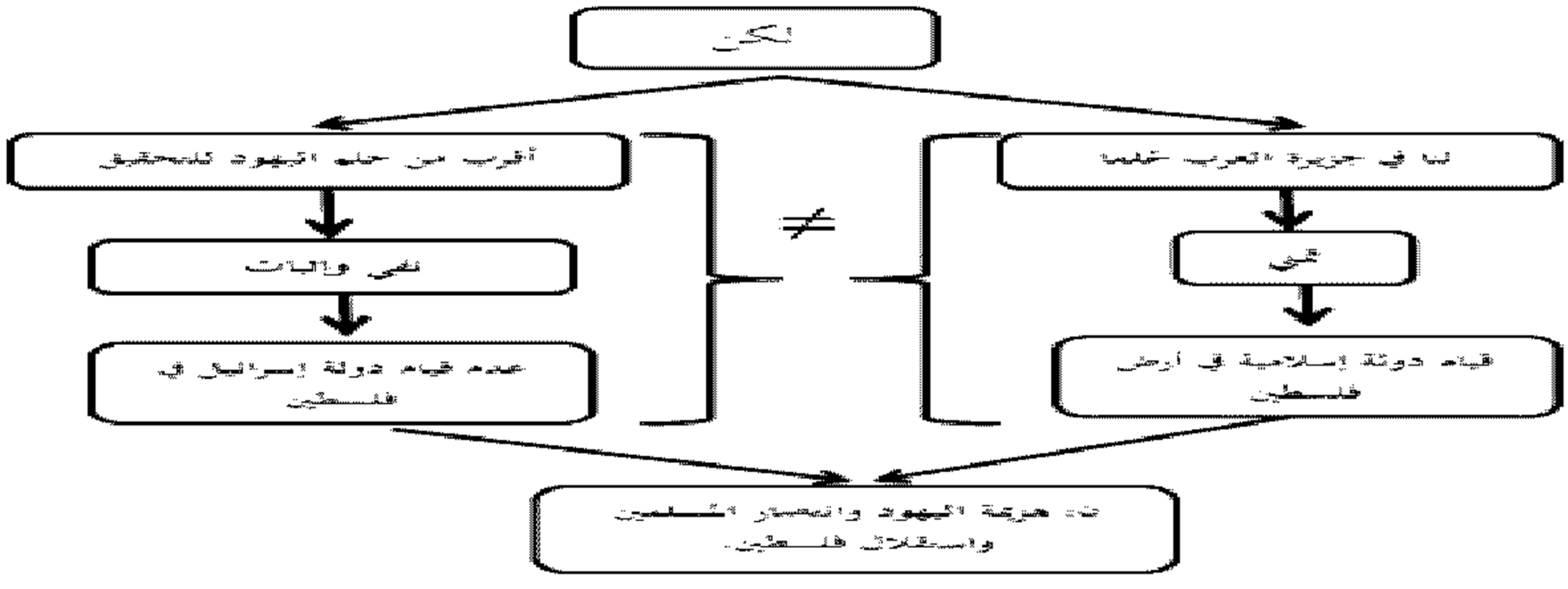

يصل المتلقي عن طريق الاستدراك بـــ«لكن» إلى هاتين النتيجتين لأنّ الجملة بعدها تعد أقوى حجاجيا من أختها.

وللتعارض الحجاجي الذي وقع بين القولين اللذين تتوسطهما «لكن» فإنّ المتلقي سيتوجه نحو الحجة والقول بعد «لكن» لأنّ المخاطب قد عدل عن الحجة الأولى إلى الثانية وعارضها

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص505.

ولأنّها هي التي تحمل النتيجة المتضمنة في الخطاب والتي يصل إليها المتلقي عن طريق الاستلزام الحواري لأنّ في هذا المثال كلام مصرح به متمثل في تحقق حلم العرب قبل حلم اليهود فينشأ عن هذا التصريح علاقات استدلالية تصل إلى الضمني من الخطاب وهو لا يمكن تحقق الحلم إلا عن طريق هزيمة المسلمين لليهود.

- بـــــل:

وهي أداة ربط بين قولين ومعناها « الإضراب عن الأول والإثبات للثاني »[1] وتكمن حجاجيتها في أنّ المرسل يرتب بها الحجج في السلم ، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، لأنّ بعضها منفي وبعضها مثبت فيكون القول بعد "بل" حجة أقوى في درجة السلم الحجاجي من القول قبلها.

ومن أمثلة ذلك ما قاله الإبراهيمي في مقال بعنوان "دعوة صارخة إلى اتحاد الأحزاب والهيئات"، فيقول: « يا قادة الأحزاب إنّ في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار تؤرث العداوة الحزبية بين الأخوة بحجة المحافظة على المبدأ ، فانبذوها لضرورة الاتحاد ومراعاة الطروف،وادحضوا شبهتها بحجة الوطن الصريحة ، وإنّ في صفوفكم دساسين مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع والكراسي ولهم مقاصد في الإفساد ، وإنّكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول فأخرجوهم من الصفوف ، ولا تسمعوا لهم كلمة ولا تطيعوا لهم رأيا ، وإنّ إخراجهم لا ينقص عددا ولا يقطع مددا ، بل يقطع دابر الفساد من صفوفكم ويستأصل مادة الضعف من أتباعكم»[2].

يأتي المتكلم بهذا الرابط «بل» في هذا السياق فيخالف بها نظرة الأحزاب في التكثير والتجميع فيكون الكلام بعدها مثبتا وفي درجة عليا والكلام قبلها في درجة دنيا من الحجاج.

---

[1] المبرد أبو العباس ، المقتضب ، تح محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ج 1، ص 12 .

[2] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص334. وقد ذكرت النص من بداية الفقرة ليظهر المعنى كاملا لعلاقة آخره بأوله.

وسنمثل لها بالسلم الحجاجي على النحو الآتي:

ن في نبذ هؤلاء الرجال قوة لكم.

ح3 | بل ويستأصل مادة الضعف من أتباعكم.

ح2 | بل يقطع دابر الفساد من صفوفكم.

ح1 | إنّ إخراجهم لا ينقص عدا ولا يقطع مددا.

يظهر هذا السلم الخاصية الحجاجية التي يمتلكها الرابط «بل» لكونه يرفع مستويات الإقناع في الخطاب الحجاجي ، لأنّ الإبراهيمي قد ذكر حجتين متعاكستين فإخراج الرجال من الأحزاب ونبذهم دليل على فشل الحزب وضعفه ، إلا أنّ المتكلم وجه المتلقي إلى مسار حجاجي بواسطة "بل" متمكنا من إقناعه بأنّ إخراجهم يقضي على الفساد والضعف فيكم.

وبالتالي ينجح المخاطب في الإضراب عن المعنى الأول والانتصار للمعنى الثاني وهذا الإضراب «يقتضي نفي الحكم السابق في الكلام قبل "بل"، والقطع بأنّه غير واقع ، ومدعيه كاذب والانصراف عنه واجب إلى حكم آخر يجيء بعده »[1]؛ فأبطل حجة ضعف الحزب في إخراج الرجال، وسار بالحجاج نحو دليل آخر بأنّ إخراجهم يوجب القوة والخير.

– حـــــتى:

ومن الأدوات الحجاجية الأداة "حتى" فهي تستعمل للغاية والعطف ولها دور فعال في ترتيب مترلة العناصر ، وتراتبية الحجج ، لأنّ هذا « الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة ، أقوى من الحجة المذكورة قبله ، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية »[2]؛ بمعنى أنّ جميع الحجج المذكورة تخدم نتيجة معينة تكون الحجة الأقوى فيها هي

[1] عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 3، ص 623.

[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص33.

الواقعة بعد "حتى" ، و هي تستعمل كأداة حجاجية تأييدية تربط بين علاقات دلالية لها سباق ولها لحاق.

وفي مقال للإبراهيمي بعنوان "جمعية العلماء -أعمالها ومواقفها-" يقول: « حاربتْ -يعني الجمعية- سياسة الاندماج في جميع مظاهرها ، فقاومت التجنيس ، ونازلت أنصاره الحُمْس ودعاته المقاويل ، حتى قهرتهم و أخرستهم »[1] .

نرى في هذا النص تتابعا منطقيا يسلكه الإبراهيمي ليصل إلى النتيجة التي يريدها فقد حاربت جمعية العلماء سياسة الاندماج في جميع مظاهرها ، ومنها التجنيس ، ودعاة التجنيس وأنصاره متدرجا بهذا إلى أن يصل إلى الغاية التي يريد للمتلقي الوصول إليها وهي النتيجة الظاهرة المعلنة وهي " غلبة جمعية العلماء المسلمين دعاة التجنيس" .

ونتيجة مضمرة هي " جهود جمعية العلماء تجاه الوطن"، فكل حجة في هذه الفقرة تؤول إلى نتيجة تؤول بدورها إلى قضية أخرى تولد عنها نتيجة أخرى ، فمحاربة سياسة الاندماج تقتضي نتيجة هي محاربة مظاهره وهي التجنيس والتجنيس يكون وفق أنصار ودعاة قهرتهم وأخرستهم جمعية العلماء ، وقد أعطى هذا الترابط بين الأحداث نوعا من التماسك النصي أو ما يقال له بالحبك أو التماسك المنطقي، فالحبك أو التماسك المنطقي ، يُعنَى بالاستمرارية المتحققة داخل النصوص ، عبر علاقات دلالية تعين الربط بين المفاهيم[2].

وتبرز هنا مقصدية الحجاج التي تستدعي الانتباه والتركيز لأنّ الأقوال قبل "حتى" في هذا المقطع لا يحسن سكوت المتكلم عليها ، إلا إذا ذكرت النتيجة التي جاءت بها فينتظر المتلقي النتيجة ويتشوف لها، وعندها يتحقق الإذعان والإقناع ، وسنوضح هذا عبر هذا السلم الحجاجي:

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 51 .

[2] ينظر : سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج10، ع01، يوليو 1991م، ص154.

نَ- جهود جمعية العلماء في الإصلاح (نتيجة مضمرة)

ن- غلبة جمعية العلماء لدعاة الإدماج (نتيجة ظاهرة)

ن- حتى قهرتهم وأخرستهم.

ح3 نازلت أنصاره ودعاته.

ح2 قاومت التجنيس.

ح1 حاربت سياسة الاندماج.

- أسلوب القصر: بـــ (لا – إلاّ).

القصر تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويكون بأربعة أمور منها النفي والاستثناء ويكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء[1].

وعن طريق هذا الاختصاص تتحقق فاعلية الحجاج عن طريق النفي والاثبات ، وفي هذا المعنى يقول الإبراهيمي: « لا تستطيع هيئة من الهيئات العاملة لخير الجزائر أن تتعلق بغبار جمعية العلماء في هذا المضمار... إنّ هذا النوع من التحرير لا يقوم به ، ولا يقوى عليه إلاّ العلماء الربانيون المصلحون »[2].

يأتي هذا النص أيضا في سياق " جمعية العلماء أعمالها ومواقفها"، لُيُؤَكِّدَ الإبراهيمي للمتلقي أنّ الإصلاح الحقيقي في الجزائر تقوم به جمعية العلماء فقط ، فيقوم هذا الخطاب على نتيجتين إحداهما ظاهرة والأخرى مضمرة؛ فالظاهرة هي: لا يقوى على هذا الإصلاح إلا العلماء الربانيون والمضمرة هي كون علماء الجمعية داخلون في ما يسمى بالعلماء الربانيين.

لأنّ الإبراهيمي قد وضع المتلقي في موضع ضيق بحيث ضيق عليه دائرة الاحتمالات والتأويلات إلاّ التأويلات التي يريدها المتكلم بفضل دخول أسلوب الحصر على الجملة ، فوجهه

---

[1] ينظر: البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع) علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، دط، دت ص 217.

[2] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص34.

وجهة تخدم نتيجة معينة متمثلة في "**جهود العلماء الربانيين من الجمعية**" وبنية هذا الحصر موجودة في (لا، إلا ن)، بيد أنه يمكن لنا أن نحذف (لا ... إلا) ونحصل على نفس النتيجة الأولى فتصبح الفقرة كالآتي: "إن هذا النوع من التحرير يقوم به، ويقوى عليه العلماء الربانيون المصلحون".

يلاحظ من خلال حذفنا لأسلوب القصر بقاء المحتوى القضوي على حاله من دون أي تغيير في الدلالة والمعنى ، لكن ما تفيده أدوات القصر هو نفي جميع محاولات الإصلاح وإبطالها مع إثبات الإصلاح للجمعية وحدها.

المبحث الثاني : الاستلزام الحواري ووظائفه الحجاجي .

في اللّغات الطبيعية واللّغة العربية خصوصا اتفق أهل العلم على أن اللّغة في بعض مقاماتها الاستعمالية وجود جمل تؤدي معنى ضمنيا غير الذي يؤديه معناها الصريح من العبارة ، فتصنف المعاني إلى صنفين ؛ صنف أول يشمل المعاني الصريحة، وصنف آخر يشمل المعاني "الضمنية"، التي يستنتجها المتلقي من سياق الخطاب ، وعليه يتم الانتقال من دلالة الجملة الصريحة إلى الدلالة الضمنية والتي يُعبَّرُ عنها في الخطاب التداولي الحديث " بالاستلزام الحواري " (غرايس grice).

1- تحديد المفهوم :

لقد ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع "غرايس"، الذي حاول أن يؤسس نحوا قائما على أسس تداولية للخطاب ، تأخذ بعين الاعتبار الأطراف المؤسسة لعملية التخاطب.

ويؤكد أنّ التأويل الدلالي للجمل متعذر إذا توقفنا عند ظاهرها ، وعليه يقترح ما يأتي[1]

أ- معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بما يستمع.

ب- المقام الذي تنجز فيه الجملة.

ج- مبدأ التعاون principe de coopération .

[1] ينظر: العياشي أو دراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 17، 18.

وعليه يعرف الاستلزام الحواري بأنه المقصود الذي « يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر »[1].

ولشرح ظاهرة الاستلزام الحواري اقترح " غرايس " مقترحا يمكن للمتلقي الوصول إلى مقاصد المتكلمين، يسمى بـــ "مبدأ التعاون" ومفاد هذا المبدأ أنّه على أطراف الحوار أن تتشارك وتتعاون فيما بينها لتحصيل الغرض من الخطاب ، وعمد غرايس إلى تفريغ هذا المبدأ إلى مجموعة من القواعد الحوارية حددها فيما يلي:

1) **قاعدة الكم:** وهي إخبار المتكلم المتلقي قدرا كافيا من المعلومات لا تزيد ولا تنقص أثناء العملية التخاطبية.

2) **قاعدة الكيف** (الصدق): لا بد من المتكلم أن يورد معلومات يستطيع البرهنة على صدقها.

3) **قاعدة الملاءمة:** وهي أن تناسب معلومات المتكلم المقام الخطابي.

4) **قاعدة الكيفية أو الطريقة:** ترتبط هذه القاعدة بما يراد قوله، والطريقة التي يجب أن يقال بها مبتعدا عن الغموض والاضطراب[2].

إنّ هذه القواعد التي وضعها "غرايس" قوانين ضابطة "لمبدأ التعاون" من شأنها أن تسير بالعملية التخاطبية الحوارية إلى بر الأمان بحيث يفهم المتلقي من المتكلم مقاصده بطريقة مباشرة أو بالرجوع إلى التأويل.

وتنشأ عملية الاستلزام الحواري عندما لا يحترم المتكلم أحد هذه القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون، بطريقة تفاعلية بين المرسل والمتلقي ، بحيث يفسح له مجالات شاغرة تأخذه في مسيرة للبحث عن المعنى الخفي المستلزم من العبارة ، والذي يقتضيه ذلك المقام.

وينشأ داخل الخطاب دائما بؤر صريحة لا تحتاج إلى كبير جهد من قبل المتلقي للوقوف على معانيها ومقاصدها ، وبؤر أخرى مضمرة تتعب المخاطب ليصل إلى دلالتها العميقة ، فللوصول

---

[1] العياشي أودراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص 18.

[2] ينظر: نفسه ، ص99-100.

إلى هذه المعاني ينطلق المتلقي من تلك العلاقات الموجودة في ما بينها كالسياق والمقام والقرائن اللغوية لأنّ الاستلزام الحواري هو القضية المضمرة التي تسبقها قضية أخرى صريحة.

2-الاستلزام الحواري في مقالات البشير الإبراهيمي :

ومثال الاستلزام الحواري قوله : «عادت لعترها لميس»[1].

فالقول الصريح في هذه العبارة هو هذا المثل الذي ضربه الإبراهيمي ، باعتبار أنّ لميس امرأة كانت لها عادات شر تعتادها وأخلاق سوء تفارقها ثم تقارفها، لغلبة الفساد في طباعها،والعتر هو الأصل[2].

والمعنى الضمني المستلزم حواريا هو عودة عادات فرنسا من ظلم وانتهاك ووحشية تجاه الجزائريين.

ومما يستلزم حواريا غلبة الشر في الاستعمار الفرنسي.

ومما يستلزم حواريا أيضا أنّ فرنسا تقوم بأعمال وحشية وفظيعة وتتوقف ثم تعيد ذلك بعد مدة لتجذر الشر في أصل طباعها.

يصل المتلقي إلى الغرض المقصود من العبارة لكون هذا الاستعمار له طبائع خسيسة وغايات شريرة.

وفي نص آخر للإبراهيمي يقول فيه: « عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية،كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، والينابيع التي انفجرت منها الأخلاق والخصائص والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد ، وهي أثبت أساسا ، وأقدم عهدا ، وأصفى عنصرا من إنكليزية الإنكليز ، وألمانية الألمان »[3].

---

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص379.

[2] نفسه ، ص:379.

[3] نفسه ، ص477.

إنّ الخطاب المصرح به في هذه العبارة هو الإشادة بعروبة الشمال الإفريقي والافتخار به والمعنى المستلزم حواريا من وراء هذا الكلام هو وجود كلام حول عروبة الشمال الإفريقي يتمثل في إنكار فرنسا لعربية الجزائر.

ومما يستلزم حواريا أيضا بناءً على هذا التصريح عدم القضاء على عروبة الشمال الإفريقي، وعدم القضاء على العربية لأنّها عماد العروبة.

ويستلزم حواريا أنّ الاستعمار لا يحارب عروبة الشمال الإفريقي إلا عن طريق محاربته لمظاهر العروبة المتمثلة في اللّغة العربية والدين الإسلامي.

فكل هذه الاستلزامات التي وصل إليها المتلقي دليل واضح لانصياعه وإذعانه وقبوله لأنّ الاستلزام الحواري خطة حجاجية يعمد إليها المتخاطبان ، فيمر المعنى دون وعي من المتلقي الذي ينتقل مباشرة إلى المعنى المستلزم وهذا الأخير « يعطل فعل الاعتراض من خلال اعتماد تقنية الإخفاء ، كما يؤشر في كل مرة على جس النبض بخصوص استمرارية التوافق بين المتفاعلين في المحادثة »[1].

وفي نص آخر للإبراهيمي يقول فيه: « إلى كل عامل مخلص للقضية الجزائرية من أحزاب وهيئات وأفراد »[2].

يستفاد من هذه العبارة أنّ الإبراهيمي يلبس لباس الناصح الأمين للأحزاب ويحسسهم بالقضية الجزائرية ، لكن الإبراهيمي يترك قرينة لفظية تؤدي دلالة إيحائية يصل بها المتلقي إلى معنًى عميق وهذه الكلمة هي " مخلص " التي يستلزم حواريا منها؛ أنّ في هذه الأحزاب والهيئات أفرادا مندسين يحاربون القضية الجزائرية وهم عملاء لفرنسا.

---

[1] محمد بريم ، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية ، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف أحمد قادم، سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، ط1، 2016، عمان، ص100.

[2] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص332.

وعلى هذا يمكن القول ، إنّ المتكلم قد خرق قاعدة من القواعد التي وضعها غرايس لمفهوم مبدأ التعاون ، فكل عامل للقضية الجزائرية يقتضي منه أن يكون مخلصا لها فما الذي دفع بالإبراهيمي إلى إضافة كلمة "**مخلص**" داخل عملية التحاور.

أراد الإبراهيمي بهذه الكلمة تنبيه الأحزاب بأنّ فيهم مندسون يعملون لصالح فرنسا،فيجب عليهم أن يكتشفوهم ويطردوهم من الأحزاب ، فيكون المتكلم بهذا قد لمح لهيئة الأحزاب عن أمر مهم يجب لهم أن يتنبهوا له.

فالقاعدة التي خرقها المتكلم هي القاعدة الأولى المتمثلة في "قاعدة الكم" لأنّه تجاوز الحد المطلوب من مقدار الفائدة فكان يكفيه أن يقول « إلى كل عامل للقضية...» فلا يكون للمتلقي في هذه الحالة أي مسار استدلالي أو تأويل لهذه العبارة لأنّها واضحة الدلالة في تأدية القصد ، لكن بإضافة لكلمة " مخلص " تجاوز الحد المطلوب فاستفز بذلك المتلقي بحثا عن ما وراء هذه الكلمة وما الغاية من إضافتها.

وفي مقال للإبراهيمي بعنوان "الأديان الثلاثة في الجزائر" يقول فيه: « ولو أن دينا لقي من الأذى والمقاومة عُشر ما لقي الإسلام لتلاشى واندثر، ولم تبق له عين ولا أثر »[1].

تؤدي هذه العبارة في ظاهرها معنى مفاده أنّ الإسلام قد لقي من اليهودية والنصرانية – باعتبارهما ديانتين موجودتين في الجزائر– أنواعا كثيرة من الظلم والقهر والأذى ، هذا ما يصل إليه المتلقي من دلالة ظاهرية من بنية الخطاب ، إلا أنّه تنضوي تحته معان أخرى تستلزم من سياق التخاطب يصل إليها المستمع منها:

- إنّ الإسلام هو الدين السماوي الحق، لأنّه لو لم يكن حقا لاندثر بسبب الحرب التي قامت ضده.
- وإنّ اليهودية والنصرانية لو لقيتا من مظاهر المقاومة والعدوان الذي حصل للإسلام لكانتا في عداد الأموات فتكونان بذلك ديانتين باطلتين محرفتين.

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص66

وعليه يكون المتلقي قد وصل إلى هذه الاستلزامات والمعاني المتضمنة داخل الخطاب بسبب ما حصل من خرق لقاعدة من قواعد مبدأ التعاون وهي قاعدة الكم، حيث أنقص المتكلم مقدارا محددا من الكلام فسح المجال أمام المتلقي ليصل إلى الغرض المقصود من وراء هذه العبارة ، ولو أنّ الإبراهيمي احترم القاعدة لكان كلامه كالآتي: « ولو أن دينا مثل اليهودية والنصرانية...». إلا أنّ المتكلم أحجم عن هذا التعبير تاركا المجال للمتلقي، حتى يصل إلى سماحة الإسلام وعظمته وأنه الدين الذي يجب أن تدخل فيه البشرية عامة.

وفي مقال آخر يقول الإبراهيمي: « وهؤلاء التلامذة أبناؤكم وجهتموهم للعلم واخترتم لهم طريقه... ولكن ما قولكم -يرحمكم الله- إذا اعترض أبناءكم وهم في طريقهم إلى العلم لصوص يحاولون أن يقطعوا عنهم طريقه ، أتسكتون وتقعدون عن نجدتهم؟»[1].

يشتمل هذا المثال على بنية استفهامية توجب معنى ظاهريا متولدا عن الاستفهام بالهمزة من خلال أن تجيب بـــ (نعم) أو (لا) ، وإذا نظرنا في تموضع الاستفهام ومقامه التخاطبي ، نجد أنّ المتكلم لا يلقي للجواب بالا ، بالقدر الذي يحدثه الغرض من الاستفهام في المخاطب ، وهو تحذيرهم ، واستنهاض هممهم لنجدة أبنائهم من اللّصوص، وبهذا الاستفهام يصل المتكلم إلى غاية مقصودة تتمثل في توجيه المسؤول نحو قضية مخصوصة ومعينة يسهل له بذلك السيطرة على ذهن المتلقي.

وفي مقال آخر بعنوان "أعراس الشيطان" يقول: « كلما انتصف فصل الربيع من كل سنة تداعى أولياء الشيطان في كل بقعة من هذه العمالة إلى زردة يقيمونها على وثن معروف من أوثانهم، يسوله لهم الشيطان وليا صالحا، بل يصوره لهم إلها متصرفا في الكون ، متصرفا في النفع والضر والرزق والأجل بين عباد الله، وقد يكون صاحب القبر رجلا صالحا، فما علاقة هذه الزرد بصلاحه؟ وما مكانها في الدين؟ وهل يرض بها لو كان حيا وكان صالحا الصلاح الشرعي؟ »[2].

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 351 .

[2] نفسه ، ص 355 .

في هذه العبارة مجموعة من الاستلزامات الحوارية التي يمكن للمتلقي الوقوف عليها ونبدأ بقوله "أولياء الشيطان" فيقتضي من هذا المعنى الظاهري معنى آخر ، هو وجود "أولياء الرحمن"، وفي قوله: « يصوره لهم إلها متصرفا في الكون، متصرفا في النفع والضر»، استلزام حواري في كونهم قد انصرفوا لهؤلاء الأولياء يدعونهم طلبا في المنفعة والرزق ، وتركوا خالقهم وخالق أوليائهم.

وهذه الأسئلة الموجودة في العبارة التي تخرج عن معانيها الظاهرة بكونها أسئلة يراد من ورائها الإجابات إلى أغراض أخرى كالإنكار والتعجب والتبكيت.

ويقول في مثال آخر: «ولو أنّ الجزائريين كفروا بالواحد، وآمنوا بالثلاثة... لما كان لهذه الكلمة – الجزائر فرنسية– موقع في النفس»[1] تفيد لو «انتفاء الشيء لانتفاء غيره»[2] فينتفي قول إنّ الجزائر فرنسية لانتفاء كفر الجزائريين بالواحد القهار، وإيمانهم بالنصرانية ، فهذا الاستلزام الناجم عن البنية الشرطية بالأداة "لو" يوجه الخطاب وجهة حجاجية تتمثل في أنّه بالرّغم من وجود الأسباب التي تؤدي بكفر الجزائريين ودخولهم في النصرانية والتي منها الاستعمار الذي يجلب معاني الظلم والاضطهاد ، والفقر إلاّ أنهم ثابتون على الإسلام باقون عليه ومن شأن هذا المعنى المستلزم حواريا أن يدفع فرنسا لمراجعة حساباتها ، وأنّها تتعامل مع شعب الجزائر.

المبحث الثالث :البعد الحجاجي الكامن في أفعال الكلام .

بعدما توقفنا على مفهوم الاستلزام الحواري نتعرض لمفهوم " نظرية أفعال الكلام " باعتبار أنّه لا يمكن الفصل بينهما ، ويعد الفيلسوف «أوستين» (Austin) مؤسس نظرية أفعال الكلام"Les actes de paroles" التي ظهرت في كتابه «كيف ننجز الأفعال بالكلمات» وقد حاول الفصل بين الملفوظات ، فالأولى تقريرية ، والثانية هي الجمل التي لا تصف ولا تخبر عن

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 387.

[2] الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 لبنان 1981 ج2 ص 88.

شيء في العالم الخارجي، وقد أطلق عليها المنطوقات الأدائية[1]، أو مصطلح الجمل الإنجازية أو عبارة إنشائية[2] .

1- نظرية أفعال الكلام العامة عند أوستين.

إنّ النطق ببعض العبارات لا يدل في الغالب على التصديق والتكذيب (الخبر) بل قد يدل أحيانا على منطوق متعلق بإنجاز الجمل وإنشائها (الإنشاء) ، وبذلك فإنّ اللغة حسب أوستين لا تقوم بالوصف والإخبار فقط ، بل لها وظائف أخرى ويستدل على ذلك بقوله: « وعندما أقول في الكنيسة أو عندما يكتبون العقد: «نعم أقبل الزواج بها» فأنا في هذا المقام لا أذيع خبرا ولا أنشره: بل لسان حالي يقول: "رضيت بالزواج" فبماذا تسمي جملة من هذا النوع أو عبارة متلفظ بها من هذا القبيل؟ إني أقترح أن أطلق عليها مصطلح : جملة إنجازية ، أو عبارة إنشائية ولفظ الإنشاء يدل على أن أحداث التلفظ هو إنجاز لفعل»[3].

وقد عمد إلى تقسيم الملفوظات إلى قسمين[4] هما:

1- أفعال إخبارية "actes constatifs": وهي الأفعال التي تصف وقائع العالم الخارجي التي يحكم عليها بالصدق أو الكذب.

2- أفعال أدائية " actes performatifes": وهي الأفعال التي لا تصف ولا تخبر ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب ، وإنّما تؤدي أغراضا محددة بحسب السياق كالقصة الاعتذار، الوعد، التهديد.

---

[1] ينظر : صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطبعة والنشر، بيروت ط1، 1993، ص137.

[2] ينظر : أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، تر عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق 1991 ، ص 17.

[3] نفسه ، ص17.

[4] ينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر 2002 ص 44،45.

كما ميز أوستين بين الجمل الإنجازية والاستعمالات الإنجازية باعتبار أنّه عندما يتلفظ متكلم بعبارة داخل سياق محدد يكون بإنجاز فعل معين تتحكم فيه ظروف مقامية خاصة وأن استعمال عبارة تتضمن ثلاثة أفعال[1].

أ) فعل صوتي: هو دائما إنجاز فعل التلفظ بأصوات مقروعة من مخارج معلومة ، لأنّ التلفظ هو إحداث صوت على صورة معلومة.

ب) فعل النطق: وهو ألفاظ أو كلمات أو أصوات لفعل لغوي محدد.

ج) الفعل الخطي: المرتبط بتوظيف المقاطع الصوتية والتركيبية في سياق محدد « أو بالواقع والأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب »[2].

وقد قسم أوستين الأفعال الكلامية إلى ثلاثة فروع[3].

1- فعل القول الذي يتشكل من ثلاثة أفعال فرعية؛ وهي الفعل الصوتي والفعل التركيبي والفعل الإبلاغي أو الدلالي.

2- الفعل الإنجازي : وهو الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه ويرتبط بالقيمة (Valeur) التي تعطى للكلام.

3- الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الكلام لدى المخاطب.

وقام أوستين أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية حسب قوتها الانجازية إلى خمسة أصناف[4]:

1) أفعال الأحكام: وتتمثل في حكم يصدر من طرف قاض أو حكم.

2) أفعال القرارات: ويراد بها اتخاذ قرار كالتعيين، أو العزل، أو الحرمان أو الاختيار.

3) أفعال التعهد: وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل كالوعد والوعيد.

4) أفعال السلوك: وتكون رد فعل لحدث ما كالتحية والشكر والتحدي.

---

[1] ينظر: أوستين نظرية أفعال الكلام العامة، تر عبد القادر قنيني ص 111، 112.

[2] حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، 2004، ص124.

[3] ينظر العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 86.

[4] ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص69، 70.

5) أفعال الإيضاح وتستخدم لتوضيح وجهة نظر أو لبيان رأي أو الإنكار والتشكيك.

هذا وقد كانت أعمال أوستين بخصوص أفعال الكلام بداية حقيقة فتحت المجال وأثارت نقاشات واسعة لكثير من الباحثين التداوليين مثل سيرل (searle) وغرايس (grice) وغيرهم حيث استطاع هؤلاء تعميق نظرية أوستين وجعلها أكثر اتساعا واستيعابا لجملة كبيرة من قضايا التداولية.

2 – إعادة صياغة «نظرية أفعال الكلام» من قبل سيرل (searle).

يعتبر سيرل تلميذ أوستين حيث اهتم بما جاء به من إرث متبنيا لاقتراحات أستاذه مضيفا تعديلات على تصنيف أوستين لأفعال الكلام ، ويمكن أن نقدم فيما يلي أهم ما اقترحه بخصوص الأفعال اللغوية[1].

1) عد الفعل الإنجازي الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي.

2) يرى أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم؛ فهو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.

3) وقسم الفعل الكلامي إلى أربعة أقسام تؤدى في الوقت نفسه؛ وهي: الفعل النطقي والفعل القضوي ، والفعل الإنجازي ، والفعل التأثيري ، فهي تشكل كيانا واحدا كما وقد صنف سيرل الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف[2]:

أ) الإخباريات أو التقريريات : غرضها الإنجازي هو الوصف ، وهي ملفوظات تمتثل للصدق أو الكذب.

ب) التوجيهات أو الطلبيات: وهي محاولة المتكلم حمل المخاطب على أداء فعل ما وتضم الاستفهام والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع والإذن والنصح والتحدي..

ج) الالتزاميات أو الوعديات: الوعد، الوعيد، الوصية..

---

[1] ينظر : محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 47، 51.

[2] ينظر : نفسه ، ص 47، 51.

د) التعبيرات أو الإفصاحات: ويعبر فيها المتكلم عن الموقف النفسي كالشكر أو الاعتذار..

ه) الإعلانيات أو الإيقاعيات: وتهدف إلى إحداث تغيير في الواقع كالحكم وصيغ العقود.

وميز سيرل بين نوعين من الأفعال ، أفعال كلامية مباشرة تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم ، وأفعال إنجازية غير مباشرة وهذا ما ركز عليه سيرل « بهدف بناء النظرية وتنسيقها مع تحديد شروط ومقومات الفعل الكلامي»[1]، وقد حدد الشروط التي يجب أن تحققها أفعال الكلام لتضمن الإنجاز الموفق في[2]:

1) شرط مضمون القضية: وهو المعنى الأصلي للقضية.

2) الشروط التمهيدية: تتصل بقدرات واعتقادات المتكلم ومقاصد المستمع بالإضافة إلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما.

3) شروط الصدق، تحدد الحالة النفسية أثناء إنجاز الفعل بحيث ينبغي أن يكون جادا في ذلك.

4) الشروط الجوهرية (الأساسية): ترصد الغرض التواصلي من الفعل الكلامي.

وفي الأخير نصل بهذا التمهيد المقتضب إلى نظرية أفعال الكلام و معرفة مدى أهميتها في الدرس التداولي بحث تبرز الأفعال وكأنّها إنجاز حقيقي في أرض الواقع لتحدث بذلك أثرا في المتلقي.

ونحن بصدد تطبيق نظرية أفعال الكلام على المدونة خاصة ، لا يمكن لنا التغافل عن الدرس اللغوي التراثي لأن العرب لم يغفلوا عن الجانب الوظيفي التداولي في دراستهم فأسهبوا في الحديث عن السياق والمقام و مقتضى الحال ، وعن ثنائية الخبر والإنشاء (السكاكي) وخاصة ما جاء في حقل أصول الفقه ، لذلك تعد أعمالهم مكافئة لنظرية أفعال الكلام .

---

[1] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التنداول اللساني ص90.

[2] نفسه ، ص 90.

3- الفعل الكلامي ودوره الإقناعي في المدونة.

إنّ الحجاج من جانب التداولية يظهر في استعمالات اللّغة وأنساقها وبنياتها بحيث تتحكم فيها ضوابط خارجة متعلقة بالمقام ومقاصد المتكلم ودور السياق وقدرته في توجيه المتلقي والتأثير فيه بحيث تؤزه إلى فعل شيء معين؛ إن على مستوى أفكاره و إن على سلوكاته ، ولا يتأتى هذا الدور الإقناعي إلاّ في شكل فعل كلامي متكون من فعل لفظي ، وفعل قضوي ، وفعل إنجازي ، وفعل تأثيري حسب رؤية سيرل ، وسنوضح ذلك بأمثلة نوردها من المدونة.

3-1 – الأفعال اللغوية المباشرة:

يعتمد المتكلم الأفعال المباشرة بغية الوصول إلى غرضه المقصود من الخطاب بدون أن يفسح المجال أمام المتلقي إدخال تأويلاته لأنّ هذه الجمل لا تحتمل إلا تأويلا واحدا ومن أمثلة ذلك ما قاله الإبراهيمي: « عروبة الشمال الإفريقي »[1]، يعتبر هذا المثال عنوانا يصدر به المتكلم مقالته.

فالفعل اللفظي: هو تلك الهيئة التركيبية لهذا المثال بما فيها من أصوات لغوية في تركيب نحوي سليم.

والفعل القضوي : يتضمن أنّ شعب إفريقيا الشمالية هم من العرب.

والفعل الإنجازي : فيتمثل في إثبات العروبة للشمال الإفريقي والدفاع عنها.

والفعل التأثيري: هو ذلك الأثر الذي أحدثه محتوى هذا الكلام في المتلقي لأنّه لا ينكر عروبة الشمال الإفريقي فعند قراءته للعنوان يصطدم بهذه القضية المطروحة للنقاش ، لأنّها جاءت على شكل عتبة نصية تستلزم من الكاتب الدفاع عنها فيثير هذا العنوان الفضولَ عند المتلقي فيتأهب لسماع الخطاب وما يورده المتكلم من حجج وبراهين للدفاع عن القضية المعالجة.

ويدخل هذا المثال السابق بحسب تصنيف سيرل لأفعال الكلام في باب الإخباريات والتقريرات لأنّ الإبراهيمي قد قرر شيئا في كلامه مطابقا للعالم الخارجي؛ فشمال إفريقيا لسانهم عربي وعاداتهم عربية وهم مسلمون ، فيحكم على هذه الجملة التقريرية الإخبارية بالصدق

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 477 .

لمطابقتها للواقع وبذلك يصل المتكلم إلى أغراضه التداولية والإقناعية لأنّ المتلقي قد قارن بين كلامه ومدى مطابقته للعالم الخارجي فوجد صدق ما يدعيه الإبراهيمي مما يهيئه لتقبل حجج أخرى داخل فحوى الخطاب.

ويقول الإبراهيمي في مقال له بعنوان " جمعية العلماء أعمالها ومواقفها": « يا حضرة الاستعمار إنّ جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده وتفهيم حقائقه وإحياء آدابه وتاريخه وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها »[1].

نلمح في هذا المثال ثلاثة أفعال كلامية طابق معناها الأصلي معناها القضوي ، فنلمس فعل النداء "يا حضرة الاستعمار" فهو نداء يراد منه لفت انتباه المخاطب لقضية ما.

وفعلا تقريريا " إنّ جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده و تاريخه " ، فالقوة الإنجازية للجملة تتمثل في تأكيد عمل الجمعية نحو الإصلاح ، والقوة التأثيرية تتمثل في مدى قبول المتلقي لهذه التقريرات التي أفادها المتكلم ومدى مطابقتها للواقع ، وقد توفرت في هذه الأفعال الشروط التي تضمن إنجازها الموفق.

- فالشروط التمهيدية تتصل بقدرات واعتقادات المتكلم ومقاصد المستمع بالإضافة إلى العلاقة القائمة بينهما ، والعلاقة القائمة بين المخاطِب والمخاطَب هي علاقة تنافر وتباغض وعداوة استوجبت من الإبراهيمي تأكيد ما في المثال.
- شروط الصدق؛ حيث توفرت في المتكلم كل شروط الصدق لأنّ القضية قضية وطن وإسلام ودين فتتحدد الحالة النفسية لكونه جادا في ذلك الفعل الكلامي.
- شروط الجوهر والأساس فالغرض التواصلي من هذه الأفعال الكلامية هو إظهار التزام المتكلم تجاه وطنه ودينه.

وفعل كلامي يتمثل في بنية الجملة الدالة على الأمر " وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها " بحيث يحمل هذا الأمر بنية لغوية مباشرة متمثلة في طلب الإبراهيمي من الحكومة

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر ، ص42.

الاستعمارية بتسليم المساجد والأوقاف إلى المسلمين ، واستعمل المتكلم هذا الفعل الكلامي المتمثل في فعل الأمر لتدعيم النتيجة الأولى وهي جهود الجمعية في الإصلاح ولا يتأتى الإصلاح إلا بتسليم المساجد والأوقاف .

وتصنف جملة " إنّ جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده " ضمن الأفعال الكلامية التي تدخل في صنف الالتزامات والتي تدل على التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل وهذا ما يدل عليه الفعل المضارع في الجملة (تعمل).

ويحاول المتكلم مواصلة مسيرته الإصلاحية بفعل لغوي آخر يصنف في خانة "التوجيهات" فهو يوجه المخاطب بالفعل المضارع " تطالبك" إلى تغيير في سلوكه مع توفر الرغبة الصادقة من قبل الإبراهيمي في إرجاع المستعمر لهذه الأوقاف.

وفي مقال للإبراهيمي " الأديان الثلاثة في الجزائر" يقول: « إنّ الجزائر اليوم ميدان صراع لا أقول بين الأديان الثلاثة كل على انفراده ، وإنّما أقول بين الإسلام وحده من جهة ، وبين المسيحية واليهودية مجتمعتين من جهة أخرى »[1].

يتشكل الفعل اللّفظي في هذه العبارة عن طريق هذه البنى الصوتية والنحوية وطريقة التأليف بينها مشكلة دوالا نحوية سليمة متصدرة بأسلوب توكيد أفادته "إنّ"؛ بمعنى أنّ المتكلم يُشِددُ على الحكم الذي يأتي بعدها ، ومرجع محتواه إثبات ميدان الصراع القائم بين الإسلام في مقابل المسيحية واليهودية ، والفعل الإنجازي يتمثل في القيمة الحاصلة من الكلام وهي تحالف النصرانية واليهودية ضد الإسلام في الجزائر.

والفعل التأثيري يتمثل في حمل المتلقي على المقارنة بين أطراف الصراع فيجدها غير متكافئة مما يجعله يميل إلى الإسلام لأنّه على الرغم من ضعفه في الجزائر فهو قائم صامد في وجه هذا العدوان المزدوج ، وهي حجة مؤسسة من بنية الواقع كما أشار إلى ذلك بيرلمان ، وتدخل

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص64.

هذه العبارة في الأفعال الكلامية المتعلقة بالإعلانيات (declaration) فتؤدي قوتها التأثيرية من خلال مطابقة محتواها الدلالي للعالم الخارجي.

وفي نص آخر بعنوان " كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار" يقول: « أنتم حراس هذا الجيل الجديد ، والمؤتمنون عليه والقوّامون على بنائه، وأنتم بناةُ عقوله ونفوسه ؛ فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة ، وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية... ربُّوهُمْ على ما ينفعهم وينفع الوطن... ربُّوهُمْ على التَّحَابِّ في الخير... ربُّوهمْ على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن »[1].

يظهر الإبراهيمي نفسه هنا موجها مسددا مستهلا عبارته بجملة من أفعال الكلام والتي من شأنها إظهار الأمانة الملقاة على عاتق المعلمين والأمانة التي كُلِّفُوا بها فهي أفعال تدخل في باب الإخباريات والتقريرات ، الأمر الذي سهل على المتكلم الرفع من بؤر التوتر داخل الخطاب .

فمن خلال هذه الأفعال الكلامية " أنتم حراس هذا الجيل المؤتمنون عليه القوامون على بنائه" يُحسِّسُهم ويوقظ فيهم المشاعر بأنّهم ذوو أهمية بالغة بالنسبة للمجتمع من خلال القيم التي تضمنها الفعل الإنجازي في هذه الدوال " حراس" فالحارس هو الذي يذود عن الحمى ويحميها "والمؤتمنون" والأمانة شيء عظيم و" القوامون" فمعناه القوامة فهم المخصوصون بهذه المهمة دون غيرهم .

كل هذه قِيَمٌ رفعت من حدّةِ الخطاب ، فكان الغرض منها هو تهيئة المخاطَب لجملة من الأفعال الكلامية التي يدرجها المتكلم في ثنايا النص والتي هي أفعال الأمر "ابنوا ، ربّوهم" فهذه الأفعال الكلامية تحمل طاقة إنجازية تتمثل في صيغة فعل الأمر "افعل" الذي يدل على إلزام المتكلم المرسَلَ إليه بفعل شيء ما وإنجازه في أرض الواقع.

وتدخل أفعال الأمر هذه في خانة "التوجيهات" فعندئذ يتحقق الغرض التأثيري في المتلقي خاصة بعد أن أشار في بادئ الأمر بالمسؤولية الملقاة على المعلمين.

---

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر ص 299.

وسنضع لهذه الأفعال مخططا تظهر فيه قوتها الإقناعية.

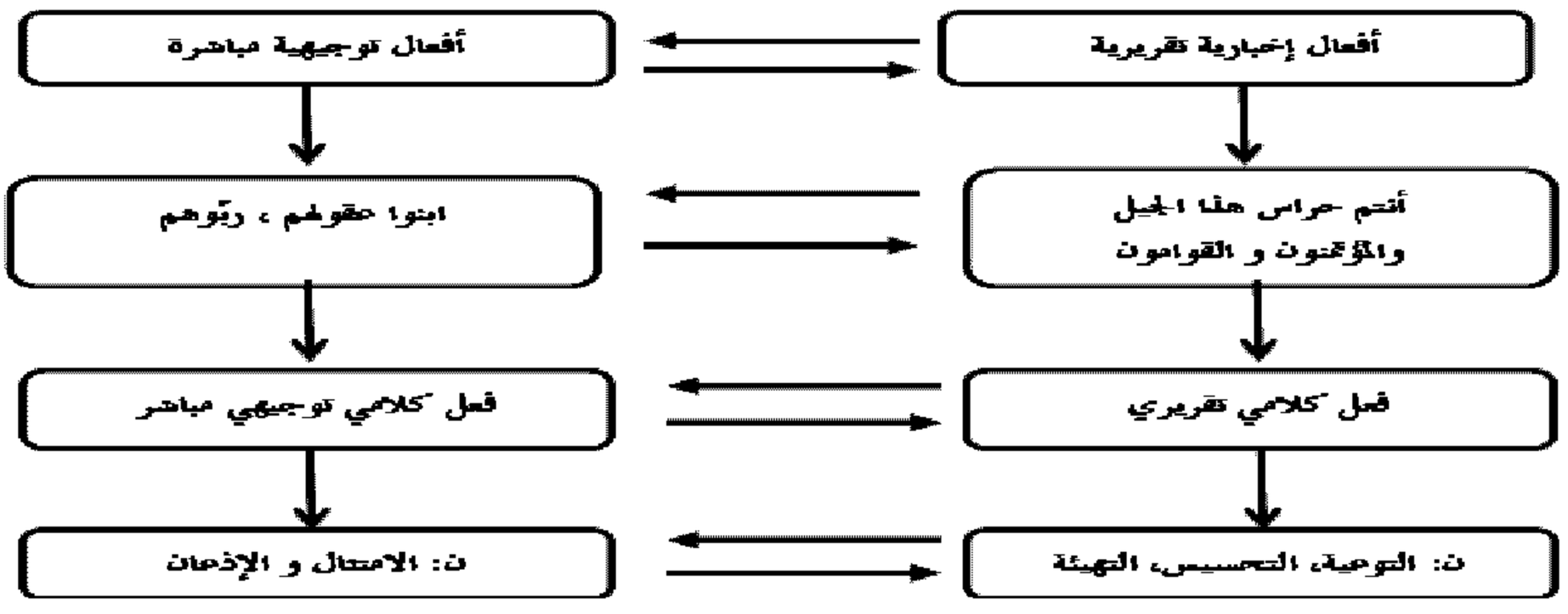

يظهر هذا المخطط القدرة التي تمتلكها أفعال الكلام في توجيه المتلقي ، بحيث تكون أفعال الإخبار والتقرير في الأول حجة ومقدمة تتضمن نتيجة مضمرة تتمثل في (التوعية، التهيأة) وتكون هذه في نفس الوقت حجة للنتيجة التي تأتي بها أفعال التوجيه المتمثلة في الأمر.

3-2- أفعال الكلام غير المباشرة :

يسعى المرسل في غالب الأحيان إلى إضمار مقاصده وغاياته التخاطبية رغبة منه في إشراك المتلقي في حوار يحتم على هذا الأخير الوصول إلى هذه الغايات والمقاصد ، ولأنّ اللّغة في أكثرها تميل إلى الإغماض والتضمين بدلا من الإفصاح والتصريح ، فتصنف الجمل إلى قسمين ؛ جمل ينتهي معناها بمجرد سكوت المتكلم ، وجمل يبدأ البحث عن معناها بمجرد الانتهاء من نطقها عندئذٍ تتحرك آلة البحث من قبل المتلقي للتنقيب والتفتيش عن هذه المضمرات الخطابية.

ولا يتم له ذلك إلا بقرائن متروكة في ثنايا النص (قرائن لغوية)، وقرائن أخرى خارج النص (المقام، السياق)، فتضمن له هذه العمليات الوصول إلى المعنى المتضمن أو ما يسميه "غرايس" الاستلزام الحواري فهو الآلة التي تمكن المتلقي من الوقوف على تلكم المقاصد .

وتحدد مرحلة الفعل اللغوي غير المباشر مع غرايس الذي قام بتطوير أعمال أوستين وسيرل حيث ركزت أبحاثه على الأفعال غير المباشرة -كما أثارها "سيرل"- فحاول الفصل بين ما يقوله المتكلم وما يقصده ، فالدلالة الوضعية الأصلية هي المتمثلة في الأصوات ، والمقصود هو ما يريد المتكلم تبليغه بطريقة غير مباشرة[1]، فتظهر في الخطاب بحسب تمييز غرايس في نظرية الأفعال اللغوية بنيتين؛ بنية « القوة الإنجازية الحرفية ، والقوة الإنجازية المستلزمة »[2].

فالأولى تدرك بصيغة الأصوات وتدل عليها صيغ الفعل " كالأمر" أو أدوات الاستفهام والثانية هي التي تدرك مقاميا في سياقات معينة ، ومن أمثلة ذلك قول الإبراهيمي : « وضع الأجداد العقال للرجل فنقلته الأحفاد إلى الرأس ، وعدلوا به من الأباعر إلى الناس ، وما بين النقل والنقل ضاع العقل »[3].

إنّ هذه الجملة في ظاهرها جملة تصنف في خانة الأفعال اللغوية التقريرية الإخبارية ، فهي تحمل غرضا ظاهرا يتمثل في وضع العرب للعقال فوق رؤوسهم بعدما كان يوضع على الأباعر،إلاّ أنّ هذه القوة الإنجازية لهذه الأفعال الإخبارية تخالف ما تعنيه بدلالة الوضع إلى دلالة أخرى تفهم من سياق التخاطب فيكون المقام هو مقام " **السخرية والتهكم والعتاب**" ولا يتم الوصول إلى هذا المعنى إلا بطريقة استدلالية « تصبح معها البنية اللغوية الصوتية للألفاظ مجرد ممر أو معبر للوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يرومه المتكلم »[4].

وفي نص آخر يقول: « هذه العروبة الأصيلة العريقة هي التي صيرته وطنا واحدا، فالعالم العربي بهذه العروبة المكينة كالجسد الواحد... فهبت مواطن العروبة كلها صارخة في وجه العادي... فقال كل عاقل في الدنيا: إنّ هذا التضامن طبيعي ، لأنّه حنين العرق إلى العرق...

---

[1] ينظر : آن روبول- جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل تر سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص56.

[2] العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص96.

[3] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص603.

[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 370.

وهل يلام يهود أمريكا على انتصارهم لإخوانهم يهود ألمانيا ، وهل يلام فرنسيوا كندا إن توجعوا لكارثة حلّت بإخوانهم في فرنسا ؟ »[1].

سياق النص:

هذا النص يدخل تحت عنوان " عروبة الشمال الإفريقي" ووقوف العرب مع المغرب الأقصى في محنته التي أصابته.

يورد الإبراهيمي حججه في سياق أفعال كلامية تمثلت في الاستفهامات التي خرجت عن ظاهرها لإفادة أغراض تبليغية اقتضاها المقام وهي الإنكار والتقريع والتوبيخ ، أفادت هذه الاستفهامات أغراضا إقناعية تمحورت حول وجوب نصرة العرب لإخوانهم في شمال إفريقيا وأنّ هذه النصرة جبلة طبيعية اقتضاها نزع العرق إلى العرق مستعينا بحجج وقياسات منطقية جاءت على شكل استفهامات .

ومما ترمي إليه هذه الأفعال الكلامية أيضا وجود إنكار لهذه النصرة من قبل فرنسا فولّد هذا ردة فعل من قبل المتكلم ، وهذا المعنى البعيد في هذا الفعل الكلامي هو ما سماه غرايس "بالقوة الإنجازية المستلزمة حواريا " وما يزيد قوة الاستفهام الحجاجية ما يحمله من دلالة تسفيهية للمخاطب؛ إذ كيف تلومون العرب في نصرتهم لإخوانهم ؟ ولا تلومون يهود أمريكا لنصرة يهود ألمانيا فهو بهذا يسفه عقولهم ويثبت حمقها ومن خلال هذه الاستفهامات يتبين أنّ « الخطاب الحجاجي يرمي أساسا إلى تغيير الأنساق الاعتقادية والقصدية والفكرية لدفع الناس إلى العمل بها متوسلا في ذلك بالمقتضيات التداولية في بعدها الاجتماعي... وفي نفس الوقت تتوسل بالمقتضيات النفسية والمعرفية والقيمية والسلوكية حتى تحقق لدى المتلقي الإقناع والإمتاع »[2].

---

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر ص479.

[2] عبد السلام عشير، الكفايات التواصلية، اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، ط1، منشورات طوب إديسون، المغرب، 2007، ص224.

فعل الإنكار والتوبيخ:

يقول الإبراهيمي في مقال بعنوان "عيد الأضحى وفلسطين": « ليت شعري! ... هل أتى عُبَّادَ الفَلْسِ والطّينِ ، ما حلَّ ببني أبيهم في فلسطين ؟ »[1].

يحمل هذا المثال قوتين إنجازيتين الأولى قوة إنجازية مباشرة متمثلة في الاستفهام والثانية قوة إنجازية مستلزمة غرضها الإنكار بحيث يوقظ هذا الخطاب وهذا الفعل عباد الفلس فيهبوا لنصرة إخوانهم في فلسطين بالمال ويدخل هذا الفعل الكلامي في خانة توجيهات إلا أنّ التوجيه في هذه الحالة يكون عبر استراتيجية تلميحية معتمدا في ذلك على مبدأ التعاون.

فعل الأسى والحزن:

وفي هذا يقول الإبراهيمي: « يا عيد... بأيّة حال عدت*، وبأيّ نوال جدت لهذه الأمم التي تتشوف إلى هلالك ، وتتطلع إلى إقبالك ؟ »[2].

يبدو هذا الاستفهام للوهلة الأولى استفهاما يراد منه الطلب غير أنّه ينصرف إلى فعل وقوة إنجازية مستلزمة من السياق وهي فعل الأسى والحزن العميقين اللذين أصابتا المتكلم ، فهذا الفعل الكلامي يدخل في باب " الإفصاحات والتعبيرات"؛ بحيث يعبر المرسل عن موقفه الحزين على حال الأمة فتتوفر في هذا الخطاب ملامح الصدق وعند ذلك يتحقق الفعل التأثيري في المتلقي.

فهو عندما يعمد إلى استعمال أداة الاستفهام وصرفها من سياقها إلى سياق آخر يوفر على نفسه إنتاج مجموعة من الخطابات واستبدال خطاب واحد بها يؤدي معنيين هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم ولو اعتمد على إظهار نيته بطريقة مباشرة لكان الخطاب كالآتي: "جاء هذا العيد،والأسى والحزن يعم الأمم التي تتشوف إلى هلاله..." .

---

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص526.

* عيد بأي حال عدت يا عيد، هذا المقطع اقتبسه الإبراهيمي من قصيدة مشهورة للمتنبي مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد ، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت1983. ص506

[2] الإبراهيمي عيون البصائر ص529.

من هنا تظهر السّمة والعلامة الفارقة بين الخطابات المباشرة وغير المباشرة فقد أضفت هذه الأخيرة ملامح متعددة متضافرة من أبرزها السّمة الأدبية التي تسمح للمتلقي مواصلة القراءة مما يضمن عملية التأثير ، والسّمة الحوارية التفاعلية لأنّ المستمع يغوص في الغرض العميق لهذا الكلام.

والقرينة التي يستدل بها المتلقي للوصول إلى مرامي النص لغوية وهي لفظة "حال" فمعلوم أنّ العيد يأتي بالفرح والسرور، لكن في هذه السنوات يأتي فيها والأمة في حالة سيئة.

في هذه الحالة التخاطبية لا يظهر المتكلم حالة الأسى والحزن بنفسه وإنّما يجعل غيره يصل إليها فيحصل له نوع من التصديق والاقتناع لأنّ هذا نوع من الاستفهام « يحمل شحنة حجاجية؛ إذ يستجلب المتلقي ويشركه في عملية التواصل فيؤدي بذلك الاستفهام وظيفة تداولية حجاجية تستهدف إقناع المتلقي »[1]. وقد أسهم مبدأ التعاون القائم بين المرسل والمرسل إليه في إنتاج تأويلات دلالية من الفعل غير المباشر.

فعل التقريع والتقرير:

يقول الإبراهيمي:« ومن أباطيل الاستعمار وتهافته أنه يسمّي السوداني المتجنس بالجنسية الفرنسية ليومه أو لساعته فرنسيا؛ ويلحقه بنسبه ويساويه به في حقوقه ومميزاته ، ثم ينكر على البربري –مثلا– أن يكون عربيا بعد ما مرت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرنا وزيادة ، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلا من أجداده على الاستعراب لا يعرفون إلاّ العربية لغة يتكلمون بها ويتأدبون ويتعبدون؛ فليت شعري أيُّهما أقرب إلى الواقع آلبربري المستعرب أم السوداني المتفرنس؟ وأيُّهما أنفذ ؟ أحكم الله أم حكم الاستعمار ؟ »[2].

تخرج هذه الاستفهامات عن أصلها في هذ السياق فتصنع قوة إنجازية تتمثل في قرع الخصم بالحجة وإفحامه وتقرير المراد من الخطاب فهذه الاستفهامات تقع في أعلى درجة السلم الحجاجي

---

[1] محمد لشهب ، الروابط الحجاجية في المقامة ، مقامة النحو للزمخشري نموذجا، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم أحمد قادم سعيد العوادي ، ص 460 .

[2] الإبراهيمي، عيون البصائر ص 480.

بحيث تحتل مرتبة منطقية اقتضاها منطق الخطاب لأنّ المتكلم قد مهد لها بحجج سابقة متمثلة في (السوداني المتجنس ليومه والبربري الذي مرت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرنا).

بهذا الاستفهام التقريري يظهر أنّ المتكلم قد دحض المُنكِرَ لعروبة الشمال الإفريقي بحجة هي أقوى ما تكون ، بحيث يتولد عن هذا الاستفهام آلية استدلالية تصل لأكثر من تأويل حتى يصل المتلقي إلى النتيجة المرجوة من الكلام.

فعند عقده للمقارنة بين تجنس السوداني بالفرنسية واستعراب البربري يحكم وينتصر لعربية البربر بسبب تماهي الجنس البربري بالجنس العربي في اللّسان والعادات والتقاليد والديانة ، وحتى في العرق والشبه ولا يحكم قط بإلحاق السوداني المتجنس لبعد ما بين الفرنسي والسوداني وما بينهما من فروق فالسوداني يكون أسود البشرة والفرنسي أبيض ولم يمر على تجنسه سوى يوم واحد وليس له من فرنسا سوى ورقة يزعم بها إلحاقه بالجنسية الفرنسية.

فالمرسل في هذا المثال ينجز فعلين لغويين؛ الأول يكمن في قرع الخصم بالحجة البالغة والثاني يكمن في تقرير حجته وإثباتها وهي الانتصار لعربية البربر.

وهذا الاستفهام المبدوء بحرف الهمزة يخرج عن ظاهره الذي هو الطلب إلى غرض آخر هو التقرير وقد أكد على هذا المعنى ابن جني حيث يقول: « ومثله خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير؛ ألا ترى أنّ التقرير ضرب من الخبر وذلك ضد الاستفهام »[1]، وعلى هذا تدخل هذه الأفعال اللّغوية في باب الإخباريات والتقريرات.

[1] ابن جني، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 04 ، ج2 ، ص465.

فعل النصح والتوجيه:

وفي هذا يقول الإبراهيمي: « اتركوا المناقشات الحزبية والخلافية السياسية لأهلها المضطلعين بها ، المنقطعين لها ودعوا كل قافلة تسير في طريقها واعلموا أنَّ كل من يدعوكم ليضلكم عن سبيل العلم فهو مضل »[1].

تحمل أفعال الأمر في هذا المثال قوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في النصح والإرشاد والتوجيه وتكمن الطاقة التأثيرية في هذه الأوامر في صدقها لأنّها تصنف ضمن الأعمال التوجيهية التي يراد بها النصح وصاحب النصيحة في الغالب يكون صادقا في نيته ، الأمر الذي يبعث الطمأنينة في نفس المتلقي كما أنّ هذه الأوامر تنجز فعلين لغويين في الوقت نفسه فهي تنجز فعل الأمر وفعل النهي.

ولعلنا في ختام هذا الفصل نقف على أهمية التداولية في دراسة الخطابات عموما والخطاب الحجاجي خصوصا؛ إذ تُخوِّلُ أدوات التداولية للدارس طرقا تسعفه للوصول إلى المقاصد ، وتدخل تحت اللسانيات التداولية تلك الروابط اللّغوية التي هي عنصر فعال في بناء النصوص وتماسكها وعندما يختار المرسل رابطا معينا في سياق ما فإنّه يدرك تمام الإدراك أنّ لهذا الرابط وظيفة دلالية لا يؤديها غيره في ذلك السياق ، وإذا كان استعماله لغرض الحجاج كان أنجع مثلما رأينا في التطبيقات السالفة على المدونة .

ومن الأسس التي ينبني عليها التحليل التداولي للخطاب ما يعرف "بالاستلزام الحواري" و"أفعال الكلام" ؛ إذ هما آليتان تساعدان في البحث والتنقيب عن المعاني البعيدة والتي لا يمكن الوصول إليها إلاّ عن طريق الاستدلال .

---

[1] الإبراهيمي ، عيون البصائر، ص 218.

الخاتمة

عالجنا في هذه الدّراسة قضية تهتم بالحجاج والتواصل اللّغوي والآليات التي تفضي بالباثّ إلى التأثير في المرسل إليه ، وقضية الحجاج قضية ثاويةٌ في جميع النصوص والخطابات بأنواعها المختلفة وقد لامس الحجاج جميع الحقول المعرفية كعلوم الاتصال وعلم الاجتماع وعلم النّفس.

ولّما كان خطاب الإبراهيمي نصا لغويا متماسك الأجزاء يهدف فيه إلى التغيير في المجتمع الجزائري في حقبة الاستعمار ، تبوأت فيه الحجة مكانة مرموقة ، وقد حاولنا في هذه الدراسة الوقوف على هذه المحطات الحجاجية على اختلاف ألوانها فتكشّفت لنا مجموعة من النتائج التي نوجزها فيما يأتي :

– إنّ الحجاج مصطلح قديم ظهر في التراثيين اليوناني والعربي ، وظهر عند العرب بعدة معان كالجدل والبرهان وظهر في سياق الحديث عن البلاغة والمناظرات .

– وارتبط الحجاج عند العرب بالمتكلمين والمناطقة في إثبات صحة معتقداتهم وإبطال معتقدات غيرهم .

– كما أنّ الحجاج عند اليونان ارتبط بالفلسفة ، فهو عند السوفسطائيين قوة تأثير المحاجج حتّى وإن كانت حجته خاطئة ، مستعملين في ذلك القياس المغالطي وكذا الإثارة العاطفية ، فحجاجهم قائم على التملّق ، أمّا عند أفلاطون ارتبط بمثاليته التي تدعو إلى العلم والخير، وقد عمل على نقل الحجاج من مجال الظن والاحتمال إلى مجال الحقيقة ، كما خالف أرسطو أفلاطون وذهب إلى أنّ البرهان أقدر الأقوال على قول الحقيقة قبل الجدل والخطاب والشعر، فكان الحجاج عندهم عبارة عن مناظرات وجدل وبرهان ، فناقشوه تحت عدة مسميات.

– وفي التصور الحديث مع بيرلمان وتيتيكا للحجاج يتجاوز تصورهما تصور أرسطو ، فالغرض من الحجاج عند أرسطو هو الإقناع ، والغرض منه عندهما هو حصول الإقتناع ، الذي تغيب فيه كل القوى القصرية والإجبارية ، وتأتي مكانهما أفعال الخيار والمناقشة والقابلية للأخذ والرد أمرا ممكنا حتى يحصل القبول والتسليم ، الذي يستلزم التأثير والإقناع.

– إنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية انطلاقا من الفرضية المشهورة " نحن نتكلم عامة بقصد التأثير".

– كما أنّ البلاغة تنضوي تحتها أساليب إمتاعية وإقناعية يصل إليها المتلقي عن طريق المساءلة.

– مقالات البشير الإبراهيمي تحمل في طياتها طابعا حجاجيا خاصا ، مزج فيها صاحبها بين بلاغة الإمتاع وإستراتيجية الإقناع.

– وأثناء تحليلنا لبعض النماذج في نصوص الإبراهيمي نجده دائما يركز على تقديم النتيجة ثم إدراج الحجج لتدعيم هذه النتيجة أو العكس ، وقد تكون النتيجة مضمنة فنقوم باستخلاصها من مقاصد المتكلم بالاعتماد على سياق النص ، ثم يوجهها وجهة حجاجية وذلك انطلاقا من المقاصد.

– ونرى أنّ بناء نص المقالات حجاجيا ، من حيث الشّكل يشبه إلى حد بعيد الشكل الحجاجي المتواتر في النص الحجاجي العربي ، وهو الشكل القائم على هذا الترتيب: مقدمات، دعوى، تبرير تدعيم ، وهذا الشكل يتسم بالمنطقية التي تعد من أسس الحركة الحجاجية؛ إذ تعطي ترابطا منطقيا بين العلاقات الدلالية العامة للمقالات.

– نلاحظ كذلك اعتماد الإبراهيمي على "التدعيم" باعتباره مكونا أساسيا من مكونات الحجاج ووسيلة من الوسائل المنطقية الدلالية ، المعتمدة فيه ، وهو في أكثر الحالات عبارة عن أدلة منطقية وشواهد ، وأمثال مدعمة لصحة الدعوى ، وقد تَجسّد التدعيم في خطابه بثلاثة وجوه: التدعيم بالدليل ، التدعيم بالقيمة ، التدعيم بالمصداقية.

– وقد وظف الإبراهيمي القياس بأنواعه؛ القياس المنطقي، القياس المضمر ، القياس المتدرج ، وهذا ليصل المتلقي بطريقة تدريجية إلى النتائج عبر طريقة استدلالية من قبله وبالتالي لا يمكنه الاعتراض عليها.

– إنّ الأقوال تتفاوت في درجات إقناعها ، مما يجعلها تتفاضل في درجات السلم الحجاجي لذلك يفضل الباثُّ الارتقاء من الحجة الأدنى إلى الأعلى حتى يكون حجاجه منطقيا وفعالا.

– ويعتبر خطاب البشير الإبراهيمي خطابا حجاجيا بامتياز حيث وظّف فيه ترسانة من وسائل الإقناع البلاغية واللغوية.

– إنّ الأقوال الاستعارية لها قوة حجاجية عالية مقارنة مع الأقوال العادية لهذا يختارها المتكلم .

– وكذلك التشبيه يعتمده المتكلم في مجال المقارنة بين الأشياء عبر تحديد أوجه الشبه بين طرفي التشبيه ليصل إلى تلك الروابط عبر الخاصية الاستدلالية التي تتضمنها الوسائل البلاغية.

– كما أنّ الصور البيانية تخلق للقارئ مشاهد تفرض عليه إعادة قراءتها وصياغتها ليصل إلى المعنى ، وبعدها إلى الإقتناع بالنتيجة التي استنبطها .

– اعتمد البشير الإبراهيمي على الخطاب الحجاجي البلاغي ، حتى يجعل خطابه مؤثرا ومقنعا ،لأنّ اللبس (الإضمار)، والمجاز في الحجاج يكسبه قوة حجاجية عالية.

– تُكسِبُ الحجج البلاغية النّص فعالية وحيوية بانفتاحها على التلقي و التأويل؛ بحيث تنتهي مهمة المتكلم لتبدأ مهمة المتلقي فهي إذن عملية تفاعلية و تحاورية بينهما.

– في ظل براعة الإبراهيمي اللّغوية أصبح للمحسنات البديعية الشكلية دور مهمٌ في استراتيجية الإقناع؛ فإضافةً إلى أدوارها التجميلية للخطاب أضحت لها أدوارا تداولية و تأثيرية.

– ويمكن النظر إلى الوسائل البلاغية نظرة جمالية بالإضافة إلى النظرة الحجاجية التي تؤدي الدور الأساس في نصوص المقالات.

– كما لعبت الروابط الحجاجية ، دورا هاما في نصوص الإبراهيمي؛ فقد أضفت على النّص انسجاما وترابطا محافظة على الانسجام والاتساق الشامل للخطاب ، مما سمح بتدرج وتسلسل القضايا ، الشيء الذي يسند لكل قول دورا حجاجيا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة.

– واعتمد الإبراهيمي على الإضمار في توظيفه للاستلزام الحواري الذي يتجاوز فيه المتلقي دلالة الجملة الوضعية إلى الدلالة المستلزمة.

– ومن خلال مساءلتنا لنصوص الإبراهيمي بما يخص نظرية أفعال الكلام ، نجدها موظفة بطريقة فريدة تؤثر في المتلقي عن طريق استعمال الأمر والنهي وغيرها من الأساليب اللّغوية التي تخرج عن

مقتضاها اللّغوي الحقيقي إلى إفادة أغراض تواصلية الغاية منها تحقيق تلك الأفعال الكلامية في أرض الواقع.

الملحق

إنّ الحديث عن البشير الإبراهيمي هو حديث عن نهضة جزائريةٍ لجميع أشكالها وعن تحرر فكري يستمد معالمه من مشاعل نورانية أنارت درب السلف الأوائل وكانت مقوما فعالا في صمود الحضارة العربية في أزهى عصورها وهذه المقومات التي ارتكزت عليها نهضة الجزائر في محاربة الاستعمار هي " اللّغة والدين " فقد كان الإبراهيمي نظرا لتكوينه ونشأته ينهل من هذا المعين العذب الزُّلال الذي صقل به تجربته العلمية والفكرية .

أولا: البشير الإبراهيمي المولد والنشأة:

ولد البشير الإبراهيمي بن محمد السعدي الإبراهيمي بقرية " رأس الوادي "[1] بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في 14 يونيو 1889 وفي بيت أسس على التقوى ، من بيوت العلم والدين وقد نشأ في بيت كريم من أعرق البيوت الجزائرية إذ يعود بأصوله ونسبه إلى الأدارسة الأشراف بالمغرب ، وقد خرج الإبراهيمي من هذه الأسرة علما من أعلام الجزائر ، حيث حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي اكتشف مواهبه المبكرة وكان له الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه ، حتى جعل منه ساعده الأيمن.

وفي سن التاسعة حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ألفية ابن مالك ومعظم الكافية له ، وألفية ابن معطي الجزائري ، وألفيتي الحافظ العراقي في السِّيَرِ والأثر ، كما حفظ كتاب المحتفظ للأجدابي الطرابلسي ، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني ، وكتاب الفصيح لثعلب ، وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب السِّكيت [2] ويُشيدُ بهذه الكتب ، فيقول: « وهذه الكتب الأربعة هي التي كان لها معظم الأثر في ملكتي اللغوية »[3] ، لذلك يعتبر البشير الإبراهيمي بهذه الذاكرة الفذّة الفريدة ، حافظا ساعدته هذه الآلية من جمع العلوم المختلفة وتحصيلها في وقت مبكر ، كونت له ملكة لغوية ضارعت في أصالتها وأسلوبها العرب الأوائل.

---

[1] تم جمع هذه المعلومات حول حياة الشيخ من – البشير الإبراهيمي – آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيم ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1، 1997، مقدمة الجزء الأول

[2] محمد البشير الإبراهيمي ، أنا ، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ج:21، 1386هـ

[3] المرجع نفسه، ص 136.

ثانيا: رحلته الأولى إلى المشرق(1911–1920).

وهكذا الإبراهيمي يواصل مسيرته العلمية رغبة في إشباع نهمه العلمي وطلبا للعلم على يد أفذاذ العلماء في ذلك العصر ولا يحصل له هذا إلاّ برحلة في سبيل ذلك ، فقرر الهجرة إلى بلاد المشرق ، تقريرا للتفاعل بين المشرق والمغرب ، حيث قد هاجر والده " السعدي الإبراهيمي " إلى المدينة المنورة عام 1908، هروبا من ظلم فرنسا، فالتحق به الإبراهيمي مرورا بمصر التي أقام فيها ثلاثة أشهر، التقى خلالها بعدد من علمائها وأدبائها وشعرائها.

وبدأها بدروس العلم في الأزهر وبمعرفة أعلامه أمثال: الشيخ سليم البشري ، والشيخ محمد بخيت والشيخ يوسف الدجوي والشيخ عبد الغني محمود والشيخ السمالوطي ، والشيخ سعيد الموجي وغيرهم من الذين كانت دروسهم تدور في فلك أصول الحديث واللغة والدرس البلاغي والفقه ، ثم ختم هذه الزيارة إلى القاهرة بزيارة الشاعرين الكبيرين " أحمد شوقي وحافظ إبراهيم" وقال عن أحمد شوقي: «وأسمعته عدة قصائد من شعره من حفظي فتهلل رحمه الله واهتز ».[1]

وقال عن حافظ إبراهيم : «اجتمعت بشاعر النيل حافظ إبراهيم في بعض أندية القاهرة وأسمعته من حفظي شيئا من شعره كذلك ».

وبعد أن التقى بأبرز علماء مصر في الأزهر الشريف ، استكمل وجهته العلمية نحو المدينة المنورة فاتصل بأبرز علمائها وهما الشيخ العزيز الوزير التونسي ، والشيخ حين أحمد الفيض أبادي الهندي حيث قال عنهما: « فهما و–الحق يقال– عالمان محققان واسعا أفق الإدراك في علوم الحديث وفقه السنة»[2] .

[1] محمد البشير الإبراهيمي ، "أنا" ، ص 137.

[2] نفسه ، ص138

فدرس علوم التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتراجم، وأنساب العرب وأدبهم ودواوينهم كما درس علم المنطق والحكمة المشرقية ، وأمهات كتب اللغة والأدب، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي ، ويقضي أوقات فراغه في المكتبات العامة والخاصة بحثا عن المخطوطات.

والتقى خلال إقامته بالمدينة المنورة في موسم الحج عام 1913، بالإمام عبد الحميد بن باديس، وما من شك في أنّ تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء ، وفي سنة 1917، انتقل الإبراهيمي إلى دمشق، حيث دعته حكومتها لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية (مكتب عنبر) وهي المدرسة العصرية الوحيد آنذاك بالإضافة إلى إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي ، وقد تخرج على يده جيل من المثقفين كان لهم أثر في النهضة العربية الحديثة.

وظل الإبراهيمي يواصل نشاطه العلمي والثقافي في إلقاء المحاضرات والندوات وقاعات التدريس في المدرسة السلطانية [1] فكانت هذه الدروس مثبتة لكفاءة الشيخ وبراعته العلمية ومن الطلبة الذين تخرجوا على يد الإبراهيمي الدكتور جميل صليبا، والدكتور أديب الروماني والدكتور المحايري والدكتور عدنان الأتاسي[2] .

ثالثا: عودة الإبراهيمي إلى الوطن(الإرهاصات والبوادر):

تعد الرحلة الأولى التي قضاها الإبراهيمي متنقلا بين حواضر العلم والمعرفة هي المرحلة الأهم في حياته حيث صقل تجربته وكون شخصيته ، ليقرر بعد ذلك الرجوع إلى الجزائر سنة 1920 وفي ذهنه وعقله حركة ونهضة تحي الإسلام والعربية في الوطن وتنشر العلم وتبعث في الأمة الحياة والأمل ، وقد أعجب بما وصل إله رفيقه في الإصلاح عبد الحميد بن باديس من نتائج مثمرة حققها مثلت حركة ونهضة ثقافية وصحفية بمدينة قسنطينة .

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي. "أنا" ص 140

[2] نفسه ، ص 140.

فأقام الإبراهيمي بمدينة سطيف ، وأنشأ بها مدرسة ومسجدا بعد أن رفض الوظيفة التي عُرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية ، وتعاطى التجارة ليقوم بإعالة أهله ، وبقي على اتصال بابن باديس خلال هذه المرحلة ، وتردد على مدينة تونس حيث كان يقيم أصهاره ، وكان له أصدقاء في الأوساط العلمية والأدبية.

آمن الإبراهيمي بفكرة الإصلاح التي تقوم على الجهاد بالعلم الذي يقوم على إحياء المعالم الإسلامية الصحيحة وقمع البدع والضلالات ، وقد رأى الإبراهيمي حين عودته أنّ ابن باديس قد وضع حجر الأساس للنهضة العربية في الجزائر من توافد كثير من الطلاب من الجبال والسهول حتى ضاقت بهم مدينة قسنطينة « وأنّ هذه المجموعة من التلاميذ التي تناهز الألف هي الكتيبة الأولى من جند الجزائر ولمست بيدي آثار الإخلاص في أعمال الرجال ، ورأيت شبابا ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة ، وتركيب عربي حر ، ومعان بليغة ، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمة »[1] .

وفي عام 1931 تأسست " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " كرد إيجابي على احتلال فرنسا بمرور قرن على الاحتلال الجزائر، بعدما أيقنت أن الجزائر قد أصبحت إلى الأبد قطعة منها مسيحية الدين فرنسية اللسان ، وأسس فيها " مدرسة دار الحديث " سنة 1937 بنيت على تصميم هندسي أصيل ، فكانت مركز إشعاع ديني وعلمي وثقافي ، واحتوت على مدرسة ومسجد وقاعة محاضرات.

فدرس الإبراهيمي مع ابن باديس الأوضاع السياسية والأحوال الاجتماعية في الجزائر في محاولة لتشخيص المرض ومعرفة كيفية معالجته ، كما يقول الإبراهيمي بنفسه: «كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة أنّ البلاء منصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه أو بعبارة واضحة من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتحرقان لحمه ، ويفسدان عليه دينه ودنياه استعمار مادي هو

[1] الإبراهيمي ، أنا ، ص 141.

الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه المنجرون باسم الدين »[1].

وواصل الإبراهيمي جهده ونضاله العلمي في إنشاء جيل مثقف ومتعلم له حرز منيع من الثقافة والتاريخ العربي والإسلامي ، وذلك كله بفضل دروسه ومحاضراته التي كان يلقيها بلا انقطاع حيث يقول: « فكنت ألقي عشرة دروس في اليوم ، أبدأها بدرس الحديث بعد صلاة الصبح ، وأختمها بدرس في التفسير بين المغرب والعشاء وبعد صلاة العتمة ..فألقيت في الحقبة الموالية لظهور الإسلام من العصر الجاهلي إلى مبدأ الخلافة العباسية بضع مئات من المحاضرات».[2]

فتعد هذه المحاضرات التي ركز عليها الإبراهيمي في تاريخ العرب في الجاهلية إلى العصر العباسي حلقة تربط الجزائري بماضيه وتاريخ أجداده ليحافظ على هويته وشخصيته الإسلامية العربية التي كاد أن يقضي عليها الاستعمار، لولا جهود علماء الجمعية في ذلك الوقت.

وبعد معرفة المستعمر للجهود المبذولة من قبل الإبراهيمي في سبيل نهضة علمية تبعث الرعب في نفوس المستعمرين ، قررت فرنسا نفي النشير الإبراهيمي إلى قرية آفلو في الجنوب الغربي من الوطن في مطلع الحرب العالمية الثانية، وبعد أسبوع من نفيه تلقى خبر وفاة رفيقه الإمام عبد الحميد بن باديس وخبر انتخابه رئيسا لجمعية العلماء المسلمين.

تحمل قيادة جمعية العلماء غيابيا وتولى إدارتها بالمراسلة طول الأعوام الثلاثة التي قضاها في المنفى ، وبعد إطلاق سراحه عام 1943، أصبح قائدا للحركة الدينية والعلمية والثقافية في الجزائر، يجوب ربوعها معلما وموجها ومرشدا يوحد الصفوف ويؤسس المدارس والمساجد والنوادي ويهيئ العقول لساعة الصفر التي كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية.

---

[1] الإبراهيمي، أنا ، ص 145.

[2] المرجع نفسه ، ص 146.

وقد أدخل السجن بعد أحداث ماي 1945 وبقي فيه عاما كاملا ذاق فيه الأمرّين في زنزانة تحت الأرض حيث الظلمة والرطوبة ، مما استدعى نقله إلى المستشفى العسكري بقسنطينة فتحمل هذه المحنة بصبر المجاهد ويقين المؤمن.

وفي سنة 1946 استأنف نشاطه فبعث جريدة " البصائر " من جديد في السنة الموالية بعد أن توقفت أثناء الحرب ، وأشرف على تحريرها كما أسس معهدا ثانويا أطلق عليه اسم رفيقه وصديقه المرحوم " عبد الحميد بن باديس " في قسنطينة حظيت شهادته بالاعتراف من قبل الجامعة الزيتونية ومن معاهد الشرق العربي ومن هذا المعهد تخرج رجال قادوا الثورة المسلحة منهم من استشهد في الجهاد الأصغر ومنهم من ساهم غداة الاستقلال في إعادة بناء هذا الوطن كقياديين أو إطارات سامية في الدولة فكان منهم السفير والوالي والمحافظ القائد العسكري والأستاذ ومدير الجامعة...الخ.

وتعتبر مقالاته الافتتاحية لجريدة البصائر التي جمعها لتطبع في كتاب سماه "عيون البصائر " أعمالا لها دور الفعال في جميع القضايا المصرية في القطر الجزائري أو العالم العربي.

رابعا الرحلة المشرقية الثانية (1952–1962).

شد الإبراهيمي رحاله إلى المشرق العربي مرة ثانية عام 1952 بطلب من أعضاء الجمعية ليسعى لدى الحكومات العربية لقبول بعثات طلابية جزائرية في معاهدها وجامعاتها وطلب الإعانة المادية والمعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها وجهادها والتعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط السياسية في الدول التي زارها أو التقى بمسؤوليها.

وقد اتخذ من مصر منطلقا لنشاطه ورعى فيها أولى البعثات الطلابية وكان سفيرا للجزائر وصوتها المدوي يلقي المحاضرات والدروس والأحاديث الإذاعية قبل الثورة التحريرية وفي أثناها،وقد زار في هذا الشأن –بعد مصر- كلا من المملكة العربية السعودية والعراق وسوريا والأردن والكويت وباكستان ووجه يوم 15 نوفمبر 1954 –بعد أسبوعين من اندلاع الثورة – نداءً إلى

الشعب الجزائري يدعوه حول الالتفاف حول الثورة المسلحة وخوض حياة العزة والكرامة وكان هذا النداء إسكاتا لكل من يريد التشكيك في شرعية الجهاد باسم الدين.

خامسا عودة الإبراهيمي إلى الوطن ووفاته :(1962–1965)

و بعد الاستقلال الجزائري عاد الإبراهيمي إلى وطنه ليواصل مسيرته الإصلاحية وتدعيم القواعد التي أسسها رفقة أصحابه من علماء الجمعية.

إلا أنّ هذا النشاط لم يكن مثل ما كان في السابق بسبب تدهور حالته الصحية من جهة وبسبب سياسة الدولة التي شعر أنّها زاغت عن الاتجاه الإسلامي ، فانحصر نشاطه في حادثتين:

-إلقاء أول خطبة جمعة بعد استعادة الاستقلال ، افتتح بها مسجد " كتشاوة " بالعاصمة الذي رجع كما كان مسجد بعد أن حوله الاستعمار إلى كاتدرائية طوال قرن وثلث ، وقد ألقى الإبراهيمي هذه الخطبة المشهورة بحضور وفود جميع الدول العربية والإسلامية.

- اصدار بيان 16 أفريل 1964 الذي دعا فيه السلطة آنذاك للعودة إلى الحكمة والصواب إلى جادة الإسلام ، بعد أن رأى البلاد تنحدر نحو الحرب الأهلية ، وتنهج نهجا ينبع من مذاهب دخيلة مضادة لعقيدتنا وروحنا وجذورنا.

وبعد كفاح وجهاد طويلين تلقى الجزائريون والعالم العربي خبر وفاة العلامة الهمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله رحمة واسعة في يوم الأربعاء 19 ماي 1965 عن عمر يناهز ستة وسبعين عاما ودَفن الشعبُ جثمان فقيده بمقبرة (سيدي محمد) بالجزائر العاصمة بعد أن أقيمت عليه صلاة الجنازة بالجامع الكبير يوم الجمعة 21 ماي 1965 وكان ممن حضر الرئيس الراحل هواري بومدين والشاعر الكبير محمد آل خليفة.

سادسا: منزلة الإبراهيمي وآراء العلماء فيه:

لا يخفى على كل عاقل وصاحب علم منصف منزلة الإبراهيمي المرموقة العالية التي لطالما عرفت في أواسط العلماء في تلك الفترة ، فقد كانت شخصيته شخصية فذّة ، اجتمعت فيه صفات الإمامة في الدين والعلم والمعرفة والكتابة والفكر والأدب ، فكان شاعرا مجيدا وخطيبا

مصقعا ومصلحا اجتماعيا ، صاحب مشروع نهضوي في الجزائر ، قال عنه العربي التبسي: «إنّ الإبراهيمي فلتة من فلتات الزمان ، وأنّ العظمة أصل في طبعه»[1] .

وتكمن هذه العظمة في قلب الإبراهيمي المخلص ، المحب لدينه ووطنه ، وكان محبا للخير يمشي في قضاء حوائج الناس ، نالت أعطافه القريب والرفيق والسائل والمحروم والمريد والتلميذ،كل منهم يجد فيه الأب الشفيق ، والأخ الصديق الذي لا يبخل بجهده وماله ، وكانت الخصال البارزة فيه الإيثار والحلم والوفاء.

وفي معرفة مترلته العلمية يقول الأستاذ: أحمد المدني، عندما تبوأ كرسيه في مجمع اللّغة العربية بالقاهرة: «...فتقدم الإبراهيمي الأمين يحمل الراية باليمين، لا يأبه للمكائد ولا للسجون ولا يبالي ، بالمنافي في الفيافي، بل دخل المعمعة بقلب أسد وفكر أسد ووضع في القوى المتشاكسة يومئذ تلك الصفات التي أودعها الله فيه:

- علما غزيرا فياضا متعدد النواحي ، عميق الجذور.
- واطّلاعا واسعا عريضا يخيل إليك أنّ معلومات الدنيا قد جمعت عنده.
- وحافظة نادرة عزّ نظيرها.
- وذاكرة مرنة طيّعة جعلت صاحبها أشبه ما يكون بالعقل الإلكتروني.
- ...كدائرة معارف جامعة سهلة التنازل من علوم الدين التي بلغ فيها مرتبة الاجتهاد بحق،إلى علوم الدنيا مهما تباينت واختلفت إلى شتى أنواع الأدبين القديم والحديث بين المنظوم والمنثور إلى تاريخ الرجال والأمم والدول، إلى أفكار الفلاسفة والحكماء من كل عصر ومصر إلى بدائع الملح والطرائف والنُّكتِ كل ذلك انسجم مع الذّكاء الوقاد ونظرات نافذة تخترق أعماق النفوس وأعماق الأشياء.
- وفصاحة اللّسان وروعة البيان وإلمام شامل بلغة العرب لا تخفى عليه منها خافية وملكة في التعبير مدهشة جعلته يستطيع معالجة أيّ موضوع ارتجالا على البديهة، إما ناثرا أو نظما.

[1] كل ما لا يشار إليه بمرجع فهو من كتاب آثار الإبراهيمي، مصدر السابق، ج:1، ص 16.

- ودراية كاملة بجميع ما في الوطن الجزائري، يحدثك حديث العليم عن أول سكانه وقبائله وأنسابه ولهجاته وعادات كل ناحية منه، وأخلاقها، وتقاليدها، وأساطيرها الشعبية وأمثالها وإمكاناتها الاقتصادية وثرواتها الطبيعية.
- كل ذلك قد تُوِّجَ بإيمان صادق وعزيمة لا تلين، وذهن جبار منظم يخطط عن وعي ينفذ عن حكمة وقوة دائبة على العمل، لا يعرف الكلل والملل.
- هذا البطل الذي اندفعنا تحت قيادته الموفقة الملهمة نخوض معركة الحياة التي أعادت لشعبنا بعد كفاح طويل لسانه الفصيح ودينه الصحيح وقوميته الواعية الهادفة »[1].

تتبوأ هذه الشخصية العلمية مكانتها في إمامة الدين الدنيا لكونه عالما شاملا محققا في كثير من فنون العلم والمعرفة بذكاء وموهبة خارقة في الاستيعاب والاستنباط والاجتهاد ، فوظّف هذا كله لخدمة الدين والوطن والأمة ، فاستحق بحق منزلة الريادة والقيادة ، قال عنه أحد تلامذته وهو الأستاذ عبد المجيد مزيان: «ونشهد كما عرفناه نحن تلامذته أنّه كان من أعلم أهل عصره بالعلوم الإسلامية والعربية كان إماما لا نظير له في علوم الحديث وكانت نيته أن ينشىء مدرسة مغربية للحديث لو ترك النضال الفاتك بوقته قليلا من الوقت وقد أنشأ مدرسة " دار الحديث " لهذا الغرض بعيد الأهداف.

وكان مفسرا للقرآن في دروس العمومية ودروس الطلبة الخواص أتى فيها بإبداعات سجلتها عنه ذاكرة الرجال، ولو لم تجمعها المكتوبات، وكان معلما للتاريخ الإسلامي ببراعة تحليل وسعة نظر بتطرق إلى فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع والأخلاق لينير التاريخ بمنظار الفكر الإسلامي والالتزام الأخلاقي الذي تدعو إليه النهضة الثقافية والإصلاح ، وكان أستاذاً في اللغة والآداب العربية يجمع بين الأصيل والجديد وإن كان في أسلوبه الخطابي معجبا بروائع البلاغة العربية متعطشا لآثار الفطاحل المبدعين في العصور النيرة من الجاحظ إلى ابن خلدون.

[1] أحمد مدني ، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع:24، يناير 1969.

وكان مع هذا كله قدرة في سهولة المعاملة والاتصال بشوشا مرحا في مجالسه واسع الصدر في ممارسة المسؤوليات متفجر الحيوية في أنشطة الثقافية كاتبا وخطيبا وصحفيا وأستاذ وإمام »[1]

وقام الإبراهيمي بوظيفة العالم أحسن قيام في جميع مراحل حياته، رافضا كل وظيفة أخرى تمتُّ بصلة إلى الوظائف الحكومية في ذلك الوقت ، لأنّه كان يراها رقا وخيانة .

وفي حرب التحرير الجزائرية (1954-1962) أعلن تأييده للثورة الجزائرية فور اندلاعها قبل كل الشخصيات المعروفة آنذاك وقدم للثورة خدمات جليلة داعيا إليها منوها بعظمتها مطالبا الدول الإسلامية بدعمها بالمال والسلاح والدبلوماسية[2] ، وخلاصة القول إنّ الإبراهيمي بهذه الشخصية أعاد للأمّة الجزائرية في تلك الحقبة ثقتها بنفسها وأملها في الخلاص فقد كان ملهما لكثير من الشباب في ذلك الوقت من الذين فجروا الثورة الكبرى ، فوقف في الوجه المستعمر محافظا على أصالته الثقافية التي تستمد نورها من الأصالة العربية الإسلامية.

وإذا أردنا ان نجعل خلاصة لرسالة الإبراهيمي فهي تتضمن هذه الكلمات الثلاث : الإسلام العروبة ، الجزائر.

الإسلام: انطلاقا من أنّ الإسلام الصحيح المصفى هو عماد مشروع الإبراهيمي النهضوي الذي كرس له حياته عبر المدارس والنوادي والمساجد والمؤلفات كل هذا لأجل أن تصبح الأمة متماسكة متضامنة الأعضاء فتستطيع الخروج من أطناب الجهل الضارب فيها لُمدد من الزمن والإسلام هو الذي يضمن للأمة الجزائرية التحرر من ظلم واستبداد المستعمر أو تحرير العقول من الأفكار الهدامة المنحرفة عن الدين « والتحرر الذي جاء به الإسلام شامل لكل ما نقوم به في الحياة وتصلح عليه المعاني والأشخاص والدين الإسلامي لا يفهم التحرير بالمعنى الضيق وإنّما يفهمه

[1] عبد المجيد مزيان ، مجلة الثقافية، الجزائر، ع:87، ماي1985، ص 8.

[2] الإبراهيمي ، آثار الإمام الإبراهيمي، ج: 5، حيث أغلب هذا الجزء أحاديثه عن الثورة التحريرية.

على أنه إطلاق من كل تقييد أو تعديل لوضع منحرف أو إنصاف لضعيف من قوي أو نقل شيء من غير نصابه إلى نصابه »[1].

العروبة: يهتم الإبراهيمي في كثير من محاضراته وكتاباته لقضية العربية والعروبة وهذه الأسباب منها: أنّ العرب من أعرق الأمم في التاريخ وأنهم من أكثرها محافظة على الفطرة الإنسانية يشيع ذلك في أمثالهم وآدابهم وأخلاقهم ولأن الله أكرمهم باختيار آخر أنبيائه وخاتم رسله منهم لأنّ فرنسا عملت طيلة وجودها بالجزائر على تحقير العروبة والتقليل من شأنها في أعين الجزائريين لسخطهم وأبعادهم عنها لذلك ركز الإبراهيمي على إحياء اللغة العربية وغرسها في نفوس الطلبة حتى يبقى مشعلها قائما في الجزائر لا يريم ولا يبرح.

الجزائر: يعتز الإبراهيمي كثيرا بوطنه الجزائر وهو اعتزاز وحب تقتضيه الفطرة والجِبِلَّةُ إلى مسقط الرأس ، والحنينُ إلى الذكريات ، لذلك كانت الجزائر شغل خواطره ونجوى سرائره فكان يلقى الأذى في سبيل هذا الوطن لذيذا ولعل مقاله: " تحية غائب كالآيب " من أبلغ ما كتب في حب الوطن.

سابعا : مؤلفاته وآثاره .

نذر الشيخ البشير الإبراهيمي كل حياته ووقته للجزائر وأبنائها تربية وتوعية وإرشادا، فلم يسعفه الوقت لجمع كتاباته وطبعها وهذا السبب منشؤه أنّ الإبراهيمي بجهوده في الدعوة والإصلاح والظروف التي مرت بها الجزائر في ذلك الوقت ،لم تسمح له بطبع أعماله ويوضح السبب بنفسه قائلا: «لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا ولكنّني أتسلى بأنّني ألفت للشعب رجالا وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا»[2] ، ويقول أيضا: «لأنّني لم أشأ أن أخلط عملا عموميا للجزائر بعمل شخصي لنفسي »[3] .

---

[1] الابراهيمي ، آثار الإمام الإبراهيمي ص 94.

[2] محمد البشير الإبراهيمي ، "أنا"، ص 151.

[3] نفسه، ص 154.

والمعروف عن كتابات البشير الإبراهيمي مقالاته التي كانت في صدارة الجرائد الجزائرية مثل " البصائر"أو العربية مثل " الأهرام" و " المنهل" و "الإرشاد " " ومنبر الشرق " وقد جمعت هذه المقالات في حياة الشيخ وتحت إشرافه في كتاب سماه " عيون البصائر " وصدر لأول مرة سنة 1963م، بدار المعارف في القاهرة ، وقد حوى الكتاب المقالات الافتتاحية التي نشرت بجريدة البصائر بعد عودتها للصدور عند انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وبعد وفاة الشيخ الإبراهيمي- رحمه الله- اجتهد ابنه الدكتور " أحمد طالب الإبراهيمي" في جمع آثار أبيه رفقة تلاميذ والده ، وطبعها في عدة أجزاء بعنوان: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، فصدر الجزء الأول منها سنة 1978م ، ثم صدر الجزء الثالث سنة 1981م ، ثم صدر الجزء الرابع سنة 1985م ، أمّا الجزء الخامس فقد صدر سنة 1994م، في حين مثل الجزء الثاني من آثاره كتاب (عيون البصائر).

وواصل ابنه أحمد طالب الإبراهيمي مسيرته في تنقيح هذه الآثار وترتيبها وفق تسلسل زمني، من خلال البحث عن المخطوطات المفقودة أكانت عند زملاء والده أو أصدقائه داخل الجزائر أو خارجها ، أو عند تلاميذه خاصة الذين شاركوا في حرب التحرير الجزائرية ، فصدرت الطبعة الأولى لآثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي سنة 1997م.بـــ (دار الغرب الإسلامي)(بيروت) في خمسة أجزاء لكل جزء منها فترة زمنية من حياة الشيخ كما سيأتي:

1- **الجزء الأول:** مثل الفترة ما بين (1929م-1940م) وضم مقالاته التي كان ينشرها في جريدتي (الشهاب) و(البصائر) بعد عودته من رحلته المشرقية الأولى إضافة إلى أعماله قبل وبعد التأسيس " جمعية العلماء المسلمين".

2- **الجزء الثاني:** مثل الفترة ما بين سنتي (1940-1952) وتتمثل في إنجازاته وأعماله التي كان فيها رئيسا "للجمعية".

3- **الجزء الثالث:** ضم مقالاته (عيون البصائر)

4- **الجزء الرابع:** وقد ضم فيه فترة مابين سنتي (1952-1954) واحتوى على ما نشره الإبراهيمي في الصحافة العربية من جرائد مجلات مثل: (الأخوة الإسلامية) و(المسلمون) و(المنهل) و(منير الشرق) و(الارشاد) و(الأهرام).

5- **الجزء الخامس:** مثل مابين سنتي (1954-1964) وفيه كتابات الشيخ البشير الإبراهيمي في قضايا حساسة ومهمة أثناء الثورة التحريرية الكبرى أو بعد الاستقلال.

كما أنّ للشّيخ "البشير الإبراهيمي" مؤلفات أخرى متنوعة المواضيع والفنون فمنها القضايا اللغوية والدراسات الأدبية ، والمواضيع الإسلامية وهذه المؤلفات هي:

أ) المؤلفات ذات الطابع اللغوي:

1 كتاب" بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر" وقد تتبع فيه الإبراهيمي دراسة اللهجة السائدة في مواطن بني هلال بن عامر[1] .

2 كتاب " النقابات والنفايات في لغة العرب ، جمع فيه كل ما جاء على وزن (فعالة) من مختار الشيء ومرذوله.

3 كتاب: أسرار الضمائر في العربية.

4 كتاب: التسمية بالمصدر

5 كتاب: الصفات التي جاءت على وزن فعَل

6 كتاب: نظام العربية في موازين كلماتها.

7 كتاب: الاطراء والشذوذ في العربية.

8 رسالة: في الفرق بين لفظ المطّرد والكثير عند ابن مالك.

9 رسالة: في ترجيح أنّ الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاث أحرف لا اثنان.

10رسالة: في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.

ب) مؤلفاته في المجال الأدبي.

[1] ينظر: محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أديبا ، ص 70.

1) كتاب "عيون البصائر" وهو كتاب مختار للدراسة، ويضم بين دفتيه مجموعة منتخبة من المقالات السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية والفكرية وغيرها إضافة إلى بعض المقطوعات الشعرية، وهذه المقالات هي المقالات الافتتاحية التي كانت تتصدر بها جريدة " البصائر" في سلسلتها الثانية.

2) رواية كاهنة أوراس.

3) رواية الثلاثة: وهي عبارة عن مسرحية شعرية تشتمل على نحو (881) بيت كتبها الإبراهيمي في منفاه بمدينة (أفلو) طبع هذه المسرحية أحد تلاميذته وقدم لها وعلق عليها بشرح ألفاظها الغامضة[1] .

4) رسالة الضب: وهوبحث علمي أدبي يتناول فيه الكاتب وصفا دقيقا لحقائق علمية عن أصل هذا الحيوان وعن فصيلته ، وعن أسلوب حياته وصفات تكاثره وعن مضرب الأمثال به عند العرب في أشعارهم وكلامهم وقيمة هذا الحيوان في حضارات الأمم، وقد نزع الإبراهيمي في هذا منزع الجاحظ في كتاب " الحيوان"[2]

5) كتاب: ما أخلت به كتب الأمثال السائرة.

6) أرجوزة شعرية: سماها الإبراهيمي بـــ (الملحمة) نظمها في المنفى وهي تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت وقد تضمن فنونا في المواضيع من (تاريخ الإسلام ووصف لكثر من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا، وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله والهزل، ومحاورات أدبية رائعة بين الشيطان وأوليائه ، ووصف للاستعمار مكائده ، ودسائسه وحيله وتخديراته للشعوب للقضاء على مقوماتها[3] .

7) كتاب "آثار الإمام البشير الإبراهيمي"

---

[1] ينظر: محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أديبا ، ص 72.

[2] ينظر: نفسه ، ص 72.

[3] ينظر: نفسه ، ص 73.

ج) مؤلفاته في مجال الدراسات الإسلامية:

يمكن أن نقول أنّ مشروع النهضة التي بنى عليه أعضاء الجمعية أهدافهم ، ورسموا فيه طريقهم هو الإسلام ؛ لما فيه من قوة روحية تجمع شتات المجتمعات مهما اختلفت أجناسها وأعراقها، ومهما تباعدت أمكنتها وأزمنتها وكان للإبراهيمي الحظ الوافر في هذا الباب ؛ إذ جعله مناط اهتمامه في قيادة شعب مفكك الأجزاء مشتت الأفكار، ومن يتتبع سيرة الإبراهيمي يجد معظم دراساته الإسلامية عبارة عن مقالات مبثوثة في كثير من الصحف والمجالات وبعض الكتب منها:

1) كتاب: "مشروعية الزكاة في الإسلام"، وهو يعد من أول كتابات الإبراهيمي في التأليف، بدأ في كتابته أثناء إقامته في دمشق.

2) كتاب: شعب الإيمان جمع فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية.

هذه جملة من مؤلفات هذا الرجل العظيم الذي قضى حياته وشبابه في سبيل أن تحيا الجزائر حياة حرة مستقلة إلا أنّه بقي جزء كبير من مؤلفات هذا الشيخ –رحمه الله– لم تصل إليه يد الطبع.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر المراجع

أ) المصادر

القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم، المصحف المدني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ب) المراجع باللغة العربية :

1. إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1-1996 م.
2. الإبراهيمي ، عيون البصائر ، دار الامة ، الجزائر ، د.ط ، د.ت .
3. ابن جني ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 04 .
4. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مادة حجج ، ط 3، 1414هـ
5. ابن وهب(أبو الحسن) ، البرهان في وجوه البيان، تح أحمد مطلوب ، جامعة بغداد-1967.
6. أبو اسحاق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تح جفني محمد شرف ، مطبعة رسالة عابدين ، مصر ، دت ،. دط .
7. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المخصص، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط 1 -1996م .
8. أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا ، مقاييس اللغة ، دار الجبل ، بيروت ، مج 2، ط1 .
9. أبو القاسم بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تح محمد باسل عيون السود ، ط1- 1998م .
10. أبو القاسم جار الله الزّمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل ، تح: الشريف علي بن محمد بن علي السيد ، وأحمد بن محمد الإسكندري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، دط ، 2006 .
11. أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح عبد المجيد تركي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط3 – 2000 .

12. أبو بكر العزاوي، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 134، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006 .

13. أبو سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، بيروت ط1-1982م.

14. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان و التبيين ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، دط ، دت، .

15. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ، 1964م .

16. أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 2006 .

17. أبو يعقوب السكاكي. مفتاح العلوم، تح:عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط:01، 2000م.

18. أحمد أمين وزكي نجيب محفوظ، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة الجنة للتأليف و الترجمة والنشر ط5، 1964 .

19. أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب و الوثائق القومية ، القاهرة ،ط1- 1423 هـ .

20. أحمد بن فارس الرازي مقاييس اللغة ، تح عبد السلام هارون ، دار الفكر 1979 .

21. أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002 .

22. أحمد مدني ، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع:24، يناير 1969.

23. أرسطو طاليس ، الخطابة ، تر عبد الرحمن بدوي ،وكالة المطبوعات ،الكويت ، دار القلم ، بيروت ، 1979 .

24. آن روبول- جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل تر سيف الدين دغفوس محمد الشيباني المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003.

25. أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، تر عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق 1991 .

26. أوليفي روبول ، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟ ، تر: محمد العمري ، ضمن كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول .

27. أوليفي روبول ، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي ؟ترجمة محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، أفريقيا الشرق،المغرب، 2005.
28. باتريك شارودو و دومينيك مانغونو ، معجم تحليل الخطاب ، ت عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، دار سيتارا ، تونس، د.ط 2008.
29. البشير الإبراهيمي ، آثار محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط:1، 1997.
30. البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع) علي الجارم، مصطفى أمين، دار المعارف، دط، د.ت .
31. بناصر البعزاتي ،الصلة بين التمثيل والاستنباط ، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق حمو النقاري،الناشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ،ط1-2006 .
32. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تعليق محمد محمود شاكر ، مكتبة الخانجي القاهرة.
33. الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط، 2001.
34. جميل حمداوي ، نظريات الحجاج ، شبكة الألوكة .
35. جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع و مصر ، دط 2000.
36. جميل عبد المجيد، بلاغة النص (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.
37. الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، 1992 .
38. حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي .
39. حافظ إسماعيل علوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، عالم الكتب الحديث ، ط1 الأردن ، 2010 .
40. حافظ إسماعيل علوي،الحجاج مفهومه ومجالاته،دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة.

41. حبيب مونسي ، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، 2003
42. حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، 2004.
43. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)،منشورات الجامعة التونسية ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981 .
44. حمو النقاري ، منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط1 2005م .
45. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح إبراهيم شمس الدين.
46. خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
47. دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ت محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2008.
48. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت1983.
49. الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 لبنان 1981
50. رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، مجلة عالم الفكر، المجلد40 عدد02 .
51. الزاوي بغروة، الفلسفة و اللغة نقد المنعطف اللغوي في اللفلسفة المعاصرة،دار الطليعة،بيروت،ط1 2005.
52. زروقي عبد القادر، حجاجية البديع (استدلال منطقي أم إقناع بلاغي) ضمن أعمال الملتقى الدولي: مباحث الحجاج بين التنظير والإجراء (بحوث علمية محكمة في الحجاج) تنسيق مفلاح بن عبد الله، منشورات مختبر اللغة والتواصل 2015 .
53. الزماني كمال حجاجية الصورة البلاغية في الخطابة السياسية لدى الإمام علي،ضمن التحليل الحجاجي للخطاب ، إشراف: أحمد قادم ، كنوز المعرفة،عمان ،ط1 2016 م .
54. زين الدين أبو عبد الله الرازي، مختار الصحاح، تح، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية،بيروت، ط 05، 1999 .

55. سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، الأردن ، ط2 – 2011م .
56. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج10، ع01، يوليو 1991م.
57. السّكاكي ، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان 1987 .
58. السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع ،دار ابن خلدون ،د–ط ،دت.
59. الشعراوي ، قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول ، دار القدس ط 01 – 2006 م .
60. شكري المبخوت ، الاستدلال االبلاغي ، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010 ،ط02 بيروت لبنان .
61. شكري المبخوت ، الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس ، كلية الآداب منوبة .
62. شوقي المصطفى، المجاز الحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة الدار البيضاء ط1، 2005.
63. صابر الحباشة ، التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صفحات للدراسات و النشر ، دمشق ، ط1–2008م .
64. صلاح إسماعيل التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993.
65. صلاح فضل ، قراءة الصورة وصورة القراءة ، دار الشروق ، القاهرة ،ط01 – 1997
66. صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد 164، أغسطس.
67. الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر الدار الجماهرية للنشر و التوزيع و الإعلان دت ، ج3 ، ص194.
68. طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1997، ص 226.

69. طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،ط2.
70. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.
71. عادل عبد اللطيف ، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط10، 2013.
72. عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف، مصر، ط04.
73. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح عبد السلام الشدادي.
74. عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، دار القلم دمشق ط6-2002 .
75. عبد السّلام بنعبد العالي ، ثقافة الأذن و ثقافة العين ، دار توبقال للنشر ، ط 02 ، 2008
76. عبد السلام عشير ، الكفايات التواصلية ، اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، ط1، منشورات طوب إديسون ، المغرب ، 2007 .
77. عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006 .
78. عبد العزيز لحويدق ، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية: ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ط1. 2010،ج3، عالم الكتب الحديث.
79. عبد الله صولة ، الحجاج أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس1 كلية الآداب منوبة .
80. عبد المجيد مزيان ، مجلة الثقافية، الجزائر، ع:87، ماي1985.
81. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ط1، 2004 .
82. عبد الهادي خضير ، المفارقة في شعر المتنبي ، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ع3/11، 2000 .

83. علي البطل ، الصورة الشعرية في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، بيروت، ط01 – 1980 .
84. علي الشعبان الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل ، في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1 لبنان ، 2010 .
85. عمرو أوكان ، اللغة والخطاب ، أفريقيا الشرق، المغرب ، لبنان 2001 .
86. العياشي أودراري ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2011.
87. عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، العدد 23، 2005.
88. الغزالي أبو حامد ، معيار العلم في فن المنطق ، تح سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر 1961، ص 178.
89. فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، تر سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط المغرب ، 1986 .
90. فليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى كوفمان ، تر صابر الحباشة ، دار الحوار ، سوريا ط 1 ، 2007 .
91. فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د–ط) 1985 .
92. قوتال فضيلة ، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج ؟ مجلة فصل الخطاب ، مخبر الخطاب الحجاجي ، أصوله ومرجعياته و أفاقه في الجزائر، جامعة ابن خلدون تيارت ، ع:5 ، جانفي – 2014 .
93. كادة ليلى ، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا رسالة دكتوراه (مخطوط).
94. المبرد أبو العباس ، المقتضب ، تح محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
95. مجدي الكيلاني ،تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور المعاصر،دار التنوير،ط1،2008.
96. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، (د، ط)، دار الفكر العربي، (د، ت).
97. محمد البشير الإبراهيمي ، أنا ، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ج:21، 1386هـ

98. محمد العبد ، النص والخطاب و الاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب ، القاهرة ، ط: 01 – 2005.

99. محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2 ، 2010م .

100. محمد العمري ،البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2005.

101. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية،ار الثقافة، الدار البيضاء،ط01،1986.

102. محمد الولي ، مدخل إلى الحجاج (أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان) ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 40 – 2011 .

103. محمد بريم ، الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية ، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف أحمد قادم، سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، ط1، 2016، عمان .

104. محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 2008 .

105. محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط1 الدار البيضاء –المغرب- 1426ه-2005م .

106. محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أدبيا ، دار الفجر ، وهران ، د.ط ، د.ت .

107. محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس1، كلية الآداب منوبة.

108. محمد لشهب ، الروابط الحجاجية في المقامة ، مقامة النحو للزمخشري نموذجا، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، إشراف وتقديم أحمد قادم سعيد العوادي .

109. محمد لشهب ، الروابط الحجاجية في المقامة- مقامة النحو الزمخشري نموذجا ، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب ، إشراف وتقديم د. أحمد قادم، د.سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016م.

110. محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 1994

111. محمد مهران رشوان ، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط 2 – 1984.

112. محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر .

113. مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2005 .

114. موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنبرية بمصر.

115. ميشيل لوكيرن ، الاستعارة والحجاج ، ت: عبد الطاهر وعزيز ، مجلة المناظرة ، الرباط،ع: 4، 1991.

116. ناصر شبانة ، المفارقة في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1-2001 .

117. نواري مسعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1، 2009 .

118. هشام الريفي،الحجاج عند أرسطو،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (فريق البحث في البلاغة والحجاج)،إشراف حمادي صمود،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،تونس،كلية الآداب منوبة.

119. ويس أحمد محمد ، الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، ط1 ، 2003م .

ج) المراجع باللّغة الأجنبية :

120. Chaim perelman 2002, l'empire rhéthorique: rhéthorique et argumentation,2 eme edition, augumenter d'un index, paris.
121. Michel meyer, Questions de rhétorique, paris, 1993 .
122. oswald ducrot et Jean-claud anscombre, l'argumentation dans la langue , éditeur Pierre mardaga , bruxelles ,1983 .
123. Oswald ducrot,1980, les échèlle argumentatives de minuit, paris .
124. perelman et tyteca, 1992 traite de l'argumentation, – la nouvelle rhétorique , préface de michel meyer , 5éme édition, édition de l'université de bruxelles .

الفِهْرِس

الفِهرس

فهرس المحتويات

الإهداء والشكر

مقدمة.....ص أ

المدخل: الحجاج في التراثين اليوناني والعربي.....ص15

- تجليات الحجاج في التراث اليوناني ص15
- تجليات الحجاج في الفكر العربي ص23

1-الفصل الأول: الحجاج و التداولية مقاربة نظرية.....ص34

- **المبحث الأول: تحديدات ومفاهيم أولية** ص34
- مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا ..... ص 34
- خصائص النص الحجاجي وضوابطه ص37
- أنواع الحجاج ص38
- **المبحث الثاني: الحجاج في البلاغة الجديدة** ص40
- النموذج الحجاجي لبيرلمان وتيتيكاه ص40
- الحجاج في تصور أزوالد ديكرو وجان أنسكومبر ص47
- الحجاج عند مايير نظرية المساءلة .....ص 55
- **المبحث الثالث: المقاربة التداولية أداة فاعلة في تحليل الخطاب** ص57

الفهرس

- تعريف التداولية لغة واصطلاحا ص57
- نشأة التداولية ص59
- المصطلحات الإجرائية للتداولية ص62
- بين التداولية والحجاج ص63
- **المبحث الرابع: الحجاج في الفكر العربي الحديث** ص68
- المدرسة المصرية ص69
- المدرسة المغاربية .....ص 71

2-**الفصل الثاني: وسائل الإقناع شبه المنطقية في مقالات الإبراهيمي** ص81

المبحث الأول: الأشكال والبنى الحجاجية في عيون البصائر.....ص81

- سمات المقال عند الإبراهيمي ص81
- أنواع المقالات في عيون البصائر.....ص82
- بنية الخطاب الحجاجي من حيث الشكل ص83
- رصد الأشكال والبنى الحجاجية في المقالات..... ص 84
- بنية الحجاج في المقالات من حيث وسائل التدعيم والإقناع ص93
- منزلة الشخص الداعم للقيم .....ص 99

الفِهرس

المبحث الثاني: القياس ودوره في الإقناع.....ص103

- القياس المنطقي ص103

- القياس المضمر ص107

- القياس المتدرج ص110

المبحث الثالث: نظرية السلالم الحجاجية في عيون البصائر ص112

- قانون الخفض ص116

- قانون تبديل السلم .....ص 118

- قانون القلب ص120

3-**الفصل الثالث: آليات الحجاج البلاغية في عيون البصائر** ص123

المبحث الأول : حجاجية الصور البيانية في عيون البصائر..... ص124

- الطاقة الحجاجية للاستعارة..... .....ص124

-الاستعارة بين الوظيفة الإمتاعية والوظيفة الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي..ص127

- التَّشبيهُ وخصائصهُ الحجاجيّة والاستدلالية عند البشير الإبراهيمي.....ص139

- خاصية الاستدلال للصورة البلاغية ص145

- التشبيه من التّشكيل اللّغوي إلى صناعة المشهد الحجاجي عند الإبراهيمي..... ص151

الفهرس

المبحث الثاني: البديع من الجمالية إلى الإقناع في مقالات الإبراهيمي ص154

- السجع ودوره في الإقناع ص156

- الطباق ص159

- المقابلة ص161

- براعة الاستهلال ودورها الحجاجي في المقالات ص162

4- الفصل الرابع: البعد الحجاجي لآليات اللّسانيات التداولية.. .....ص167

المبحث الأول: الروابط الحجاجية ودورها في ترتيب الحجج ص167

- مفهوم الروابط والعوامل الحجاجية ص167

- مقاربة لأهم الروابط في مقالات الإبراهيمي ص169

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري ووظائفه الحجاجية ص176

- تحديد المفهوم ص176

- الاستلزام الحواري في مقالات البشير الإبراهيمي ص178

المبحث الثالث: البعد الحجاجي الكامن في أفعال الكلام.... .....ص182

- نظرية الأفعال العامة عند أوستين :.....ص183

- إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام من قبل "سيرل".....ص185

الفِهرِس

- الفعل الكلامي ودوره الإقناعي في المدونة ص187

خاتمة ص199

الملحق.....ص204

الفهرس.....ص231

الملخص :

يتناول هذا البحث الكشف عن حقيقة الحجاج وأثره في المتلقي في خطاب البشير الإبراهيمي مستثمرين في ذلك نظريات الحجاج الحديثة ومباحثها وما جاءت به التداولية؛ إذ إنَّ المنهج التَّداولي يُمكّنُ دارسَ الخطاب من الوصول إلى الأغراض والمقاصد الإقناعية التي يَرُومُها المتكلم.

والوقوف على مدى نجاعة نصوص الإبراهيمي التي تحقَّقت فيها عملية التَّواصل بين الباثِّ والمتلقِّي في العملية الحجاجيَّة القائمة على الإذعان والاعتراض , ولكي يصل الإبراهيمي إلى هذه الغايات استند على مجموعة من الألوان الحجاجية المختلفة الأنماط والأشكال التَّعبيرية ؛ سواء كان ذلك على مستوى بناء الحُجَجِ وأشكالها؛ أو بواسطة الصور والوسائل البلاغية ، وما تضمَّنته اللِّسانيات التَّداولية.

ختامًا يمكن القول إنّ خطاب البشير الإبراهيمي هو خطاب حجاجيٌّ سعى من خلاله إلى التَّأسيس لنهضة فكريَّة وتحرريَّة، في تلك الحقبة الاستعماريَّة .

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ الإقناع؛ التداولية؛ التلقي؛ التواصل .

Résumé :

La présente recherche approfondie s'intéresse à la nature du discours argumentatif d'EL BACHIR EL IBRAHIMI et à son impact sur le destinataire aidée en cela par les nouvelles théories de l'argumentation et leurs champs d'étude ainsi que l'apport de la pragmatique car cette dernière permis à l'analyse du discours d'accéder aux objectifs et visées argumentatifs des destinateurs.

D'autres part mesurée la pertinence des textes d'EL IBRAHIMI élaborées dans des situations de communication réunissent un destinateur et un destinataire visant la persuasion qu'elles soient concessives ou d'opposition car pour arriver à ces fins , EL IBRAHIMI mobilise différentes stratégies argumentatifs et un riche répertoire expressif et lexical que ça soit au niveau de la construction des arguments ou l'usage des figures de style et autres procédés de l'éloquence ainsi que l'apport de linguistique pragmatique

Nous pouvons affirmer enfin que le discours d'EL BACHIR EL IBRAHIMI est un discours argumentatif qui lui a servi à ouvrir le renouveau intellectuel et indépendantif lors de cette époque coloniale.

Mots clés : Argumentation ; Pragmatique ; Persuation ; réception ; communication